جامعة بغـداد
كلية التربية للبنـات
قسم اللغة العربيـة

المكان ودلالاته في شعر أبي نواس

دراسة موضوعية

رسالة تقدمت بها

أمل صالح رحمة أبو طبيخ

إلى مجلس كلية التربية للبنات – جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور فاضل رشيد الأستاذ الدكتور محمد حمد الحلبي

1425هـ 2004 م

الإهداء

الجهداء

إلى من كانت عيناهما أنيس طفولتي وسراج ظلمتي

إلى من كانت بسمتهما مرحاً لإزالة همي وألمي ... أبي وأمي .

إلى الذين أحبهم – الذين يعطون الحياة ويشرقون وسط ركام الظلمة ... أخوتي وأحبائي

إلى ذلك المكان ، ضمني بين حناياه طفلة صغيرة ، ورعى طفولتي ، إلى بيت جدي .

أهدي ثمرة الليالي الطوال

بسم الله الرحمن الرحيم

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

صدق الله العظيم

سورة الرعد ، الآيتان : 3- 4

إقرار المشرف

أقر بأن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ **((المكان ودلالاته في شعر أبي نواس – دراسة موضوعية))** والمقدمة من الطالبة **((أمل صالح رحمة أبو طبيخ))** جرت تحت إشرافي في جامعة بغداد – كلية التربية للبنات، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

التوقيع:
الاستاذ الدكتور : أ.د. ناظم رشيد
التاريخ: / / 2004

بناء على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع:
الدكتور حسن منديل العكيلي
رئيس قسم اللغة العربية
التاريخ: / / 2004

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أننا أطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ((**المكان ودلالاته في شعر أبي نواس – دراسة موضوعية**)) والمقدمة من الطالبة ((**أمل صالح رحمة أبو طبيخ**)) وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها. ونعتقد بأنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بتقدير (مستوف) .

التوقيع:
أ.د. عادل كتاب العزاوي
رئيس اللجنة

التوقيع:
أ.د. نادية غازي العزاوي
عضواً

التوقيع:
أ.م.د. عاصم عبد دواح
عضواً

التوقيع:
أ.د. ناظم رشيد
عضواً (مشرف أول)

التوقيع:
أ.د. محمد حسن الحلي
عضواً (مشرف ثانٍ)

صادق مجلس كلية التربية للبنات – جامعة بغداد على قرار اللجنة

التوقيع:
الأستاذ الدكتور ناظم رشيد
عميد كلية التربية للبنات – جامعة بغداد
التاريخ: / / 2004

المحتويـــــات

الموضـوع	الصفحة
المقدمة	1 – 4
التمهيد : مفهوم المكان في الفلسفة ، في اللغة ، في الأدب ، في الشعر ، المكان في شعر أبي نواس .	5 – 13
– **الفصل الأول** : مظاهر المكان ودلالاته	14 – 64
المبحث الأول : استبدال الخمر بالطلل . - الاستبدال في المصلح . - الاستبدال في الأدب . - أثر الحداثة في شعر المكان .	14 – 37
المبحث الثاني : موقف الشاعر من الطلل . - أثر النزعات السياسية والاجتماعية في موقف الشاعر من الطلل . - آراء النقاد حول خروج الشاعر على الطلل.	38 – 59
المبحث الثالث : المكان التأريخي . – دلالة المكان الحضارية .	60 – 64
الفصل الثاني : أماكن الحضارة .	65 – 108
المبحث الأول : المكان الحضري – أماكن السكن – المدن – الأمصار .	65 – 88
المبحث الثاني : تحول أماكن الحضارة والسكن إلى أماكن للخمر (البساتين– المجالس– النوادي – والخيام)	89 – 100
المبحث الثالث : الطبيعة – السماء – الأرض – الأنهار	101 – 108
الفصل الثالث : المكان عنصر في القصة الخمرية	109 – 138
المبحث الأول : المكان في السرد القصصي	109 – 117
المبحث الثاني : الديارات وأماكن اللهو	118 – 122

الموضـوع	الصفحة
المبحث الثالث : أماكن الصيد والطرد – زمان الصيد – مكان الصيد – أماكن الطبيعة قيمة عامة .	123 – 138
الفصل الرابع : المكان صورة	139 – 178
المبحث الأول : المكان المتخيل – المكان في طيف الخيال – وصف الطيف – وصف المكان – تحولات المكان (التشبيه – الاستعارة – الكناية) .	139 – 165
المبحث الثاني : الحنين إلى المكان .	166 – 170
الفصل الثالث: الإيقاع الفني في شعر أبي نواس المكاني	171 – 178
الخاتمة	179 – 181
المراجع والمصادر	182 – 199
الملخص باللغة الأنكليزية	1 - 2

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على صفوة الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد ...

يرى بعض نقدة الشعر في القديم والحديث أن الحسن بن هاني كان شاعراً عبقرياً ، وعالماً كبيراً ، فهو أرحب شعراء عصره نفساً وأعمقهم حساً ، وأبرعهم فناً ، وكان أخصبهم خيالاً ، كما أن سيرة أبي نواس وما عرف عنه من علم وسعة اطلاع واجتهاد في معرفة الشريعة والدين وأصول اللغة والشعر ، واطلاعه على ثقافات شتى ، وامتلاكه الجرأة في الخروج على السائد والمألوف في العادات والقيم ، والمفاهيم ، سواء ما تعلق منها بالدين أو الواقع السياسي أو الاجتماعي ، حتى أجمع رأي أغلبهم على أنه أول من فتح باب التجديد للشعراء الذين جاءوا بعده . ولا جدال في أن الدراسات الأدبية حول شخصية أبي نواس وشعره كثيرة ، ومتغايرة حملت لنا الأفكار ، وتعمقت في دراسة شعره مما ساعد في اغناء بحثنا بالآراء المختلفة التي أسهمت في إعطاء صورة للباحث عن حياة أبي نواس وشعره المكاني .

وحاول هذا البحث الدخول إلى عالم أبي نواس من زاوية أخرى جديدة ، فقد آثرت الباحثة أن تتناوله من جوانب متعددة تُعنى بأفكاره وميوله وعلاقاته الاجتماعية ، وأثر البيئة والمجتمع في حياته وموقفه من المكان وخاصة المكان الطللي . ولاريب في أن شعر أبي نواس يمثل حركة ذات الشاعر وصراعه الفكري والنفسي مع واقعه وطموحه ، تمثل ذلك في استقراء نصوصه المستمدة من ديوانه برواية الصولي المطبوع سنة 1980/1400 ، تحقيق الدكتور بهجت عبد الغفور الحديثي ، ونسخة اخرى من ديوانه تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، والاستنارة بكتب الأدب والنقد والتاريخ ومعجمات اللغة العربية والأماكن ، والمباحث الفلسفية القديمة والأصول النفسية الحديثة .

وتمت الاستعانة بالدراسات الأدبية المعاصرة وذلك بما يلقي الظلال ، ويضيء النص، وهذا ساعدنا بعد الاستقراء الشامل للديوان أن نقسم موضوع بحثنا على اربعة فصول متناوبات في عدد المباحث، وبحسب طبيعة دراسة كل فصل، والتعريف بالمكان باعتباره وجهة تنظيرية، تناولت فيها تقسيمات تمثل علاقاتها بالمكان لدى الشاعر موضوع الدراسة وهو إطار عام للولوج الى الموضوع ، وقد جاءت هذه التقسيمات وفقاً لاستقراء الاشعار موضوع البحث.

لقد قسمنا هذه الرسالة على تمهيد ويتكون من :

1- مفهوم المكان في حياة الإنسان .

2- في اللغة .

3- في الفلسفة القديمة والحديثة .

4- في الأدب .

5- في الشعر .

وأربعة فصول :

الفصل الاول: المكان ودلالاته

الفصل الثاني: اماكن الحضارة

الفصل الثالث: المكان عنصر في القصة الخمرية

الفصل الرابع : المكان صورة

وقد قسمنا كل باب من الابواب على فصول حسب مقتضيات البحث ومستلزمات الدراسة، وقد قدمت لذلك كله بتمهيد، ثم انهيت الدراسة بخاتمة هي من متطلبات البحث الجامعي.

أما الفصل الاول من الباب الاول ، فقد تناول استبدال الطلل بالخمرة واعتمدت الباحثة (التحليل) منهجاً يقوم على استقراء رؤى الشاعر ورفضه المكان القديم – الطلل– ثم دراسة اراء النقاد ومن كتب في هذا المجال لتجلية موقف الشاعر بين رفض الطلل عموماً وبين رفضه للقديم ودعوة إلى حضور الشاعر في واقعه المتمثل في الحضارة التي يعيشها، والبعد عن التقليد في ذكر البادية.. ودراسة وجهات نظر

النقاد، باعتبار دعوته كانت مشوبة بروح الشعوبية والانتقاص من شأن العرب وتقاليدهم، وابتعاده عن المكان القديم المتمثل بالطلل.

أما الفصل الثاني فقد بسطنا به وجهة نظر الشاعر بالمكان الخمري.

ثم جاء الفصل الثالث ليدرس المكان الطللي التاريخي.

أما الباب الثاني فقد تناولنا فيه أماكن الحضارة في ثلاثة فصول تمثلت في المكان الحضري– الامصار– المدن – اماكن السكن من الفصل الاول ، والفصل الثاني تناول تحول أماكن السكن إلى أماكن الخمرة ، أما الفصل الثالث فقد تناولنا فيه الفضاءات (السماء والأرض والأنهار) .

أما الباب الثالث فقد ضمنته المكان في القصة الخمرية وانسجامها مع رؤى الشاعر في المكان المفضل لديه ، الذي يمثل ذاته وتعلقها بالخمرة من خلال ربط المكان بالخمرة في قصائده القصصية التي وصفت الديارات ومجالس الشرب وهي محور السرد القصصي.

أما الفصل الثالث فقد كان نصيبه دراسة مكان الطرد وزمانه والصيد في شعر أبي نواس وقد تناول زمان الصيد ومكانه ، والحيوان من صوائد وطرائد .

اما الباب الرابع: فقد درس الايحاء الفني وموقف الشاعر.

وسجلت في خاتمة البحث النتائج التي توصلت اليها من خلال الدراسة حيث، تمثلت مسيرتي البحثية بالاستقصاء والدراسة مستعينة بالله اولاً ثم استعنت بالمراجع العربية الثرة القديمة والمصادر الادبية وبالكتب المترجمة وبالكتب والدوريات العلمية والدراسات التي تحدثت عن ظاهرة الزمان والمكان ، من خلال شعره.

وبعد : فليس لي إلا أن أقف وقفة الامتنان والاحترام كله للاستاذ الدكتور الفاضل ناظم رشيد الاستاذ الانسان... عرفناه متواضعاً كريماً سخيا بالعلم ، متبرعاً بكنوز المعرفة من مصادر ومراجع علمية شح بها الزمن في وقت عز به الوصول الى غايتنا وهي البحث والدراسة فكان من احسان الله أن تكون مشرفاً على هذه الرسالة مع الأستاذ الدكتور محمد حسن الحلي .

واخيراً فلا داعي ان أدعي الكمال وهذه لغة كل باحث بل قدمت جهداً لاصل إلى نتيجة حسنة تساعد في القاء الضوء على المكان في شعر أبي نواس لعلي قدمت ما يجده القارئ جانباً من طريق المعرفة باهتمام الشاعر بالمكان وما يمثله في ذاته وصلة المكان بمجتمعه .

التمهيـــد

التمهيد

مفهوم المكان :

يمكننا القول أن نجد هذا الموضوع قد بحث مرات عدة وجرت عليه تطبيقات كثيرة ، ولكنه وهو يعايش حركة نقدية تلفت الانتباه، ولأهميته ولجدته ، فإن بحثه والوقوف عنده يعطي انثيالات متجددة . [1]

والمكان في تصور الانسان القديم سابق على الزمان والحركة، لأن أي جسم يجب أن يوجد أولا في المكان، ومن ثم تتحد طبيعته في الحركة وزمانها فيما بعد وظل هذا التصور الميثولوجي للمكان حتى القرن الرابع قبل الميلاد ، أي قبل ظهور الفلسفة على يد طاليس الملطي [2] .

إذن المكان " أحد ابرز العناصر الدالة على وجود الانسان ونشاطه ومستوى تفكيره ، وهما يرتبطان ببعضهما ارتباطاً حيوياً فلا يمكن ان يعيش الانسان بدون مكان، كما لايمكن تصور المكان وتحديدهُ إلا بوجود الانسان فيه ، لذلك وجدت فكرة المكان مع خلق الانسان ثم نمت وتطورت بنمو الفكر البشري وتطوره " [3].

" ولهذه الصلة الحميمة بين الانسان والمكان ، أصبح الحس المكاني جزءاً من الطبيعة البشرية، فهو حسّ اصيل وعميق في الوجدان البشري، وإذا ماتعرض أحد قطبيه (الانسان أو المكان) إلى الضياع أو الخطر ، فإن هذا الحس يستنفر كل مكامن التصدي في سبيل الحفاظ على كيانه " [4] .

لذا لعبت فكرة المكان دوراً اساسياً في الفكر الانساني قديماً ، " كما يلعب هذا الدور نفسه حديثاً ، وقد ادرك الانسان هذا الدور المتميز للمكان في وجوده

---

[1] ينظر: المكان في شعر صدر الاسلام – دراسة فنية ، شروق حيدر ، رسالة ماجستير: 4 .

[2] ينظر : نظرية المكان في فلسفة ابن سينا : 17.

[3] المكان في الشعر العراقي الحديث 1968–1980 ، سعود احمد يونس : 1 ، رسالة ماجستير .

[4] المصدرنفسه : 1.

فالانسان يلاحظ من خلال حياته اليومية أن الأشياء والاجسام تشغل حيزاً أو مكاناً ما ، وإن الجسم الواحد لايشغل مكانين في آن واحد، وكذلك المكان لايحوي جسمين منفصلين في زمان واحد ، وعلى هذا الاساس ، فإن العقل الانساني لايستطيع ببداهته رفض المكان محتوى للاجسام فالمكان عنده ضروري للاشياء من اجل تميزها وأدراكها " ، وإذا حاولنا – وهذا مانقصده في هذه النقطة – تقصي موقف الانسان وتصورِه المكان قبل ظهور الفلسفة ، فإننا نجد أن تصوره للمكان كان مرتبطا بالوجود المحسوس للاشياء في العالم الخارجي ، ومن ذلك نجد أن الفكر البدائي يعجز عن استخلاص فكرة المكان من تجربته للمكان، وهذه التجربة تتألف مما ندعوه بـ (الاقترانات الناعتة) ، " فالصور الذهنية للمكان لدى الانسان البدائي هي صور مظاهر محسوسة، تشير الى مواقع لها لون عاطفي " [1] .

لذا " تعد فكرة المكان فكرة ضرورية ، فنحن نستطيع أن نفكر في الاشياء، ونتخيل فناءها أو انعدامها أو انها غير موجودة لكننا لانستطيع أن نتصور انعدام المكان أو فناءه أي إننا قد نطهر المكان من الاشياء التي تشغله ، ولكننا لا نستطيع أن نحذف المكان نفسه ولو نظريا [2] .

ويستدل على أن " فكرة المكان ، وموقف الانسان منها، لم توجد دفعة واحدة، سواء أكان مفهومها ميثولوجيا أم فلسفيا ، لانها دائما تطورت مع تطور الفكر البشري من تعامله مع العالم الخارجي . ومعنى هذا أن هذا الفكر مر بسلسلة من التطورات في موقفه من المكان حتى وصلنا الآن الى النظرة السائدة في العلم والفلسفة ، ألا وهي النظرية النسبية، التي وحدت بين الزمان والمكان وعدت الزمان بعداً رابعاً لابعاد المكان الثلاثية الذي يعرف بمصطلح الزمكان [3] .

" اذن ينظر الى " المكان أنه مساحة ذات أبعاد هندسية أو طوبوغرافية تحكمها المقاييس والحجوم، ويتكون من مواد ، ولا تتحدد المادة بخصائصها الفيزيقية فحسب،

---

(1) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا : 17.

(2) مدخل الى الفلسفة ، د. امام فتاح إمام : 186.

(3) ينظر : نظرية المكان في فلسفة ابن سينا : 19.

فمادة العمارة مثلا ليست بهذا المعنى وحده، وانما هي بالإضافة الى ذلك نظام لعلاقات هندسية مجردة ، والمكان كذلك لايقتصر على كونه ابعاداً وحجوماً، ولكنه فضلا عن ذلك نظام من العلاقات المجردة يستخرج من الاشياء المادية الملموسة بقدر مايستمد من التجريد الذهني أو الجهد الذهني المجرد " [1] .

لاجرم إذا قلنا : أن المكان يمثل الحيز الأكبر في حياة الانسان ففيه يعيش، فهو الذي يضمه ويحميه، واذ لايمكن أن نتصور وجودنا بلا مكان، حتى أن الكون نفسه لابد له من مكان يحتويه [2] .

وقد عُني الباحثون بدراسة المفاهيم التي تخص المكان، يرى اللسان " المكان واحداً : مكان في أصل تقدير الفعل ، مفعل ، لأنه موضع لكينونة الشيء فيه . " والمكان الموضع والجمع أمكنه، وأماكن جمع الجمع [3] .

" ويعني بالمكان فلسفيا مايحل فيه الشيء أو مايحوي ذلك الشيء ويميزه ويحده ، ويفصله عن باقي الأشياء" [4] .

فنجده عند افلاطون (ت347 ق.م) ((حاوياً للشيء)) وهو عند أرسطو طاليس (ت 322 ق. م) يعد محلاً . وعند اقليدس (ت 300 ق.م) ، فإنه ذو ثلاثة ابعاد هي الطول والعرض والعمق [5] .

ورأي الكندي ، (ت 252هـ) وهو من الفلاسفة المسلمين " ان أي جسم هنالك شيء أكبر منه يحويه ، ويسمى مايحوي ذلك الجسم بالمكان" وقال الفارابي (ت 329هـ) "إن المكان موجود بين ولايمكن انكاره، إذ1 العلاقة بين المكان المفترض إذا زاد الجسم أو نقص أو تحرك فلا بد أن يكون ذلك في شيء أكبر من الجسم ، نحن نسمي ما يحوي الجسم مكاناً ، وإن لكل جسم مكاناً خاصاً به ".

---

[1] ينظر جماليات المكان ، اعتدال عثمان : 76.

[2] ينظر:الزمان والمكان في شعر العصر العباسي الاول، غني صكبان،رسالة ماجستير: 56.

[3] ينظر : لسان العرب : (مادة مكان) .

[4] نظرية المكان في فلسفة ابن سينا : 19 .

[5] ينظر : المصدر نفسه : 33 .

وأما تعريف ابن سينا (ت 428هـ) : للمكان ، فقد شاع بين جمهور الفلاسفة من بعده فتبنوه وقالوا به ، وهو أن " المكان هو السطح الباطن من الجرم المادي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي ... " [1].

وتتباين نظرة الفلاسفة المحدثين للمكان فقال ديكارت (ت 1650م) " إنه يتكون من جوهر المادة، أما اسبينوزا (ت 1675م) فعنده انه صفة تماثل أهميتها العقل، وانه " غير متناه، وعند مابرانشي (ت 1705م) انه فكرة صادرة عن الله اكثر من كونها صادرة عن الانسان، وعند لابينتر (ت 1716م) هو " شيء ظاهر، وفكرة مضطربة ، وعده انشتاين (ت 1955م) متناهٍ رباعي الابعاد بعد اضافة الزمن بعداً رابعاً " [2].

والمكان عند أهل اللغة " الموضع الحاوي للشيء (وبمعنى آخر) هو مكان الانسان وغيره" [3].

اما في الادب فلا شك في " أن المكان يمثل محوراً أساسياً من المحاور التي تدور حولها نظرية الادب" ، فقد " اهتم الأدب طوال تاريخه بالمكان لان الانسان دائماً مايوجد في المكان ولأن الاحداث دائما ماتدور في مكان ما " [4] .

"وهنا لابد أن نشير الى عمق ارتباط الزمان بوصفه طرفاً طبيعياً بالمكان وفي نطاق هذا الارتباط تكون التجربة البشرية في الادب، كما هي في الواقع ممكنة، ومتطورة، ولان شيئا من أفعالنا لايقع إلا في مكان ، والا في زمان " [5] فالمكان " يحتوي الزمن والبعد الإنساني للواقع وبمعنى آخر أن المكان جزء من تكوين الانسان،

---

[1] ينظر: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا : 120.

[2] فلسفة ابن الهيثم :23.

[3] ينظر: المفردات في غريب القرآن .

[4] حول " محطة السكة الحديد"لادور الخراط، د.صبري الحافظ، مجلة الأقلام، العدد 11-12، 1986 : 71.

[5] دلالة المكان في شعر السياب ، لمى محمد يونس ، رسالة ماجستير : 1.

لذلك بقي المكان لصقا بالتاريخ وبالحضارة وشاهداً حياً على التطور والتغيير، وسجلاً أميناً للأحداث والمواقف والقيم باطارها الفردي والجماعي" [1] .

فاقتران الزمان بالمكان يشكل إطار كل حياة وحيز كل تجربة وحدث [2] ، والمكان لم يعد ذلك الوعاء او الاطار التكميلي للعمل الادبي، بل ارتبط مع الانسان بعلاقة جوهرية، فالعناصر المكانية، لاترد كاطار غير ذي معنى ، بل كثيراً ماتكون مشحونة بالدلالات ، إذ يكسبها الاديب هذه المعاني من خلال تجربته الحسية الخيالية [3] .

" وفي ضوء جدلية الزمن هذه نجد ان أي بعد من ابعاد المكان تحمل تاريخية كل الابعاد، فلا ثبات ولا سكونية ، ولا حدود استكيه لدى بقعة منه ، انه كالمجتمع حي نامٍ متطور . إن الشاعر في اثناء تفاعله مع المكان يشرع فيه ويبني صوره ويكونها من مادته ، أي من زمنيته " [4] .

ومن هذا المنظور " يشكل المكان في الادب الأرضية الفكرية والاجتماعية التي يحدد فيها مسار الشخوص ، ويركز فيها وقوع الاحداث ضمن زمن داخلي، نفسي يخضع لواقع التجربة من العمل الفني .

والمكان – هنا – جزء من البناء في العمل الفني بوصفه عنصراً أساسياً من عناصر التجربة الأدبية ، " وله شروطه الموضوعية التي تميزه عن المكان على الارض أو في الواقع " وله مسميات موضوعية عن قصد ، وأبعاد مختاره عن فكر ولغة مبنية عن إحساس دفين " [5] .

وفكرة " المكان في الادب " ليست قديمة، ولم يكن أرسطو قد ابتدعها أو اشار اليها كما يظن البعض بل هي تعود في تاريخها الى القرن السادس عشر، حيث أن

---

[1] ينظر : اشكالية المكان في النص الادبي : 159.

[2] ينظر: الزمان والمكان في شعر ابي الطيب المتنبي ، حيدر لازم مطلك : 154.

[3] ينظر: مدخل الى نظرية القصة تحليلا وتطبيقاً : 60.

[4] ينظر : اشكالية المكان في النص الادبي : 402.

[5] المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام ، حيدر لازم مطلك ، رسالة ماجستير: 17–18.

أرسطو لم يؤكد إلا وحدة الفعل ، أما وحدتا الزمان والمكان فأمران استنبطهما أولئك النقاد الايطاليون من وحي أرسطو ، ونادى القائلون بان الاحداث يجب أن تكون محتملة الوقوع ، وقريبة من واقع الحياة، فإذا جرت الاحداث كلها في يوم واحد (وحدة الزمن) ، فانه يتحتم على شخصيات المسرحية التحرك في مكان يتيسر الوصول اليه في هذه الفترة الزمنية ، وبالتحديد ، أن وحدة المكان نشأت عن كون معظم المسرحيات اليونانية، تحاكي فعلا يقع في مكان واحد [1] .

فالمكان في الشعر " في مفهومه المادي الموضوعي ليس فيه اختلاف بين الاجناس الادبية ، وإنما الاختلاف في مفهومه التجريدي ، الذهني ، فهو محور الابداع ، وميدان الخيال ، لبيان مدى قدرة المبدع على إعادة خلق وتشكيل المكان في النص بحيث يبدو مكانا جديداً تمتد أبعاده المادية في اعماق شكله وحجمه، وتشرئب غصونه عبر بنية النص، وهذه هي وظيفة الخيال إذ ان " الخيال يلغي موضوعة الظاهرة المكانية – أي كونها ظاهرة هندسية – ويحل محلها ديناميته الخاصة المفارقة " [2]، وبذلك تتخذ صفات وملامح المكان طابعا ذاتياً وينتفي بعدها الهندسي .

" ولأن الشعر هو من الفنون التي رافقت المسيرة البشرية على مدى العصور، فقد حمل ملامح الفكر البشري، وكان المكان هو أحد الملامح البارزة للطابع القومي للامم والشعوب وعلى النطاق القومي للعرب، فقد أهتم العرب بأمكنتهم اهتماماً قد لاتصل اليه أمة من الامم عبر العصور ، حتى أصبحت تلك الامكنة في جانب منها قضية كبرى، ومن نتائج ذلك كثرة الشعر الذي قيل فيها وتعدد الكتب والاسفار التي ألفت عنها فكانت تاريخاً لحياة العرب [3] .

---

[1] ينظر : فن الشعر (ارسطو) : ط ، بدوي ، المقدمة 27/22/20 ، وط . عبادة : المقدمة : وتلخيص كتاب أرسطو في الشعر (الوحدات الثلاث) ص 41 . المعجم الادبي ، 262.

[2] ينظر: جماليات المكان ، باشلار : 12 ؛ والمكان في الشعر العراقي الحديث: 16.

[3] ينظر: المكان في الشعر العراقي الحديث : 16 .

وليس ادل على ذلك من بروز المكان في الشعر العربي ، خاصة في المقدمة الطللية وفي رحلة الظعن ، فالشعر الجاهلي قد " ارخ ذاته بولهِهِ بالزمن أولا ، وبالمكان ثانيا : بتسمية المكان وتأطيره، وتجديده وتجسيمه، وبعثه في حياة متجددة، وباكتناء الزمان في حركة تغيره وتردد فاعليته بين الولادة والموت ، الخصب والجفاف ، وبانشباك الانسان في هذه الفاعلية ... ثم في تجسد تجربة الزمان تجسداً باهراً في المكان بالدرجة الاولى، من هنا كانت الاطلال وتحولها الى تجربة جذرية توليدية في الشعر الجاهلي " [1] .

" وللمكان في الشعر وظيفة خاصة ترتبط بالاسلوب وهي وظيفة تعبيرية، في حين أن وظيفة المكان في الرواية مثلا هي وظيفة تفسيرية، فأسلوب الشعر هو اسلوب تعبيري يعتمد على تكثيف في الزمان وفي المكان ، أما أسلوب الرواية فهو أسلوب تفسيري يميل الى رصد الاشكال والحجوم وعرض التفاصيل والخصوصيات " [2] .

المكان في الشعر يتشكل من خلال اللغة الشعرية التي تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة ، فلها بعد مادي فيزيائي يربط بين الالفاظ وأصولها الحسية، كما أن لها نظاما من العلاقات التي تعتمد على التجريد الذهني ، فالنص الشعري تجسدُ لغوي لكائن، وانفتاح خارج اللغة على كينونة في الغياب ، أي أنه بذاته علاقة جدلية بين الحضور والغياب ، فالحضور هو التجسد اللغوي للنص ، والغياب هو البعد الخفي او البنية للنص [3] .

ومما تقدم ، يمكن القول إن المكان في الشعر لم يعد اطاراً عاماً لحركة الاحداث وأفعال الشخصيات، وانما أصبح قضية تنطق بالحياة والموت ، ومصير الانسان ووجوده وعلاقته بالارض والحياة.

---

[1] الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره :265 .

[2] المكان في الشعر العراقي الحديث : 16 .

[3] ينظر: بنية اللغة الشعرية، جان كوهن :225 ؛ وجماليات المكان اعتدال عثمان: 76.

"وينبغي أن ينظر الى المكان في الشعر من خلال مبدأ شعري معروف هو : إن الشعر في جوهره يلغي أو (يقرب) المسافات بين الاشياء ، ومن ثم يوحد بين الاشياء نفسها فيتكون " مكان خاص بالنص هو في حقيقته مكان (شعري) وهذا الامر هو أحد أهم (منتجات الخيال) ، وهو مايدعى بـ (البعد الخفي والعميق للنص أو هو ظل النص وحين يفقد النص ظله يفقد خصوصيته" [1] .

والحسن بن هانئ الذي انطلق من البصرة – تلك المدينة المجلله بالعلم ، والمكللة بمفاتنها ، مشحونا بتلك الرومانسية التي استمد ظلالها من تلك البقعة المكانية التي ولد وعاش فيها طفولته فأصبحت خيالاته مشحونة بمعاناته وآلامه ، حاملا عمق زمن تكاثرت فيه الاحداث، وترامت امام عينيه بما تحمله من تناقضات ترجمها في شعره المحمل باحاسيسه.

وعليه فالمكان يشكل حيزاً كبيراً في وجود الشاعر وفي بيئته سواء كان هذا المكان موضوعيا(طبيعياً) أم ذاتيا (متخيلا) لأنه " يثير إحساسه بالمواطنة ... فكان مكانا واقعاً ورمزاً، شرائح وقطاعات، مدناً وقرى ، كيانا نتلمسه ونراه ، وكياناً مبنياً على المخيلة " [2] .

ومن الاحداث في النص الادبي ما يقع عادة في زمان ما ، وتدور في بقعة مكانية أيضا ، فهناك من يرى أن أي عمل فني " يفتقد المكانية، فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته" [3].

---

[1] المكان في الشعر العراقي الحديث ، ص 18 ؛ وفي الشعرية : 19 ؛ وينظر : المكان في شعر أبي العلاء المعري ، حربي نعيم محمد الشبلي ، رسالة ماجستير : 4 .
ينظر: معجم الشعراء العباسيين : 1 ؛ ودائرة المعارف لابن قتيبة: 563؛ وينظر: الفهرست لابن النديم : 182 .

[2] الزمان والمكان في شعر أبي فراس الحمداني، ناظم أحمد خلف ، رسالة ماجستير : ؛ وإشكالية المكان في النص الأدبي : 5 .

[3] جماليات المكان ياشلار : 6.

ولما كان المكان يخضع خضوعاً مطلقا للحدث، لأن الحدث لابد أن يقع في مكان ما في الارض، فقد وجد الشعراء أنفسهم يرتبطون بالأماكن التي يعيشون فيها، واذا ماشطت بهم هذه الأمكنة ، اعتزلوا الناس ، وشعروا بالذل والوحدة، فهذا النابغة الجعدي يدخل على عثمان بن عفان ﷺ قائلاً : أستودعك الله يا أمير المؤمنين، قال : وأين تريد يا أبا ليلى ؟ قال : الحق بأبلي فأشرب من البانها ، فإني منكر لنفسي [1] والمراد إن النابغة فضل الحرية.

ويشكل المكان في شعر أبي نواس خصوصية ، بل هو استثنائي عنده ، لأن ارضية شاعرنا ، كانت مسرحاً للاحداث والوقائع، وعالما جديداً للتطور والابداع، كان الشاعر أحد الاقطاب البارزة، وعنصراً من عناصر التجدد التي اتخذت مذهبا حديثاً في استبداله الطلل بأماكن الخمر ، فاحدث انقلاباً جذرياً شغل النقاد لما له من أثر في الشعر العربي، وتميز اسلوبه بالسخرية والتهكم حتى في رسم صور المكان ، وما يعنيه في ذاته ، وما يحمل من رموز جاءت بديلاً عن معاناته ودلالة واضحة على سلوكيته في حياته .

---

[1] ينظر : الاغاني :5/ 10.

الفصل الاول
مظاهر المكان ودلالاته

المبحث الاول : استبدال الحجرة بالطلل

المبحث الثاني : موقف الشاعر من الطلل

المبحث الثالث : المكان التاريخي

المبحث الأول

استبدال الخمرة بالخل

الاستبدال في المصطلح :

لا يطمح هذا التمهيد الى تأصيل مفهوم (الاستبدال) إلا أن من الواجب أن نقف عند هذا المصطلح ليكون متكأ للدراسة والكلمة تأخذ منحى تطبيقياً في الفصل الاول لتوصل الهدف الى مرماه ، ومدى توظيفه في شعر أبي نواس الخمري، وهذه الوقفه ستكون طريقاً لبحث جانب الحداثة في شعره، باعتبار ظاهرة الاستبدال حققت ثورة في الشعر ابان العصر العباسي الأول ، وماتمخض عنها من أثر في شعر الشعراء الذين عاصروه او ماتلاه في القرون التالية .

الاستبدال في اللغة :

إن بيان معاني لفظ (الاستبدال) يقتضي العودة الى معجمات اللغة ، للوصول الى حدها ، وإزالة أي لبس او إبهام في مقصودها ب د ل – (البديل) ، البدل : (بدل) الشيء غيره ، يقال: تبدل وبدل ، كشبه وشبه ، ومثَّل ومثل .

وابدل الشيء بغيره و (بدله) الله تعالى من الخوف أمناً واستبدل الشيء بغيره (تبدله) إذا أخذه مكانه [1] وبدل الثوب القديم الثوب الجديد" بادخال الباء على المتروك " ، والشيء شيئاً آخر : بدله مكان غيره : ومنه جعله بدله، وفي التنزيل العزيز : (واذا بدّلنا آية مكان آية ...) [2] .

الاستبدال في الادب :

الاستبدال يعني احلال شيء بآخر يختلف جذرياً عما كان عليه الأول لمسببات تداعت بحصول ذلك الاستبدال في زمن ومكان معين، ويؤثر ذلك في منحى المستبدل ، بحيث يحتل موقعه ويعكس قيمة جديدة اخرى، نتيجة التحولات التي تطرأ عليه ، أي الاستبدال المقصوج للتغيير عن طريق التطور .

" اما إذا انتقلنا الى العصر العباسي حيث الاختلاط بين العرب وغيرهم من الاجناس، والترف ومظاهر الحضارة، وتعالي البنيان، وشيوع نوع من التحرر ،

---

[1] مختار الصحاح : 44 ، ب ، بدل .

[2] المعجم الوسيط (ن – بدل) : 44 ؛ وتنظر : سورة النحل ، الآية : 101 .

والدعوة الى التجديد في كل شيء، ونبذ القديم، فإن لذلك كله أثراً في مقدمات القصائد : اذ عادت الثورة ضد المقدمات التقليدية ، وكانت هادئة في أول الامر بأن رفض عدد من شعراء القرن الثاني وصف الاطلال ، ومالوا الى غيره كالغزل، ومن هؤلاء ، أبان بن عبدالحميد اللاحقي واشجع السلمي ومطيع بن إياس، وكان في ذلك كله تمهيد لأبي نواس للخروج على التقاليد الموروثة والدعوة الصريحة والجريئة الى نبذ الاطلال والاستهزاء من الوقوف عليها " .

ويبدو أن لثورة ابي نواس أثراً في عدد من معاصريه إذ أهمل بشار بن برد (ت 167هـ) ومسلم بن الوليد (ت 208 هـ) بعض مظاهر البداوة في مقدماتهم الطللية، ولم يعنوا بنقل صورة الاطلال المقفرة الموحشة ، وإنما تحولوا عنها في جانب من مقدماتهم، وأخذوا يصفون الديار وقد اخضرت وازدهرت، ولاننسى فضل مسلم بن الوليد في النهوض بالمقدمة الخمرية في هذا العصر، "ويسمى مثل هؤلاء الشعراء باسم (المجددين) واتسمت لغتهم ، وموسيقاهم واسلوبهم بنمط عام اطلق عليه (الاتجاه المحدث) " [1] .

ومن النقاد من ينظر الى الاستبدال كونه – حداثة تمخضت عن القديم لتواكب العصر، لما طرأ عليه من تغير في أساليب الحياة وانماطها المختلفة، فتأثر الشعراء بذلك ، واتخذوا طريقاً جديداً في ابتداء القصيدة.

" لم يكن المقصود بالاتبدال ترك الطلل ، في الابتداء وجعل الخمرة ما يبدأ بها ، بل على العكس من ذلك حيث احتلت أطلال الديار الدائرة في الحاضرة، واماكن اللهو وسكن الاحبة المهجور في المدينة، بعد أن تركها أهلها، مكانا كبيراً، حيث كان الشعراء المحدوثون يقلدون الشعراء القدامى. لذا أصبحت هذه الظاهرة الجديدة تمثل خروجاً على نمط كان سائداً في الشعر حتى العصر العباسي الاول.

---

[1] مقدمة المدحة الاندلسية بين ابن دراج الفسطلي وابن حمديس الصقلي، غيداء احمد ، أطروحة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الموصل : 25.

لكن أبا نواس اختلف عمّا سار عليه الشعراء، لهذا الجانب فالحداثة اتخذت نمطا جديداً في اسلوبه باستبدال اماكن الطلل بالخمرة او باماكن الخمرة.

" إن فكرة الاطلال في الشعر لم تكن فكرة مجردة ، وإنما هي تجسيد لحس الصحراء الثاوي في عقل الشاعر، وتركيز لقيم الوجود الانساني ونشاطهِ على المكان الفاعلِ بالحياةِ ، ذلك الوجود الذي لايقوم إلا على (وطن حقيقي) و (قيم) ايجابية سائدة و (ممارسة) فعلية تجسد تفاصيل التعامل مع الواقع " [1] .

فالطلل هو دمج الفكرة بالمادة وتحويلها الى طاقةِ حسيةِ بفعل فني متكامل. واذا كان الطلل ارثا فنياً مفروضاً الا أنه ظل سوحاً لتجارب عبقرية ظلت هي الأخرى تضيف الى محتواه وشكله أشياء لاحدود لها ، ولم يعد مفرغاً من أي مضمون إنما هو الرمز الحقيقي الذي تختفي وراء ستاره تجارب حياة انسانية فاعلة خلال العصر كله [2] .

" والطلل بعد ذلك الوعاء الأكثر قدرة على استيعاب المعاناة الجماعية في اطار التجربة الشعرية حيث تكمن الرغبة في التعبير عن النزوع النفسي الصميمي الذي يشد الشاعر الى انتمائه، ويكشف عن صلته بأرضه، وارتباطه الوشيج بالوطن والحنين اليه " [3] .

" وحس المكان بالمعنى الأول ، أي المكان الفعلي ، حس أصيل وعميق في الوجدان البشري، وخصوصاً إذا كان المكان هو الألفة والانتماء الذي يمثل حالة الارتباط البدائي المشيمي برحم الارض – الأم – ، ويرتبط بهناءة الطفولة ، وصبابات الصبا،ويزداد هذا الحس شحذا إذا ماتعرض المكان للنقد أو الضياع"[4]

وتقول اعتدال عثمان " يحدث الانسحاب أو الأقتلاع من المكان نتيجة صدام بين الأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية السائدة من ناحية، والتكوين الفكري

---

[1] المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : 188-189.

[2] ينظر : المصدر نفسه : 189.

[3] المصدر نفسه .

[4] جماليات المكان : 77 .

والوجداني والموقف الاجتماعي للفرد المبدع من ناحية ثانية " [1] ، ويعني ذلك أن هذه الحالة تعكس حالة العداء ، أي أن المكان أصبح مكاناً معادياً .

اذن فالمكان بوصفه مكاناً زمنيا يرتبط بتاريخ بعينه ، كما يعكس ذلك الوقوف على الاطلال والبكاء عليها وهو يمثل " عند الشاعر ليس عاطفة خاصة ولاتجربة ذاتية، بل لحظة حزن ، أملاها على الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي اليها بالحرمان من الوطن – المكان – وبالحنين المتجدد الى الاستقرار ، فجاءت المقدمة الطللية لتؤدي وظيفة هذا الخلق الشعري الذي يعطي الشاعر فرصة القول في لحظة التأمل والاسترجاع" [2] .

" فالمكان أحد أهم العوامل، ان لم يكن أكثرها احتواء لمضامين التجربة، مما يجعله أكثر العناصر صلة بالنفس، لذلك لايظهر المكان في الشعر شيئا معزولا ، مفرداً أو تكويناً مجرداً، او بناء أجوف، وانما يظهر بكونه ممارسة ونشاطاً انسانياً مرتبطين بالفعل البشري ويحمل من بين مايحمله " مواقف وعواطف وخلجات ومشاعر وانفعالات الكائن الانساني ، ويجسد الافكار بكل تفاصيلها الصغيرة والكبيرة المعلنة والمختفية الواقعية والمتخيلة ، والمحتملة والممكنة للانسان عبر تاريخهِ العام والخاص" [3] .

" فالمكان – هنا – خلق حسي للصورة الشعرية ، وتجسيد فعلي للتجربة، أو باعث حقيقي لها، " وإن امتلاك الشاعر الوعي، بالمكان يعني أنه يفعل فيه فعلا خلاقاً " [4] .

كما يقول ابن رشيق " انما سمي الشاعر شاعراً لانه يشعر بما لايشعر به غيره " [5] ، اذن هو يجسد إحساسه وآلامه عند الوقوف على الطلل " وتأخذ ذاكرة

---

[1] جماليات المكان : 77.

[2] الزمان والمكان في شعر أبي فراس الحمداني : 64–65.

[3] ينظر : إشكالية المكان : 293 .

[4] ينظر : المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : 169.

[5] العمدة 116/1 .

المكان أهمية خاصة في الشعر العربي على مر العصور كما هي عند قيس بن الملوح في قوله [1] : –

أمر على الديارِ ديار ليلى أقبلُ ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

أي ان حب الديار يتعلق بساكنيها التي تتمثل العلاقة بينهما بترابط متين يشد وثاقه الزمن ".

ويمكننا أن نتذكر أن اهم القصائد العربية المطولة ومنها المعلقات السبع، تبدأ بمقدمة طللية تمجيداً للمكان الذي شهد حكاية حب أو ضم بين حناياه ذكريات الاحبة" [2].

ويتجاوز الشعراء العشاق المكان الارضي، ويرصدون الكواكب حتى قيل عنهم إنهم رعاة الكواكب، آملين أن تلتقى نظراتهم بنظرات احبائهم عند هذا الكوكب أو ذاك كقول الشاعر [3]:

أقلب طرفي في السماء لعله يوافق طرفي طرفها حين تنظر

كما أن المكان لم يكن هو القريب بل المكان البعيد في خيال الشاعر الذي يتمنى ان يصل إليه ليلقى الاحبة ، ويحلق الخيال بالشاعر العباس بن الاحنف الذي يتمنى أن يطير الى حبيبته البعيدة [4]:

بكيتُ الى سرب القطا حين مرّ بي فقلتُ ومثلي بالبكاء جديرُ
اسرب القطا هل من معبر جناحهُ لعلي الى من قد هويت اطيرُ

---

[1] ديوان مجنون ليلى ، جمع وتحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار مصر للطباعة ، القاهرة، د. ت : 170 .

[2] ينظر : طوق الحمامة ، معجزة الحب العذري ، كمال رمزي ، مجلة آفاق عربية ، العدد 141 ، سنة 2002 : 3

[3] ديوان مجنون ليلى : 122 .

[4] ديوان العباس بن الأحنف ، مطبعة دار صادر ، بيروت ، 1965 : 168 .

" ومما يزيد الأمر بؤساً ، ويجعل الشاعر أكثر شقاءَ انطماس معالم الأمكنة، وصعوبة التعرف عليها ، ومن خلال المقارنة بين ما كان يجري في هذه الامكنة قديماً ، وبين قفرها الآن ينمو الشعور بخيبة الأمل ، فيحس أن الجميل ذهب ، والأكثر من ذلك شعوره الأكيد بأن ذلك الجميل لن يعود أبداً" [1] .

وقول عبيد بن الأبرص يؤكد ذلك : [2]

لمن الديارُ أقفرت بالجنابِ غير نؤى ، ودمنة كالكتابِ
غيرتها الصبا ونفخ جنوب وشمالِ تذرو دقاق الترابِ
اوحشت بعد ضمرِ كالسعالى من بناتِ الوجيه أو حلابِ

ويدعم هذا الموقف طرفة بن العبد قائلا [3] :

لحولة اطلالُ : ببرقةِ ثهمدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

" إن الاستقراء الوافي للموروث الشعري ، يشير الى ان " الطلل " كيان تتجسد عليه جملة أفكار وممارسات انسانية انه المكان الفاعل الذي يثير احساساً بالوطن، والارتباط بالارض والانتماء، وبالصراع، والوجود ، وبالمرأة الرمز، وبالزمن مكثفا بصيغة الماضي، وبالحياة في شموليتها، أو الواقع في ممكناته الفكرية والاجتماعية ، وبالغرض : حيث يركز الفكرة المباشرة ، واحيانا الخفية من التجربة الانية " [4] .

ومن خلال اراء النقاد والاطلاع على شعر الشعراء ، يحق لنا ان نقول إن الطلل يمثل ذات الشاعر بكل ماتعنيه نفسياً وفكرياً وعلاقته مع الشعر .

لذلك " يعد الطلل إرثا فنياً جماعيا متجدداً، إذ أن كل شاعر يتناوله من رؤيته الخاصة فضلا عن كونه جزءاً اساسياً من البناء الشعري للقصيدة العربية، متفق عليه يتبعه الشعراء جيلا بعد جيل ، ولكن في التجربة يقول كل شاعر ان لي طللا انتمي

---

[1] الصورة الفنية لحقول التراجيدي في الشعر الجاهلي ، د. عبدالله خلف ، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن : 4.

[2] ديوان عبيد بن الابرص، تحقيق: علي الجندي، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د. ت : 21.

[3] ديوان طرفه بن العبد : 30 .

[4] المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : 193.

اليـه" [1] " فوقـوف الشـاعر علـى الاطـلال او اسـتنطاقها حالـة إنسـانية، وسـجية الانسان المنحاز الى الماضي الكامن في لا وعيهِ ، ماضي الشباب وخلو النفس من الأعباء والهموم وامتلاؤها بالحلم والأمل ، فالطلل حالة وليس مجرد رماد أو بقايا آثار " [2] ، " وبواسطة الطلل تتجسم علاقة الزمان وأثره في المكان بـ(الزمان قياس الحركة، والحركة لاتتم إلا في مكان) [3] " ويمكن أن نجد من خلال علاقة الزمان والمكان في الاطلال إنها تنبع من رؤية الشاعر وموقفه من الزمان" [4] اذ نجد أن أبا نواس يرى " أن الزمان الحاضر هو الزمان المثالي أما الزمان الماضي فهو زمان مرفوض، وتنعكس هذه الفكرة على قضية الاطلال من خلال بيان علاقة الماضي بالحاضر وأثر الزمان في المكان ومايطرأ عليه من تحول " [5] .

" من هذه النظرة ننطلق في رحلتنا مع أبي نواس ونحن مؤمنون ، بأن العمل الفني لايكون دائماً ترجمة ذاتية لصاحبهِ، وانما هو في صميمه بلورة لحياة الفنان وتوقاً لتطلعاته وتجسيداً لما يدور حوله " [6] .

وهاهو ذا الناقد الفرنسي (لا لو) في دراسته القيمة للعلاقة بين الفن والحياة يبين لنا بكل وضوح " أن الفنان لايضع في انتاجه صميم شخصيته، أي ماهو عليه بالفعل ، وانما هو يضع فيه مايعتقد انه كائنه أو مايريد أن يكونه أو ماهو عاجز عن أن يكونه أو مايخشى أن يكونه " [7] .

ونلتقي مع الدكتور طه حسين فيما يراه من أن شعر الشعراء لا يصور الشعراء تصويراً كاملا ، صادقاً يمكننا من أن نأخذهم منه اخذا مهما نبحث ومهما نجد في

---

[1] ينظر: المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : 263.

[2] المكان في شعر الشريف الرضي : 82.

[3] الازمنه والامكنه : 139/1.

[4] المكان في شعر الشريف الرضي : 83.

[5] المصدر نفسه : 83.

[6] ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد : 15.

[7] ينظر: المصدر نفسه .

التحقيق، ويرى مثلا أن ديوان المتنبي إن صور شيئا فإنما يصور لحظات من حياة المتنبي لا أكثر ولا أقل ولذا فأنت عاجز عن أن تخرج من ديوان المتنبي بصورة صادقة تلائم حياة المتنبي كما كانت في النصف الاول من القرن الرابع ... اذن فقد يكون من الخير أن نقتصد والا نتشدد في هذه النظرية التي يحيها المحدثون ويشغفون بها، وهي أن الشعر مرآة الشاعر وان الآدب مرآة الاديب .

ويرى الدكتور طه حسين، كان أبو نواس يريد أن ينهج بالشعر منهجاً جديداً ، لم ينهجه المتقدمون، أو قل إنهم نهجوه، ولكنهم لم يشعروا بذلك ، ولم يتخذوه عقيدة أو مذهبا في الأدب ، كان يريد ان ينهج بالشعر منهجاً يشبه المنهج الذي نريد نحن وأصحابنا أن ننهجه بالكتابة، كان يريد أن يتخذ الشعر لساناً للحياة الحاضرة، وأن يلائم بين الشعر وبين ذوق الشعراء ، والذين يسمعون للشعراء، كان يريد – بعبارة مجملة – أن يعدل عن أساليب القدماء في وصف الأطلال والبكاء عليها ، وفي تغني الإبل والشاه ، الى وصف الحياة التي يحياها الشعراء والمستمعون لهم. إيثاراً للصدق وبعداً عن الكذب " [1] .

لنتعايش مع ابي نواس من خلال شعرهِ ، لنرى ماتوصل اليه النقاد في ثورته على الموروث الشعري ومسببات تلك الثورة ، ولنبحر في هذه المسببات التي يمكن ان نعدها في صميم الموضوع هي قضية الحداثة أو مسألة (القدماء والمحدثين) منطلقاً لبحثنا هذا حول النظرة التي تمثلت في خروج أبي نواس على الاطلال في قصيدته وهنا سؤال يطرح نفسه يتطلب تحديد موقف هذا الشاعر من الطلل، والمؤثرات التي كانت الدافع في تحوله – حالة الاستبدال – الوقوف على حالة الرفض والاستهجان تجاه الطلل واستبداله بالخمرة .

أثر الحداثة في شعر المكان :

[1] حديث الاربعاء : 2/ 94 ؛ وينظر : في الأدب العربي الحديث – بحوث ومقالات : 43 – 44 .

تعتبر الحداثة من المؤثرات المهمة من خروج الشعراء على النمط القديم للقصيدة وكما لاحظنا ذلك باستبدال أبي نواس الابتداء بالخمرة بدلاً من الطلل وهذه المسألة أثارت النقاد القدامى ةالمحدثين لما لها من أثر كبير ، حيث يرى د. طه حسين أنه " لم يخل عصر أدبي في حياة الأمم ، التي كان لها نصيب من الأدب وحظ في إتقان القول وإجادته ، من هذه المسألة " مسألة القدماء والمحدثين " ولم تظهر هذه المسألة في عصر من العصور أو عند أمة من الامم ، إلا أحدثت خلافاً عظيماً وجدالا عنيفا ، وقسمت الأدباء على اختلاف فنونهم الأدبية أقساماً ثلاثة : قسم يؤيد القدماء تأييداً لا احتياط فيه ، وقسم يظاهر المحدثين مظاهرة لاتعرف اللين ، وقسم يتوسط بين أولئك وهؤلاء . ويحاول أن يحفظ الصلة بين قديم السنة الأدبية وحديثها، وأن يستفيد من خلاصة ماترك القدماء ويضيف اليها ما أبتكرت عقول المحدثين من ثمرات أنتجها الرقي ، وأثمرها تغير الأحوال وتبدل الظروف"[1] .

ويستطرد الدكتور طه حسين قائلا : إذن الخلاف بين القديم والحديث أصل من أصول الحياة، يشتد الجهاد بين أولئك وهؤلاء حتى يتم انتصار الجديد فيصبح هذا الجديد قديماً ويظهر جديدٌ آخر يحاربه" [2] .

ولاغرابة في ذلك فنرى أن للزمن دوراً فعالاً تجاه التغير في حياة الشاعر وشعره . ونلمس من ذلك ان الخلاف بين القديم والحديث يحدده الزمان ويؤثر فيه فيصبح الجديد قديماً ويأتي بعد ذلك الجديد في زمنه فيحتل الدور نفسه .

" وفي تاريخ الشعر العربي مراحل ثرة بشعرائها وموضوعات شعرهم واتجاهاتهِ المختلفة ، والقرن الثاني الهجري من أخصب تلك المراحل وأثراها، إذ كان بحق مصباً ومنبعاً في آن واحد لعديد من اتجاهات الشعر التي كانت سائدة قبل القرن الثاني، والتي دخلها شيء من التطور بفعل عوامل متعددة فحق عليها اسم المتجددة " [3] .

---

[1] حديث الاربعاء : 2/2 .

[2] المصدر نفسه : 5 .

[3] ينظر: قراءات نقدية : 148.

" ولكننا نظلم العصر الاموي ، ونظلم معه تاريخ الادب العربي، إن زعمنا أن التجديد الذي تناول لفظ الشعر ومعناه ، إنما حدث في العصر العباسي خاصة، فإن العصر الاموي قد كان عصر تجديد ايضاً " [1] – لسنا بصدد متابعة ذلك –

ومن خلال متابعة التحول في القصيدة العربية حتى العصر العباسي الأول، حيث " ظل العباسيون ينظمون في الموضوعات القديمة من المديح وغير المديح مما كان ينظم فيه الجاهليون والاسلاميون، وبذلك أبقوا للشعر العربي على شخصيته الموروثة، وقد مضوا يدعمونها دعماً بما لاءموا بينها وبين حياتهم العقلية الخصبة، وأذواقهم المتحضرة ، المرهفة ، فإذا هي تتجدد من جميع أطرافها تجدداً لايقوم على التفاصل بين صورة هذه الموضوعات الجديدة وصورتها القديمة، بل يقوم على التواصل الوثيق " [2] .

ويرى الدكتور طه حسين " انه لم يحدث تطور الأمة العربية ولا اشتداد الخلاف بين القديم والحديث – القدماء والمحدثين – شيئا ذا خطر في موضوع الشعر ، أو شكله كما يقول أهل القانون ، إنما أحدث شيئا جديداً في لفظ الشعر ومعناه ... ، إن هذا الشيء الجديد كان أقل جداً مما كنا ننتظر، فإن الحياة العربية تطورت في القرن الأول والثاني للهجرة تطرواً يوشك أن يكون كاملاً " [3] .

مما لاشك فيه ان التطور في الشعر العربي يسير ببطئ ذلك لسيطرة التقليد في صياغة القصيدة، ومحاربة أي اسلوب يدعو الى تغير نمطها او الخروج عليها.

وجاء العصر العباسي ، وانتقلت الخلافة من دمشق الى بغداد فجاور العرب الفرس، وأخذو بحضارتهم الناعمة المرهفة، فجدت في الشعر العربي فنون لم يألفها الجاهليون إلا بمقدار كاشعار المجون والخمر، أو لم يألفوها أصلا، كالغزل بالمذكر" [4] .

---

[1] حديث الأربعاء : 14 ؛ وينظر النقد المنهجي عند العرب: 71–72.

[2] العصر العباسي الاول : 159.

[3] ينظر: حديث الاربعاء : 2/ 9.

[4] حديث الاربعاء : 20/2 .

ويمكننا القول إن الحياة تغيرت ، فطرأ هذا التغير على الأدب عامة والشعر خاصة، فالشاعر الجاهلي كان يقول الشعر تعبيراً عن حياته هو ، فكيف يستطيع المحدث ان يقلده مع اختلاف المكان والزمان ؟ وانماط المعيشة .

" في الواقع أنه قد كانت هناك سبل عدة للخروج من هذه المشكلة ، فقد كان القدماء يمهدون قبلا لموضوع قصائدهم ببكاء الاطلال – الديار الدارسة – وترديد ذكرى الحبيبة، وهذا شعور صادق في حياة البدو الدائميي الرحلة. ولكن المحدثين قد استقروا بالمدن . وسكنوا القصور ، فهل يبدأون بوصف تلك البيوت البالية ؟ ، وهبهم فعلوا، هل يستطيعون أن يصلوا الى شيء يذكر؟ والاطلال جديرة بان تكون موضوعا للشعر وهجر المنازل والمرور بها بعد حين خليق أن يوقف الشاعر ويحرك قلبه " [1] . كما في مثل قول حسان بن ثابت [2] :

لمن الدار والرسوم العوافي بين سلع وابرق العزافِ
دار خود تشفي الضجيع بعذب الطعم مرٍ وباردٍ كالسلاف
ما تراها على التعطل والبذلة إلا كدرةٍ الأصداف

والشاعر حسان بن ثابت (ت 50 هـ) يبدأ الابيات بالاستفهام (لمن ؟) إنه استفهام العارف، فيه دلالات على تعظيم شأن صاحبة الدار إنها دار خود جميلة لايضيرها الملابس الممتهنة، أو إنها تتزين ، والدار هنا رمز يوحي بدلالات فيها الاثارة، شارك السكون عنه في الايحاء بما يريد الشاعر، وتبرز ايضا ثنائية الانفصال والاتصال بين الصورة الحسية، وبين الرسوم الدارسة التي تذهب الى بث الحياة بالجماد والسكون والاندثار في طريق الذكرى [3] إذن الاطلال تجسيد لحس الشاعر. " لكن متغيرات العصر كما اشرنا ، كانت السبب الاول في الخروج على القديم، أو ما نسميه باوجه الحداثة، وكما يرى احمد الشايب : ان الزمان ويراد به

---

[1] النقد المنهجي عند العرب : 71–72 ؛ وينظر: الشعر والشعراء : 62/1 ، 63/1.

[2] شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الأندلس ، بيروت ، 1980 : 330 .

[3] ينظر : المكان في شعر صدر الاسلام : 26.

العوامل المستحثه التي تتوافر لشعب ما في فترة من الفترات، ومن المقرر أن تقدم الزمن ، وانتقال الانسان من عصر الى آخر في درجات الرقي ، من شأنه أن يغير في مقومات حياته ، فتزداد معارفه وتتعمق معانيه ، وترتقي فنونه، وتلين حياته، وتتعدد مشاهداته، ويتأثر بغيره من الامم ، ويظهر على ثقافات أجنبية عديدة الجوانب، ويستهذب عصره الانساني " [1] .

ويستطرد أحمد الشايب قائلا : " لذلك يتغير ذوقه وقد يتغير من البساطه الى التعقيد، ومن الخشونه الى الرقة ومن الطبع الى الصنعة او التصنيع ، وبالجملة يصبح ذوقه حضرياً ، بعد أن كان بدوياً، او يرتقي في درجات الحضارة، فيتشكل بما يتقرر في عصره من أساليب متبعة ، ومذاهب مبتكرة، وبدائع رائعة، وهكذا يكون الذوق الادبي حلقة تاريخية تصور خلاصة الجهود الثقافية والتهذيبية لعصر من عصور التاريخ الادبي " [2] .

ومما يؤيد ذلك ما ظهر من تغير على شعر علي بن الجهم ، وما أحدثته الحضارة وسكن المدينة.

ومن هذا المنطلق أخذ أبو نواس ينعى على الشعراء ، ذكر الاطلال والدمن، ويحل محلها في ديباجة اشعاره قصيدة الخمرة والبساتين ، واماكن اللهو ، مسايراً الزمن ، مشتقاً موضوعاته ومعانيه من حياته الواقعية .

اذن خروج أبي نواس على الابتداء بالاطلال لا يعني رفضه لمطلع القصيدة وابتدائها بالطلل بل هي حالة استبدال المطلع الطللي بالخمرة، لان مطلع القصيدة دائما يؤثر في السامع او المتلقي وذلك ما أكده النقاد القدامى حيث "ينطلق ابن قتيبة في تفسيره للمطلع من وجهة نظر خاصة لايعبر فيها الشاعر عن بنية نفسية وذاتية

---

[1] اصول النقد الادبي : 128.

[2] المصدر نفسه ؛ وينظر : الشعر والشعراء 1 /2، 20/1

وإنما يقصد بها التأثير في نفس السامع أو المتلقي بعيداً عن الدوافع والبواعث التي تعكس ذاتية الشاعر وصدق مشاعره وعمق انفعالاته" [1] .

وفي ضوء هذه الالتفاتة النقدية يقدم لنا أبن رشيق القيرواني (ت 456هـ) تفسيراً يقترب في جوهره من تفسير ابن قتيبة (ت 276هـ) من حيث الصورة الظاهرية لدلالات المطالع في القصيدة فهو يرى أن الوقوف على الاطلال وافتتاح القصيدة بالنسيب وربطه بالمكان يرجع الى " مافيه من عطف القلوب واستدعاء القول بحسب مافي الطباع من حب الغزل ، والميل الى اللهو والنساء ، وإن ذلك استدراج الى مابعده" [2] .

وفي ضوء هذين التفسيرين جاءت نظرة القدماء الى مطلع القصيدة في كونها لاتعدو حدود النظرة الضيقة التي تبتعد عن جوهر النفس لمكوناتها الداخلية من عمق المشاعر وصدق التعبير عن الذات المتألمة وانعكاساتها النفسية، تعكس التمازج المباشر بين الزمان والمكان ، فالوقوف على الطلل والديار الخربة يوحي بقدرة الزمن وطاقته التدميرية ، وإحساس الشاعر بزواله المحتم والمصير المجهول الذي ينتظره، فينظر الى نفسه من خلال الطلل البالي ومعالمه الباهته، فيؤمن إيماناً عميقا بانه زائل لا محالة ، لذلك يمثل الطلل دليلاً صادقاً لتقهقر الزمن وعمق الفناء والخراب [3] .

فوقفة الشاعر القديم على الطلل انما تمثل حياته السابقة في الصحراء، وهذا يختلف عن وقفة الشاعر المحدث في العصر العباسي – عصر الحضارة ، " فحين يقف الشاعر عمرو بن معد يكرب أمام الاطلال الصماء الخرساء ، يتأمل مافعل بها الزمن يسترجع من خلالها ذكريات الامس واللحظات السعيدة، ويستحضر الماضي بكل ملذاته وآلامه ، ليدرك قيمة الزمن ، واهميته في ظل التوتر النفسي والقلق على

---

[1] العمدة 55/1

[2] البواعث النفسية في شعر الفرسان : 66 ، وينظر : العمدة 255/1 .

[3] المصدر نفسه ؛ وينظر : الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي : 247.

ينظر : شعر الحماسة في العراق : 42 .

المصير الغامض الذي ينتظره ، فيصبح اكثر انشداداً لفعل التجربة القتالية التي طوع لها وقفة الحسرة والأسى على طلل كان بالأمس عامراً يزهو بساكنيه. الطلل الذي اصبحت عراصه كتوشيم برد لشدة ما لعبت به الأنواء وغيرت معالمه بعد أن كان ديراً تقصي الاذله وتستقبل الضيوف والوقود ، فيقول:

لِمـــن طلـــلُ يتيمـــان فجنـــدٍ كـــأن عراصـــهُ توشـــيم بُـــرْدِ
ألا ماضـــر أهلـــك أنْ يقولـــوا ســقيتَ الغيــث مــن تلــدٍ وعهــدِ
ودارٍ تجـــذلُ الـــذلانُ عنهـــا ملمـــةٌ بأضـــيافٍ ووفـــدِ
إذا المهيـــاف ذو الأبـــل اجنواهـــا وأعـرضَ مشـيةَ الجمـل المفـد [1]

اذن فالمكان مرتبط بالزمن الذي تمتد سلطته حتى الاماني والذكريات . "إن اهتمام الشاعر بالمكان كان من دوافع أهتمامه بالشعور بقيمة الزمن الذي توحدت فيه فكرتا اليقين بالعدم، وقيمة التطلع الى الامتلاء من ملاذ الحياة ، وفي ظل هاتين الميزتين يناجي الشاعر ذاته " [2] .

وعليه "فإن استقراء شعر الاطلال يشير الى أن هذه المقدمات ليست صوراً مكانية جامدة أو محددة ، إنما هي مواقع لافكار وممارسات : بل هي بمثابة " الصياغة المباشرة للعقل ، وهو يفعل في المكان المألوف واليومي أفعالاً تحتوي نظرة كونية ، وكل مكان ، لافعل للانسان فيه، كان مداناً في الشعر" [3] .

وارتباط الشعراء بالمقدمة الطللية لايمثل تقليداً خارجاً عن الذات " فالمقدمة الطللية ، تفصيل فني لعالم مكاني مذهل حاول كل شاعر من خلاله تكوين أزياء شعرية مختلفة نابضة بالحياة والفن ، والدلالة تجسدت في أجمل واكثر القصائد بطريقة منعكسة عن العوالم الداخلية للنفس، وبفعل المخيلة النشيطة" [4] .

---

[1] ديوان عمر بن معد يكرب : ؛ وينظر : البواعث النفسية في شعر الفرسان ماقبل الاسلام:66؛ تيمان موضع جند : جبل باليمن البرود وتشيمها : من صناعة اليمن المعروفة

[2] الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، 347.

[3] المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام ، 246.

[4] المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام: 252.

ولكن استمرار تقليد الشعراء القدامى لاسلوب القصيدة لايعني انها صيغة خالية عن الارتباط الذاتي بل هي تجسيد حقيقي لمشاعرهم تجاه المكان الذي ينتمون إليه استمروا عليها ، مقلدين خارجين عن الارتباط بزمنهم ومكانهم الحقيقي مما دعا ابا نواس للثورة على التقليد لا على مكان الطلل ، واستمر الشاعر في الابتداء بالأطلال في أغلب الأغراض الشعرية " وكانت المدحة تشتمل على مقدمات تصف الاطلال وعهود الهوى ، وما يلبث الشاعر أن يستطرد الى وصف الصحراء ، ناعتاً مايركبه من بعير أو فرس، ومايراه فيها من حيوان وحشي ... وكل ذلك استبقاه شاعر المدحة في العصر العباسي، ولكن مع اضافات كثيرة ، حتى يلائم بينه وبين عصره .. وقد تعجب لاستبقاء هؤلاء الشعراء المتحضرين لعناصر الأطلال ورحلة الصحراء البدوية ؟! ، غير أنهم اتخذوها رمزاً ، أما الاطلال فلحبهم الداثر، وأما رحلة الصحراء فلرحلة الانسان في الحياة، وقد استغلوا ماكان يصحب الأطلال من حنين لذكريات حبهم ومعاهده لايزال يترقرق في أشعارهم من مثل قول مسلم بن الوليد [1] :

هـــلا بكيـــتَ ظعائنـــاً وحمـــولا تـــرك الفـــؤاد فـــراقهم مخبـــولا
فـــإذا زجـــرت القلـــب زاد وجيبـــه وإذا حبســـتُ الـــدمع زاد همـــولاً
واذا كتمـتُ جـوى الأسـى بعـث الهـوى نفســاً يكــون علــى الضــمير دلــيلا
واهـــاً لأيـــام الصـــبا وزمانـــه لـــو كـــان أمتـــع بالمقـــام قلـــيلا

وقد حاول بعض الشعراء أن يترك الحديث عن الاطلال المهجورة الى قصور الحاضرة المأنوسة ، وحينئذ كان لايسترسل في وصف حنينه ، على شاكلة أشجع السلمي إذ يستهل إحدى قصائده بقوله [2] :

قصـــر عليـــه تحيـــة وســـلامُ نثـــرتْ عليـــه جمالهـــا الأيـــامُ

إن الحضارة اثرت بشكل او باخر على المقدمة الطللية التي بدأ الشعر بالتخلي عن بدء القصائد على النمط القديم وقد ساد ذلك في العصر العباسي الاول والثاني

---

[1] شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق: د. سامي الدهان، دار المعارف ،مصر،1970: 53.

[2] أشجع السلمي حياته وشعره: د.خليل بنيان الحسون،دار المسيرة،بيروت، 1981: 252 .

وتمثل ذلك في شعر ابي نواس فاثار ضجة كبيرة شغلت النقاد القدامى منهم والمحدثين ، تلك الثورة التي ادت الى استبدال الطلل بالخمرة أو بمكان الخمر، حيث " وقف النقد الادبي الحديث إزاء بنية القصيدة النواسية عند خروج الشاعر – في بعض قصائده – على منهج القصيدة القديمة بصفة عامة، وأطال الوقوف عند ثورة الشاعر على مطالع القصيدة المدحية بصفة خاصة، وخروج الشاعر على تقاليد القصيدة العربية القديمة متأت من إعلان رفضه لوصف الديار أو الوقوف على ربوعها الخالية . ولما يجري به التقليد في السياق العام بعد ذلك من حديث عن الاحباب وعن الرحلة والناقة وما أشبه " [1] .

واختلفت اراء النقاد حول هذا الخروج المتعمد والملموس في شعر ابي نواس وتباينت وجهات النظر مما حدا بنا الى دراستها للوقوف على مسبباتها. ويرى الدكتور العربي حسن درويش في دراسته اوجه الحداثة في لغة أبي نواس " أن أبا نواس كان بطبعه أميل الى الذوق الجديد، الى جعل الشعر أداة للتعبير عن تجربة شعورية صادقة، وأن هذا جعله يرفض أن يحصر نفسه في التقاليد الموضوعية والشكلية لما في ذلك من الحد من حريته وانطلاقه ، ولما فيه من التكلف والتصنع"[2] .

اذن المجتمع الحضري الجديد ومؤثراته التي تمثلت باختلاف الحياة الحضرية عن حياة البادية بكل اشكال التغير من سكن وملبس وعلاقات اجتماعية وظروف معاشية تميزت بالترف والرفاه، في حين اتسمت حياة البادية بشظف العيش واستمراءها السكن في بيوت يسهل نقلها حسبما تقتضيها اوجه العيش وراء الكلأ والماء.

" ومن مظاهر الاعلان عن الفعل الحر ، وطاقة التعبير والتحويل جاءت ثورة أبي نواس على التقليد الشعري الثابت ، وعلى استمرار الشعراء في احتذاء النموذج

---

[1] ابو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 247.

[2] المصدر نفسه : 141.

الشعري القديم وعلى الأخص مايتصل منه بشكل القصيدة العربية القديمة وماتلتزم به من منهج وموضوع، فقد كان التقليد الشعري القديم مازال محتفظا بقوة استمراره وثباته، كما كان في أعين الرواة وعلماء اللغة والشعر من أمثال أبي عمرو بن العلاء وصحبته من أئمة النحاة واللغويين في عصره " [1] .

ان سبب تردد الشعراء بين القديم والحديث لم يكن يعود الى المؤثرات العقلية والاجتماعية والحضارية الجديدة ، انما يعود الى الخصومة بين القديم والمحدث وما لكل من هذين الاتجاهين من مريدين وخصوم أرادو ان يبثوا مواقفهم بالساحة الفنية لهذا العصر.

ويقول الدكتور العشماوي : " إن تيار القديم قد واكب حركة التجديد من خلال مظهرين في هذا العصر: المظهر الاول في وجود تلك الفئات الأعرابية التي تعصبت للقديم وتمسكت به وتتبعت خطاه مغلقة أعينها وآذانها عن التيار الجامح الذي اجتاح الامة الاسلامية آنذاك، وإني لأرى في اعتصامها بالصحراء مبرراً لها، والمظهر الثاني قصائد المديح التي استغل الشعراء مطالعها للعودة الى منهاج القصيدة القديم طمعاً في إرضاء نزعة العروبة المتأصلة في نفس الخليفة أو الوالي الممدوح، ومن خلال هذين المظهرين كثيرا ماكان الشعر في القرن الثاني الهجري يرتد بنا الى القديم ، إلا أن حركة التجديد بقيت تسير قدماً الى الامام" [2] .

واذا امعنا النظر في واقع المجتمع الجديد – مجتمع العصر العباسي – نستدرك ان ما اقدم عليه شعراء هذا العصر من تخلي او خروج عن نمط القصيدة القديم، يكون مشروعاً لانه يمثل حالة صدق مع الذات ، وتمسك الشاعر بمكانه الذي نشأ ويواصل العيش فيه، ذلك هو المبرر لثورة ابي نواس ولمن لم تكن لديه القدرة على اظهار الصدق في الفعل والقول.

---

[1] موقف الشعر العربي من الفن والحياة في العصر العباسي : 207.

[2] موقف الشعر العربي من الفن والحياة في العصر العباسي: 208–209.

ويقول أحد النقاد المحدثين في ذلك : " ويخيل الى من يقرأ سخرية أبي نواس من وقوف الشعراء على الاطلال أن الشعراء – الى عصره – كانوا لايزالون يبدأون قصائدهم بتلك الصورة التقليدية المعروفة في الشعر الجاهلي، وأنه قد ضاق بما في ذلك من زيف فني وتصوير لتجربة لاتدخل في حياة كثير من شعراء العصر العباسي " [1] .

ويؤيد ذلك قول الشاعر مصرحاً بتركه الوقوف على الديار [2] :

تركـــــتُ الربـــــع لا أبكيـــــ ـــــه والأطـــــلال والرســـــما
ولا أبكـــــي علـــــى ليلـــــى ولا سُـــــعدى ولاســـــلمي
وذاك لأننـــــــــي رجـــــــل علمـــت مـــنَ الهـــوى علمـــا

وقوله في قصيدة أخرى يعرض فيها عن منهج القدماء [3] :

مـالي بـدار خلـت مـن أهلهـا شـفل ولا شـجاني لهـا شـخص ولا طلـلُ
ولارســـوم ، ولا أبكـــي لمنزلـــة للأهـل عنهـا، وللجيـران منتقـلُ
ولا قطعـتُ علـى حـرفٍ مـذكّرةٍ فـي مرفقيهـا إذا استعرضـتها فتـلُ
بيـداء مقفـرة يومـاً – فأنعتهـا ولاسـرى بـي فأحكيـه بهـا جمـل
ولا شـتوت بهـا عامـاً فـادركني فيها المصيف فلي عن ذاك مرتحل
ولا شـددت بهـا مـن خيمـة طنبـاً جاري بها الضب والحرباء والورل
لا الحـزن منـي بـرأي العـين أعرفـه ولـيس يعرفنـي سـهل ولاجبـل
لا أنعـتُ الـروض إلا مارأيـتُ بـه قصراً منيفاً ، عليه النخل مشتمل
فهـاك مـن صـفتي إن كنـت مختبـراً ومخبـراً نفـراً عنـي اذا سـألوا

---

[1] حركات التجديد في الشعر العباسي ، 409 –410 ؛ فصل من كتاب " الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين إشراف ، د. عبدالرحمن بدوي، دار المعارف بمصر ، 1962.

[2] الديوان : 376.

[3] الديوان : 698.

إن دلالة هذه الابيات هو قناعة ابي نواس بان يكون الشاعر صادقا في تمثيل بيئته ويعبر بصدق عن واقعه الذي يعيش فيه هو لا الواقع الذي عاش فيه السلف.

" والحق إن الوقوف على الاطلال قد اصبح رمزاً للبداوة والتخلف عن مسايرة روح الحضارة الجديدة قبل أبي نواس بوقت طويل، ومع ذلك لايمكن أن تعد تلك السخرية من المطالع التقليدية عند أبي نواس تعبيراً عن تجديد فني خاص أو ثورة على القيم الشعرية القديمة" [1] .

ومما دعا الى هذه النظرة من النقاد، أن ابا نواس لم يترك الموروث الشعري أو ذكر الاطلال ، ذلك لايعدو ان يكون تردده بين القديم الموروث والحديث المعاش، ولايستطيع الناقد ان يقنع بما برره ابو نواس عن عودته الى الموروث احياناً بان الخليفة قد أمره بوصف الطلول [2] ، كما في قوله : [3]

أعر شعرك الأطلال والدمن القفرا فقد طال ما أزرى به نعتك الخمرا
دعاني الى نعت الطلولِ مسلطُ تضيق ذراعي أن أجوز له امراً
فسمع أمير المؤمنين ، وطاعةٌ وإن كنت قد جشمتني مركباً وعراً

اذن مسألة القديم والحديث أخذت أبعاداً واسعة تمثلت في رأي النقاد بجوانب لها دور أساس كأوجه الحداثة بأسلوب الشعر وكما يقول الدكتور العربي درويش "لقد تتبعت اوجه الحداثه في لغة الشاعر من خلال وقوف النقاد على هذه الظواهر اللغوية، فرأيت أن ظاهرة علمه باللغة قد ردت الى اصول قديمة إبان تخرجه على ايدي الفحول ، وأن الظواهر اللغوية الاخرى تتصل على نحو من الإنماء – بتجليات الحداثة " [4] ، ويقول : " ومن خلال تتبعي لاوجه الحداثة في صور أبي نواس التي وقف عندها النقاد رأيت ان الحداثة تتجلى على انفراد في بعض صوره، وانها تتداخل مع القدم في بعضها الاخر، إلا أنني وجدت له في هذا الصدد صوراً تسللت الى

---

[1] حركات التجديد في الشعر العباسي : 410.
[2] المصدر نفسه : 411.
[3] الديوان : 21.
[4] ينظر: أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 9.

شعره من التراث القديم ، على أن أبا نواس، لم يكن في كل صوره المستمدة عن التراث الشعري ، يقف موقفا سلبياً ، بل إنه يعدل في كثير من هذه الصور إذ هو يعمد الى اختصار الصورة أو تركيزها ، أو يعمد الى توسيعها والزيادة فيها فيقويها ويجلوها [1].

وتابع قائلا : " ومن خلال تتبعي لمطالع قصائد أبي نواس التي وقفت عندها والنقاد ، ورأيت أن الشاعر يجعل الحداثة في الصدارة على انفراد احيانا، وأنه يجعل القدم له الصدارة على انفراد احيانا ثانية وأنه يجعل من الحداثة والقدم طرفي نقيض في احيان ثالثة [2].

مثال قوله [3] :

لاتبك ليلى ولاتطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد

فحداثة ابي نواس تعكس رؤاه بايمانه بالحاضر من مواجهة الماضي . " حيث كان النضال في عصره مستمرا بين المحافظين والمجددين بين الذين يرومون التمسك بمقاييس الشعر القديمة ، وبين الذين يرومون استبدالها بمقاييس أخرى فوقف الى جانب هؤلاء، على أنه لم يفعل ذلك في كل شعره"[4] ، ومن الطبيعي أن يكون للحداثة الدور الكبير بخروجه بالاستهلال بالطلل ، كما فعل الشعراء ومن سار مسارهم ، فالطلل ذلك المكان الذي لا وجود له في ذاته وليس الحداثة في الشعر العامل الأول ، بل العلاقة المكانية .

ولم يكن لشعر المحدثين تلك المكانة لدى النقاد بل هناك من ينظر الى شعرهم نظرة تقل عن الشعر القديم .

---

(1) ينظر : المصدر نفسه : 9

(2) المصدر نفسه : 10 ؛ ويذكر أن ابن رشيق قال : زعموا أن أول من فتح هذا الباب –عدم ذكر المقدمة وفق هذا المعنى (أبو نواس) في هذا البيت .

(3) الديوان : 127.

(4) امراء الشعر العربي في العصر العباسي : 110.

ويذكر الدكتور محمد زكي العشماوي : مما أورده عن ابن الاعرابي قوله : "إنما اشعار هؤلاء المحدثين مثل أبي نواس وغيره مثل الريحان ، يشم يوماً، ويذوي فيرمى به ، واشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته إزداد طيباً."[1]

وأنشده رجل شعراً لأبي نواس أحسن فيه ، فسكت فقال له الرجل : " أما هذا من أحسن الشعر ؟ قال بلى ولكن القديم أحب الي ".

ونستشف من هذه الرواية أن القدماء كانوا يتعصبون الى القديم حتى ولو حسن الشعر المحدث، وان الخروج على دستور القصيدة القديمة خلق ضجة خاصة وان القدماء لم يألفوا ماحدث لمعاني الألفاظ من رقة حاشية الحياة الحديثة، وظهر فيها الترف ولين العيش ... فالخلاف بين القدماء والمحدثين يكاد يكون في الاعتراف بالحديث لافي قبوله ، فالحديث مقبول بطبعه ، لأنه الحياة ، ولكن الاعتراف به شاق ، لأننا فطرنا على المحافظة والاتصال بالسنن الموروثة [2] .

ويقول الدكتور طه حسين " ومن هنا نفهم أن أبا نواس كان أشد الناس الحاحاً في تغيير الاسلوب الشعري ، وتجديد اللفظ والمعنى، ونفهم أنه لم يكن وحده مغير الأسلوب الشعري ولا مجدد اللفظ والمعنى، وانما كان الشعراء المعاصرون له – سواء منهم أنصاره وخصومه – ، يغيرون الاسلوب الشعري ويجددون اللفظ والمعنى أيضا، وكان منهم من يعترف بهذا التغير، ويرى أنه مشروع، فيمضي فيه ، ويحرص عليه وكان منهم من ينكر هذا التغيير ، ويتكلف الفرار منه " [3].

اذن كان أبو نواس يطالب الشعراء ان يصدقوا مع انفسهم ولماذا لايمثل شعرهم الحياة التي يعيشونها فيجسدونها بكل صورها مهما كانت لان تقليد القدماء لايعطي للشاعر قوة او دفعاً، انما يبعده عن واقعه ، إن طريقة أبي نواس في الدفاع عن رأيه يؤشر استخدام السخرية والتهكم كما نرى ذلك بقوله : [4]

---

[1] موقف الشعر العربي من الفن والحياة في العصر العباسي : 207.

[2] ينظر: حديث الاربعاء : 95/1.

[3] حديث الاربعاء: 96.

[4] الديوان: 46؛ وينظر: حديث الاربعاء:96/1؛وأبو نواس وقضية الحداثة في الشعر: 253.

عــاج الشــقى علــى دار يســائلها ... وعجــت أســأل عــن خمــارة البلــدِ
لايرقــيءُ اللهُ عينــي مــن بكــى حجــراً ... ولا شفى وجد من يصبو الى وتدِ
قــالوا ذكــرت ديــار الحــي مــن اســدٍ ... لادر درك قــل لــي مــن بنــو اســدٍ
ومــن تمــيم ومــن قــيس واخــوتهم ... لــيس الأعاريــب عنــد الله مــن أحــد
دع ذا عــدمتك ، واشــربها معتقــةً ... صــفراء تعنــق بــين المــاء والزبــد
مــن كــف مختصــر الزنــار ، معتــدل ... كغصــن بــان تثنــى ، غيــر ذي أودِ
....
كــم بــين مــن يشــتري خمــراً يلــذ بهــا ... وبــين بــاك علــى نــؤى ، ومنتضــدِ

ومن يتأمل ما احتوته كلماته من تعجب واستهزاء مع موازنة بين موقفه من الخمرة وباكي الأطلال فهو يذم القديم لا لانه قديم وإنما يتعلق بنظرته تجاه القديم لانه تخلف عن الحضارة " إن الوقوف على الاطلال – مكان السكن – وترديد صوت الأحبة لايمثل في ذاته ذلك الارتباط، فالماضي زمن رحل وتلك الامكنة لم يعد الوقوف بها، وإن كانت تمثل حياة اناس من الاعراب لهم مكانة وشأن سكنوا ذات يوم تلك الديار، بل إن الحاضر بكل مافيه من تقلبات الزمن ، يمثل كينونة الوجود ، والاستمرارية التي بدورها تمثل البحث عن أمكنة اللهو والعبث " [1] ، ويمكن القول إن العلاقة الذاتية مع الأطلال لا وجود لها لأنها لا تمثل ماضيه . اذن البكاء على منازل هند وأسماء ، ضرب لاطائل من ورائه ، على الرغم من اقتران هذه الدعوة بوصف الخمرة والاقبال عليها، ويمثل موقفه هذا فكرته التي أثارت النقاد في القديم والحديث، والتي تمثلت بالسخرية من القديم وذم الاعراب ودعوته لمن يبكي الحجر والوتد ، أن يترك ذلك الماضي والعودة الى الحاضر، اذن لماذا الحسرة على زمن فات وانطفأ وميضه ، فالخمر وديار القصف في حاضر الانسان وارتباطه بالزمن والمكان الذي يبعث الحياة الجديدة وذلك يمثله قوله [2] :

---

[1] ابو نواس في شعره الخمري ، انيس المقدسي : 107–108.

[2] الديوان : 557 ؛ وينظر:شعراء الأندلس النقاد،محمود شاكر محمود،رسالة ماجستير:

دع الرسم الذي دثرا ... يتاسي الريح والمطرا
وكن رجلا أضاع العلـ ... مَ في اللذات والخطرا
ألم تر مابنى كسرى ... وسابور لمن غبرا
منازه بين دجلة والـ ... فرات تفيأت شجرا
بأرض باعد الرحـ ... مان عنها الطلح والعشرا
ولم يجعل مصايدها ... يرابيقا ، ولا وحراً
ولكن حور غزلان ... تراعى بالملا بقرا
وإن شئنا حثثنا الطيـ ... رِ من حافاتها زمرا
وإن قلنا أقتلوا عنكم ... يباكر شربها الخمرا
فذاك العيش لاسيداً ... بقفرتها ولا وبرا

إنه ينعى على الذين يبكون الإطلال الدائرة ويطلب تركها عرضة للريح والمطر، وقد استعمل صيغة الامر (كن رجلا) أي امتثل لطلبي بترك البكاء على الاطلال وانظر الى الحاضر ليكن لك ذلك التواجد كما بنى كسرى، ولاتلتفت الى الماضي.

اذن لماذا البكاء على الاطلال مادام للمرء امكانية العيش في ظل الحاضر دون ألم وحسرة لزمن فات.

وليكن الحاضر ملذات ولهواً في ديار الخمر : لقد استبدل أبو نواس الخمرة في مطالع قصائده بدل الاطلال فالخمرة في ذاته عشق غريب أجاد في وصفها وبرع في رسم ادق صفاتها وعلاقته بشاربها ومكان شربها. فالخمرة ، هي معايشة للشاعر في حاضره وان يأتي ذكرها في مطالع قصائده حالة جديدة هي حالة استبدال مطلع قصيدته بنوع من الموازنة الفريدة والتي لم يسبق اليها احد من الشعراء.

ومما تقدم نخلص إلى أن سخرية أبي نواس بالطلول والوقوف عليها ، ودعوته إلى الاستمتاع بالمكان المدني مبعثه التحول عن المكان القديم إلى المكان الحديث ، المكان المدني ، بل يمكننا القول أن ما صدر من شعره في هذه البنية هو عبارة عن التعبير عما تكنه ذاته فاعتمد المفاضلة بين المكان الطللي والخمر التي عاشها في المدينة بكل اتساعها .

المبحث الثاني

موقف الشاعر من الطلل

موقف الشاعر من الطلل :

إن رؤيا الشاعر لهذه الاطلال التي استبدلها بالخمر في زمان ومكان عيشه في الحاضرة ترتبط بذاته في نفس اللحظة وتعبر عن مكنون نفسه وعمق الصلة بين الرغبة الجامحة لشربه الخمر، وحبه لها حتى تمثلت له بانها علاقة ذاتية أشد اصراً من علاقته بالاطلال وقوله [1] .

مـــــــالي وداراً درســـــــت استوحشـــــــت أو أنســـــــت

فالاطلال – مكان عفا الزمن عليها، وأقفرت أو استوحشت لعدم المرور بها ، حتى درست بفعل تعاقب الزمن وظلمه لها وان كان هذا المكان – مكان سلمى أو هند أو ليلى اللواتي لا يمثلن في قلب الشاعر وذاكرته مكاناً ، كما قال [2]:

دعْ طلـــــــولاً تأبـــــــدتْ مـــــن ســـــليمى وأقفـــــرت

ويكثر أبو نواس في هجاء الاطلال ومن سكنها ويستبدلها بالخمرة لما لها من فعل واثر فهو بهذا يؤكد كونه ابن الحاضرة بكل ماتعني باختلافها بالعيش وازدهار الحياة وتطورها حتى وصف العصر العباسي بالعصر الذهبي وكان للعلم والعلماء أثر في تغير الحياة العقلية والدينية واشتداد الخصومات بين الفرق والمذاهب والثقافات المكتسبة من الدول المجاورة التي تم فتحها ودخولها في الاسلام فاختلطت مع حضارة الدولة فاثرت في شخصية الشاعر وخاصة انه يملك ثقافة دينية ومذهبية وفلسفية وعلاقته مع علمائها [*] مما اثار حفيظة ابي نواس النظر الى " موقفه نظرة الرفض وخاصة مجاهرته بشرب الخمر وبالعصيان فقال:[3]

دع عنـك لـومي فـإن اللـوم إغـراء وداونـــي بـــالتي كانـــت هـــي الـــداء
صـفراء لاتنـزل الاحـزان سـاحتها لـــو مســـها حجـــر مســـنه ســـراء

---

[1] ديوانه بشرح الصولي : 111.

[2] المصدر نفسه : 112.

* وماروى عن علاقة ابي نواس في صباه مع ابراهيم النظام ، حتى اعتنق مذهب المعتزلة.

[3] الديوان : 6 – 7 .

رقت عن الماء حتى مايلائمها ... لطافة ، وجفا عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نورا لمازجها ... حتى تولد أنوار وأضواء
دارت على فتية دان الزمان لهم ... فما يصيبهم إلا بما شاؤا
لتلك ابكي ، ولا أبكي لمنزلةٍ ... كانت تحل بها هند واسماء
حاشا لدرةِ أن تبنى الخيام لها ... وأن تروح عليها الإبل الشاء
فقل لمن يدعي في العلم فلسفة ... حفظت شيئاً، وغابت عنك أشياء

فالمكان الدارس الذي كان مسكناً لهند وأسماء والذي عفا عليه الزمن ليس بوصاف له ولا على ربعه بوقاف وان الخمر أشهى واكثر قدرة على التجاوب مع ذاته من الاطلال [1] .

فالمكان القديم ، ويقصد به الطلل – ليس له مكانه المكان في الحاضرة، وإن نظرة الاستبدال التي وظفها أبو نواس، بتفضيله الخمر لما لها من تأثير فيه على اطلال بالية .

ومن الملاحظ أن ابا نواس اراد بذلك ان يبعد الشعراء عن التقليد الخارجي والرجوع الى التعبير عما تجيش به النفس بكل ماتملكه من عواطف وانفعالات بواقعها حتى لو كان ذلك لايتساير مع رغبات النقاد القدامى الذين يفضلون استمرار الشعراء في تقليد القدامى لا بالمطالع بل باللفظ والمعنى ولو كان ذلك بعيداً عن الفاظ الحاضرة ومعانيها.

ويرى اغلب النقاد أن دعوته هذه – استبدال الطلل بالخمرة ، أي رفضه القديم لانه لايؤثر في حياته – إنما يعود الى ان حياة المدن ، وما فيها من واقع مختلف كليا عن واقع الصحراء، أي ان هذا البعد ليس بعداً مكانيا بل بعداً ذاتيا اختلفت فيه الصلات وتقطعت الروابط ، وتغيرت فيه معالم الاثر ، وقصرت مسافات الصلة الحقيقية المتمثلة بالسكن بالمكان ذاته، لذا لايوجد حتما أثر للمكان الصحراوي في

---

[1] ينظر: ابو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 247.

ذات شاعر المدينة ليشده الى التذكر ، بل أن اماكن الحضارة التي كان يرتادها هي التي تمثلت في صوره الشعرية حتى عاد وتذكرها ووقف عليها قائلاً : [1]

عفـــا المصـــلى وأقـــوت الكثـــب ... منـــــى ، فالمربـــــدان ، فاللبـــــبُ
فالمســجد الجــامع المــروءة والــ ... ديـــن عفـــا ، فالصـــحان فالرحـــبُ
منـــازل قـــد عمرتهـــا يفعـــاً ... حتـــى بـــدا فـــي عـــذاري الشـــهبُ
فـــي فتيـــة كالســـيوف هـــزهم ... شـــرخ الشـــباب ، وزانهـــم أدب
ثـــم اراب الزمـــان فاقتســـموا ... أيـــدي ســـباً فـــي الـــبلاد ، فانشـــعبوا
لـــن يخلـــف الـــدهر مـــثلهم أبـــداً ... علـــيَّ .. هيهـــات شـــأنهم عجـــب
لمـــا تيقنـــت أن روحـــتهم ... لـــيس لهـــا ماحييـــت منقلـــبُ
أبليـــت صـــبراً لـــم يبلـــه أحـــد ... وأقتســـمتني مـــآرب شـــعبُ

ومن يستقرئ هذه الابيات يتجسد امامه روعة التعبير عما احس به الشاعر من صدق مشاعر ورغبة بالعودة الى اماكن الصبا وملاعبها، ومدى تأثره عندما أحس بفقد الاحبة وجور الزمن بما فرضه عليه من البعد والحرمان، وما وقفته بدار الاحبة ايام كان غلاماً قارب العشرين من عمره – حتى بدا الشيب على جانب اللحيين إلا وقفة ألم – فهو شبه الشيب بالشهب تشبيها اعطى حلاوة لرسم الصورة التي عبر عنها بصدق .

ولاشك أنه كان يجد للذكرى وجداً عظيماً، ويحس بها ولها، حتى بالغ في طلب النسيان، ولكنه أراد وصل الصلة مع من بعد عنهم والمحافظة على ديمومتها، لكنه عاد فقطعها محاولا النسيان لماضيه ، مع اشتياقه الى معاهد صباه في البصرة، مع أنه كان يتكلف الصبر ويلزم نفسه السلوان ، لاهياً بالشرب والقصف في حانات الخمر والمتنزهات بعيدا عن الذكرى. اذن نلتمس حالة جديدة من خلال عودته الى

---

[1] الديوان : 3 .

الكتب : تلال الرمال ، اقوت : خلت المربدان : يريد المربد وثناه ضرورة، والمربد موضع بالبصرة .

ندب الاطلال ، حيث اوضحت الرؤية التي نستطيع ان نجسدها بأن ابا نواس لم ير في تذكر الاطلال في الصحراء وجود روابط بينها وبينه – أي تلك الامكنة غير مرفوضة لكونها ارض الاعراب – هذا ما عكسته لنا الصورة التي وصفت وقفته على اطلال في المدينة – دار مسجد ومرابع لعب – والتي تحتضن علاقاته وروابطه الاجتماعية بالاهل والاصدقاء "ويرى الدكتور هدارة بعد ان مثل لعديد من الشعراء الذين لم يلتزموا بالمقدمات التقليدية في قصائدهم ،" أن أبا نواس لم يكن وحده في الثورة على بكاء الاطلال ... ولكنها كانت نتيجة تفاوت كبير حدث في مفهوم الشعر في تلك الفترة بتأثير عوامل مختلفة " [1] أما أن هذه الدعوة كانت محاذاة للقديم فأمر ننكره أشد الإنكار ، ذلك أن هؤلاء الشعراء الذين دعوا الى نبذ الأطلال باعتبار أنها مظهر منعدم في حياتهم لاتقع عليه ابصارهم لم يجعلوا لافتتاح قصائدهم رسماً معيناً لايتعداه الشعراء ، ولكن الملاحظ انهم كانوا يستغلون بداية قصائدهم في التعبير عن انفسهم ومشاعرهم ونوازع حياتهم، فوصف أبان اللاحقي هذا المجلس اللاهي أو وصف أشجع السلمي لتأثير الخمر في النفوس ليس شيئا واحداً، كما انه ليس صورة متبعة مفروضة على الشعراء بحيث يجب عليهم أن يقولوا في مثلها بدلا من وصف الأطلال ، ولهذا فإننا نجد في مقدمات قصائد المديح شعراً في الحكمة أو في النسيب ، لا على الصورة التقليدية القديمة – ولكنه عرض حقيقي لمشاعر صادقة لاتكلف فيها ولازيف ، إذ نجده يتردد في مدائحه بين المذهب القديم والمذهب الجديد طوال حياته، فهو احيانا يمدح هارون الرشيد على الطريقة القديمة فيذكر الاطلال ، ويصف راحلته التي اوصلته الى الممدوح وما إلى ذلك [2]، وكما في قوله [3] :

حـــي الـــديار،إذ الزمـــانَ زمـــانُ وإذ الشـــباكُ لنـــا حـــرى ومعـــانُ

---

[1] اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري : 111 ؛ وينظر : أمراء الشعر العربي في العصر العباسي : 83 ؛ في الشعر العربي العباسي والفن في الادب العباسي : 247 . ينظر: رغبة الأمل من كتاب الكامل :170؛ وينظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب : 188 .

[2] اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري : 154 .

[3] الديوان: 404 - 406 .

ياحبـــذا ســـفوان مـــن متربـــع ولربمـــا جمـــع الهـــوى ســـفوانُ
وإذا مـــررت علـــى الـــديار مســـلماً فلغيـــر دار أميمـــة الهجـــرانُ
إنـــا نســـبنا ، والمناســـب طنـــة حتـــى رُميـــتِ بنـــا وأنـــتِ حصـــانُ
لمـــا نزعـــتُ عـــن الغوايـــة والصـــبا وخـــدت بـــي الشـــدنية المـــذعانُ
ســـبط مشـــافرها، دقيـــق خطمهـــا وكـــأن ســـائر خلقهـــا بنيـــانُ
واحتازهـــا لـــون جـــرى فـــي جلـــدها يقـــق كقرطـــاس الوليـــد هجـــانُ
والـــى أبـــي الامنـــاء هـــارون الـــذي يحيـــا بصـــوبِ ســـمائهِ الحيـــوان
ملـــك تصـــور فـــي القلـــوب مثالـــه فكأنـــه لـــم يخـــلُ منـــه مكـــانُ
مـــاتنطوي عنـــه القلـــوب بفجـــرة إلا يكلمـــــه بهـــــا اللحظـــــانُ
فيظـــــل لاســـــتنبائه، وكأنـــــه عـــينٌ علـــى ماغيـــب الكتمـــانُ
هـــارون الفنـــا إئـــتلاف مـــودةٍ ماتـــت لهـــا الاحقـــادُ والاضـــغانُ
....
ألفـــت منادمـــة الـــدماء ســـيوفه فلقلمـــا تحتازهـــا الأجفـــانُ
حتـى الـذي فـي الـرحم لـم يـك صـورة لفـــؤاده مـــن خوفـــه خفقـــانُ
حـذر امـرئ قصـرت يـداه علـى العـدا كالـــدهر فيـــه شراســـة وليـــانُ
متبـــرج المعـــروف، عـــريض النـــدا حصـــرٌ بـــلا منـــه فـــم ولســـانُ
للجـــود مـــن كلتـــا يديـــه محـــرك لايســـتطيع بلوغـــه الإســـكانُ

" وأبـو نـواس أحيانـا اخـرى يمـدح الرشـيد فيبـدأ قصـيدته بأبيـات قليلـة يـذكر فيهـا الاطـلال ، وكأنمـا كـان ذلـك تعميـة منـه لمـا يضـمره فـي نفسـه مـن رغبـة فـي وصـف الخمر ، ويبدو أنه كان متردداً حذراً في مدح الرشيد على المذهب الجديد فكان لابد له من التعمية في تلك القصيدة التي نتحدث عنها وهي [1] :

لقـد طـال فـي رسـم الـديار بكـائي وقـد طـال تـردادي بهـا وعنـائي

[1] الديوان : 402-403.

كـــأني مربـــغ فـــي الـــديار طريـــدة ... أراهـــا أمـــامي مـــرة، وورائـــي
فلمـا بـدا لـي اليـاس عـديت نـاقني ... عـن الـدار، واسـتولى علـي عزائـي
الـــى بيـــت حـــانٍ لاتهـــر كلابـــه ... علـــي، ولا ينكـــرن طـــول ثـــواني
فـــإن تكـــن الصـــهباء أودت بتالـــدي ... فلـــم تـــوقني أكرومتـــي وحيـــائي
فمـا رمتـه حتـى أتـى دون مـا حـوت ... يمينـــي حتـــى ربطتـــي وحـــذائي
وكـــأس كمصـــباح الســـماء شـــربتها ... علـــى قبلـــه أو موعـــدٍ بلقـــاء
أتـــت دونهـــا الايـــام حتـــى كأنهـــا ... تســـاقط نـــور مـــن فتـــوق ســـماء
ترى ضوءها من ظاهر الكأس ساطعا ... عليـــك وإن عطيتهـــا بغطـــاء
تبـــارك مـــن ســـاس الامـــور بعلمـــه ... وفضـــل هارونـــا علـــى الخلفـــاء
نعيش بخيـر مـا أنطوينـا علـى التقـى ... وماســـاس دنيانـــا أبـــو الامنـــاء
إمـــام يخـــاف الله حتـــى كأنـــه ... يؤمـــل رؤيـــاه صـــباح مســـاء
اشـــم ، طويـــل الســـاعدين، كأنمـــا ... ينـــاط نجـــادا ســـيفه بلـــواء [1]

" بعد أبيات قليلة من هذه المقدمة التي جرى فيها ابو نواس على مذهب الاقدمين ، فاجأ الرشيد بهذه النقلة الجديدة من شعر فقال: فلما بد لي اليأس عديت ناقتي ...) ويبدو ان هذا المذهب الجديد في شعر المديح قد صدم الشعور الديني عند هارون الرشيد ، إذ يذكر لنا الرواة أن وجهه قد تغير عند سماع تلك الابيات في وصف الخمر وذكره الحان ، وأراد أن يأمر بأبي نواس لولا انه انتقل الى مديحه الذي سر الخليفة" [2] .

"اذن عودة ابي نواس لم تكن بعد ان هجر المقدمة الطللية بل كان بين القديم وبين مذهبه الجديد حتى استمر به بعد وفاة الرشيد لانه كان يمنعه كما ذكر في

---

[1] يناط : يعلق، ونجاد السيف : حمائله يمدح الرشيد بالطول فيقول كأن حمائل سيفه – وتعلق في الوسط عادة – قد علقت بلواء والعرب تمتدح هذه الصفة في الرجال ويعدونها دليل الهيبة وعنوان القوة

[2] ابو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 366 ؛ وينظر: في الشعر العباسي : 346 ؛ وابو نواس بين التخطي والالتزام :131 ؛ وفي الشعر العباسي : 347.

ابيات ذكرت سابقا في قوله " دعاني الى نعت الطلول مُسلط" . ويمكن ان يقال ان البدء بذكر الاطلال في قصيدته المدحية خاصة، يصطنع الشاعر به الوقوف على الاطلال ولايتحدث في مستهلها عن الديار فحسب، بل ينسب كذلك ويصف الناقة التي رحل بها عن مغانيه القديمة أيام الشباب ، شأنه شأن التقليدين. وهي القصيدة التي كان مطلعها " حي الديار إذ الزمان زمانُ " ، وكذلك في قصيدة أخرى في مدح العباس بن عبد الله يسأل عن الدمن وأهلها فيقول [1] :

لمـــن دمـــن تـــزداد حســـن رســـوم على طول ما أقوت وطيب نسيم
تجـافى البلـــى عـــنهن حتـــى كأنمـــا لبســـن علـــى الإقـــواء ثـــوب نعـيم
ومـــازال مـــدلولا علـــى الربـــع عاشـــق حســـيرُ لبانـــات طلـــيح همـــومِ

" ويظهر التكلف والتصنع في العلاقة بين شعر من عاش في البادية وربط مشاعره بتلك الارض فمتى ما وقف على اثارها ناشدها باحساس الالم والحسرة، لا ان يصفها ويحدد معالمها بصورة رسام متمكن قد استوحى تلك الافكار عنها بل كمن عاشها فعلاً ويقول الدكتور عبدالجبار المطلبي : " فتجد لذلك ، وشائج قوية تربط القصيدة بالقبيلة وبعالمها الفريد ، فأي انفصال عن عالم الصحراء لابد أن يؤدي – بالضرورة – الى انفصال في الشعر ، مماثل عن القصيدة العربية (عمود الشعر)، وهنا نستطيع أن نفهم معنى ثورة أبي نواس على مخاطبة الأطلال والوقوف فيها في مطالع القصائد، ذلك لان المجتمع الذي عاش فيه أبو نواس كان قد بعد، بعض الشيء، عن الصحراء الى حياة المدينة المستقرة التي لايبلو فيها ساكنها طوافا خلال المواسم والفصول .

ولابد من الاشارة الى أن بعض الشعراء ساروا على نهجه في استبدال الوقوف على الطلل بذكر الخمرة في مقدمات قصائدهم اقتداء بابي نواس، وبدا ذلك واضحا في شعرهم ، فتركوا التقليد الشعري في القصيدة العربية حتى امتد ذلك لشعراء

---

[1] الديوان: 447.

الاندلس، فالشاعر ابن حمديس الصقلي (ت 527 هـ) بدأ بتلك القصيدة التي صرح فيها [1] بقوله [2] :

خلعـــتُ علـــى بنيـــات الكـــروم محاســن مـاخلعن علـى الرسـومِ

ولم تقتصر الالفاظ التي استخدمها شعراء المدن على الرقة والعذوبة وكذلك لم يقتصر الوصف على الحاضرة بل كان اغلب الشعراء يسير على النهج القديم ومنهم أبو نواس ربيب المدن يقول [3] :

فـإذا المطـي بنـا بلغـن محمـداً فظهـورهن علـى الرجـال حـرامُ

قربننـا مـن خيـر مـن وطـئ الحصـى فلهـا علينـا حرمـة وذمـام

" ومن الجدير بالذكر أن أبا نواس لم يبل، هنا ، عناء المسير في الصحراء وقطع المسافات الشاسعة الى ممدوحه محمد الامين، قريب منه في بغداد، فهو لذلك مُحاكٍ لا يفصح عن تجربة حقيقية ، زد على ذلك أنه حاول أن يتجنب في قوله نقد الناقدين، فلم تكن التجربة الشعرية من صميم تعبيره، وإنما غايته" [4] .

ومن الملاحظ أن الآراء اختلفت حول السبب الحقيقي للاستبدال وأن أغلبها عدت ذلك خروجاً على نمط القصيدة ، أو الخلاف بين القديم والحديث ، ولكن المتمعن في هذا الجانب من تحليل واستنباط الدوافع ، يقف على حالة مقنعة لدى أبي نواس ، أنها أثر الحضارة والبعد عن البادية ، ومعايشة الفرد لوضع لا يعود به بأية صلة إلى ماضٍ يعتبر ماضياً لغيره أو يكون ذلك الماضي نابعاً من أثره بأي شيء من التصور والتمعن ، إذن نستطيع القول بأن خروج أبي نواس على بكاء الأطلال والمتمثل بالبعد عن البدء بالمقدمة الطللية أو مجاراة القدماء بالسير على نمطهم ما هو إلا تأثير الحياة الجديدة التي ولد وعاش فيها أكثر ما تكون مسببات أخرى ، ربما

---

[1] ينظر : مقدمة المدحة الاندلسية بين ابن دراج وابن حمديس : 88 .

[2] ديوان ابن حمديس: 435 .

[3] ديوان (شرح الصولي) : 504.

[4] مواقف في الادب والنقد : 143.

يكون لها بعض التأثير ولكن بنسبة ضئيلة أو أنها أيضاً وليدة الحضارة التي سادت المجتمع والتي سيتم مناقشتها لاحقاً .

أثر النزعات السياسية والاجتماعية :

" لقد استبدل الشعراء العباسيون في ثورتهم على المقدمة التقليدية الجاهلية الخمرة بوصف الرسوم والاطلال، غير انهم لم يلتزموا هذه الثورة في اشعارهم ، فقد اضطرت سلطة الحاكم ، رأس الثورة أبا نواس الى العودة الى ذكر الرسوم والاطلال – كما قدمنا– وقد أشرنا الى أن استبدالهم الخمرة بوصف الاطلال ، كان يمثل اتجاها واعيا أملته الظروف الحضارية والاجتماعية والسياسية، فعلى الرغم من تعرض الجاهليين والاسلاميين للخمرة في استهلال قصائدهم، إلا أنهم لم يغلبوها في شعرهم ، أو قل لم تكن شعاراً للمقدمة التقليدية كما حاول أن يؤكد ذلك المولدون ، لإظهار حالة البداوة وعدم قدرة العرب في البادية على تغيير أسلوب حياتهم، وعدم تحضرهم الى جانب الظروف الاخرى التي شهدها العصر العباسي"[1] .

ولنقف عند اراء النقاد ونظرتهم تجاه ثورة أبي نواس وخروجه على شكل القصيدة القديمة بانها نزعة شعوبية، حيث كان ابو نواس يؤثر الحضارة الفارسية على الحضارة البدوية، وينفر من اساليب الشعراء القدامى من وقوف على الاطلال وبكاء على الدمن ... فهو يهزأ بالشعراء الذين يقفون على الديار ، ويبكون الاطلال البالية ويستنطقون اثارها ويسألونها عن ليلى وهند [2] ، وقوله [3] :

دع الأطـــلال تســـفيها الجنـــوبُ وتبلـــي عهـــد جـــدتها الخطـــوبُ
وخـــل لراكـــب الوجنـــاء أرضـــا تخـــب بهـــا النجيبـــة والنجيـــبُ
بـــلاد نبنهـــا عشـــرٌ وطلـــح وأكثـــر صـــيدها ضـــبع وذيـــب

---

[1] مدرسة الاحياء والتراث ، دراسة في اثر الشعر العربي القديم على مدرسة الاحياء في مصر : 286.

[2] ينظر: أبو نواس في شعره الخمري : 27–29.

[3] الديوان : 11.

ولاتأخـــذ عـــن الاعـــراب لهـــواً ولاعيشـــاً فعيشـــهم جـــديبُ

وقوله [1] :

ســـقيا لغيـــر العليـــاء والســـندِ وغيـــر أطـــلال مـــي بـــالجرد
ويـــا صـــبيب الغمـــام ان كنـــت قـــد جـــدت اللـــوى مـــرة فـــلا تعـــد
لاتســـقين بلـــدة إذا عُـــدت الـــ بلـــدان كانـــت زيـــادة الكبـــد [2]
إنْ أتحـــرز مـــن الغـــراب بهـــا يكـــن مفـــري منـــه الـــى الصـــرد
بحيـــث لاتجلـــبُ الفجـــاح الـــى أذنيـــك إلا تجـــاوب النقـــد
أحســـن عنـــدي مـــن انكبابـــك بالـــ فهـــر ملحـــاً بـــه علـــى وتـــدِ

وماسخرية ابي نواس من الشعراء إلا دعوة للانسان بأن يكون حراً. ولايكفيه رفض مواقف هؤلاء الشعراء ، " وانما يعمد الى السخرية منهم ويشن حربه العلنية عليهم إذ يراهم منغمسين في سلبيات الماضي يحيون أمراضه ويذكرون بها، وفي هذا الإطار كان رفضه عنيفا لمنطق العصبية القبلية الذي كان يمجده أنصار القديم على اعتبار أنه من الموروثات المقدسة لذلك استنكر مفهوم القبلية"[3]، وهذه العوامل كانت ذات أثر في علاقة الشاعر بالمكان .

إذ قال[4]:

ومـــن تمـــيم ومـــن قـــيس وأخـــوتهم لـــيس الاعاريـــب عنـــد الله مـــن احـــدٍ

" ويمعن في سخريته من الذين يتبعون منهج السلف الفني على غير هدى متناسين أن الابداع لايكون بالتقليد، وإنما بالتجديد والخلق المردوفين بالحريه [5]قوله [6] :

---

[1] الديوان . ر الصولي : 130 – 131 .

[2] الكبد : المشقة والشدة ، قال تعالى : ﴿ لقد خلقنا الانسان في كبد﴾ سورة البلد ، الآية: .

[3] ينظر : ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد : 160.

[4] الديوان : 46 .

[5] أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد : 161.

[6] الديوان : 57–58.

صـــيفة الطلـــول بلاغـــة الفـــدم فاجعـــل صـــفاتك لابنـــة الكـــرم
لا تخـــدعن عـــن التـــي جعلـــت سـقم الصـحيح ، وصـحة السـقم
وصـــديقة الـــروح التـــي حجبـــت عـــن ناظريـــك، وقـــيم الجســـم
فعـــلام تـــذهل عـــن مشعشـــعة وتهـيم فـي طلـل ، وفـي رسـم
تصـف الطلـول علـى السـماع بهـا أفـذو العبـان كأنـت فـي العلـم
وإذا وصـــفت الشـــي متبعـــاً لـم تخـل مـن زلـل ، ومـن وهـم

وقوله [1] :

قـل لمـن يبكـي علـى رسـم درس واقفـاً ماضـر لـو كـان جلـس ؟
اتـــرك الربـــع، وســـلمى جانبـــا واصـــطبح كرخيـــة مثـــل القـــيس
بنـــتُ دهـــر هجـــرت فـــي دنهـــا ورمـــت كـــل قـــذاة ودنـــس

انه يعلن رفضه لوصف الديار أو الوقوف على ربوعها الخالية – كما ذكرنا من قبل – ويمثل قوله بالسخرية اللاذعة وهو لايكتفي بهذا الرفض، بل يعلن في صراحة أنه حرب على من يظل يردد الوقوف على الاطلال ، فيقول [2]:

أيـا بـاكي الاطـلال غيرهـا البلـى بكيـت بعـين لايجـف لهـا غـرب
اتنعـــت دارا قـــد عنـــت وتغيـــرت فإني لما سالمت من نعتها حرب

واللهجة الهجومية واضحة هنا خاصة في الدعاء لباكي الاطلال بألا يجف له دمع .. ويرى الدكتور عز الدين اسماعيل " أن ذلك دعاء ينطوي على شيء غير يسير من الهزء والسخريه" [3] ، مما جعل بعض النقاد يرجع ثورة ابي نواس على منهج القصيدة القديم الى الشعوبية وأثرها [4] .

---

[1] الديوان : 134.

[2] الديوان : 10.

[3] في الشعر العباسي : 343 .

[4] ينظر : ابو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 272 – 273 .

وكما يقول الدكتور مصطفى الشكعة في هذا الصدد: " وأما شعوبية أبي نواس فقد جعل منها مذهباً وذلك عن طريق التعريض بكل واقف على رسم أو باك على دمنةٍ مستهدفاً من ذلك النيل من العرب محاولا السخرية بهم والحط من شأنهم" [1] ، اما الدكتور احمد عبدالستار الجواري فقد قال : " وكان ابو نواس يأخذ على الشعراء ذكر الغابرين من البدو والأعراب وتمجيدهم إياهم وإعجابهم بهم وبحياتهم وكان يصفها بالجدب والجفاء، وقد كان يفعل ذلك اكثر ما يفعله في خمرياته " [2] .

بينما يرى الدكتور محمد نبيه حجاب : (أبو نواس من رؤوس الشعوبية في هذا العصر، بعد بشار) [3] .

ويقول الدكتور محمد زغلول سلام ايضا : " وشعوبية أبي نواس مع صلتها بشخصيته وحياته، وظروفه الخاصة في حياته لايمكن فصلها عن ظروف مجتمعه، وقد شاعت هذه الروح في عصره " [4] ..

ويقول الدكتور العربي حسن درويش " ويطول بي الحديث لو رحت اتقصى آراء النقاد الذين ذهبوا الى اتهام الشاعر بهذه النزعة وفي تعليلي لهذه الظاهرة وتلمس اسبابها أرى أن هناك اكثر من عامل قد اسهم في تطوير مقدمات القصائد، وأن الشعوبية كانت عاملا من هذه العوامل ، ومن ذلك تأثر القصيدة بالتطور الذي طرأ على الحياة العقلية والاجتماعية والذي ابعد الشقة بين حياة البادية والحياة الجديدة في ظل الترف والتحضر، ثم كان من مسايرة الشعر للواقع، ونمو النزعة الذاتية لدى الشعراء [5] ، كذلك يرى العربي في مسألة شعوبية أبي نواس " أن من الخطأ أن ينسب أبي نواس إلى الشعوبية " [6] .

---

(1) الشعر والشعراء في العصر العباسي : 176 .

(2) الشعر في بغداد :299 .

(3) معالم الشعر وأعلامه : 163 .

(4) دراسات في الأدب العربي (العصر العباسي) : 77 .

(5) أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 274 .

(6) ينظر : أبو نواس الحسن بن هانئ : 98 – 99 .

ويقول أيضاً : " إن أبا نواس لم يكن يتخذ من الشعوبية مذهبا أو عقيدة كبشار ابن برد الذي كان شعوبيا حقيقيا وكان يصرح بذلك ، بل كان مجرد متأثر بنظرتها وفلسفتها ، وأبو نواس كما يبدو من سيرته وحياته وشعره أنه تمثل عصره واستوعبه وعاشه بذهنية وعقل متفتحين فكان بذلك ابنا بارا له " [1] حيث أوردنا تلك الآراء لنقارنها بآراء أخرى وهي التي نفت تهمة الشعوبية عنه يقول الدكتور عبد القادر القط في هذا الصدد : " كيف يعتنق ابو نواس الشعوبية وقد بلغ في ظل الأمين ورعايته أقصى ماكان يطمح اليه شاعر من نجاح وتهيأت له من أسباب الرغد والترف ما يجنبه الشعور بمرارة الفشل التي يمكن ان تحمله الى الحقد على العرب والانتصار للفرس، وقد كان الامين يمثل آخر مرحلة من مراحل السيادة العربية الخالصة في الدولة العباسية، وقمة الصراع بين العرب والفرس في سبيل الاستئثار بالسلطان في الدولة الجديدة ، وبمقتله وانتقال الخلافة إلى المأمون دخلت الدولة في طور جديد قوامه سيطرة الفرس والاتراك ولو كان أبو نواس شعوبيا لفرح لمقتل الأمين وانتصار المأمون، ولكنه على النقيض ، يهاجم المأمون في شعر صريح غير عابئ بما قد يكون في ذلك من خطر على حياته " [2] .

ويقول الدكتور شوقي ضيف : " حقاً إننا نرى في شعر أبي نواس ثورة على بكاء الاطلال والديار، وقد فهم كثير من النقاد المحدثين أن أبا نواس يثور على الاطلال من حيث هي اطلال وعناصر بدوية رثة، فيقول : هم واهمون في فهمهم وذلك أن الخصومة بين ابي نواس وبين الاطلال لم يكن يريد بها الاطلال من حيث هي إنما كان يريد موضوعات الشعر القديمة من مديح وهجاء وما في ذلك من اطلال " [3] .

" والمتأمل في قصائد أبي نواس يرى أنه لا يهاجم العرب وإنما يهاجم الإعراب الذين وصفهم القرآن بأنهم أشد كفراً ونفاقاً " [4] ، ويقصد أبو نواس بوصف الأعاريب

---

[1] أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 271–277.

[2] حركات التجديد في الشعر العباسي : 417.

[3] الفن ومذاهبه في الشعر العربي : 131.

[4] ينظر : أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد : 45.

هم القسم الذي لا يزال في طور القبلية من العرب ، فشعوبيته هنا شعوبية خمارة البلد لا شعوبية فارسية – شعوبية حقه – إنما هي تماجن–"[1] .

وكان (نيكلسن) في تاريخ الأدب العربي ، قد دافع عن أبي نواس ، ووقف ضد المتهمين له بالشعوبية كبشار بن برد ، فقد كان والد أبي نواس عربياً يمانياً، حارب في صفوف الجيش الأموي ... " [2] ، وليس إلا أن تكون الأسباب سياسية أو اجتماعية بقدر مالها من تأثير في حياة الشاعر الذي عاش في عصر مجون وإباحة ، وتهتك في الحياة كان ذلك ما يعيشه شعراء التهتك والمجون ان ذلك بسبب الاختلاط بالأعاجم وانتشار مسببات ذلك اللهو .

ويرى بعض النقاد أن عصر أبي نواس كان عصر شك ومجون وكان عصر رياء ونفاق ، وكان لكثير من الناس مظهران مختلفان أحدهما للعامة والجمهور وهو مظهر الجد والتقوى والآخر للخاصة أنفسهم ، وهو مظهر اللهو والمجون ، الذي يخلع فيه العذار ، وتترك للشهوات حرياتها المطلقة ، لذى نرى أن الشعراء الذين يجاهرون بالشك ، والبعد عن الصدق ، قد أصبح المجون أصدق لهجة للعصر الذي كانوا يعيشون فيه ، ونستطيع القول إن نظرة الشاعر إلى واقعه نظرة تعبر عن صدق الذات تجاه ما يصلح لها وما يمثلها ، هذا ما لمسناه في خروج الشاعر على المألوف في شعره وخاصة الخمر وأماكنها ومجالس الندماء .

ويمكننا القول إننا لا نستطيع الحكم على شخصية الشاعر من خلال شعره ولا ما نستشفه عن شخصيته من العبارات والصور الفنية التي رسمها ، إنما يتطلب العمق في دراسة واقعه كما يرى الدكتور طه حسين ، وخاصة لاختلاف الآراء حول شعره وما نسب إليه من الشعر والقصص التي دعت الحاجة إلى تشويهه ابان حكم المأمون وكثرة أعدائه ، مما يتعذر الوصول إلى رأي قطعي فيه .

---

[1] ينظر : أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 303 .

[2] أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد : 45 .

ومهما تباينت الاراء في النظرة حول شعوبية ابي نواس التي فهمها النقاد من شعره الذي كثف فيه التجريح بباكي الاطلال، ورفضه الوقوف عليها ، لم نلمس قولا مقصوداً بانتمائه الى الفرس وتشدقه بهذا الانتماء فعلا ، فدوافعه تجاه ذم الاعراب من خلال الموازنة بين حضارة الامم التي تم فتحها ودخولها الاسلام وما كانت عليه من تطور ملموس من خلال التطور بالبناء وانواع الزخرفة مقارنة باستمرار العربي في الصحراء على نمط العيش القديم، حتى انه لم يتأثر بالحضارة الاسلامية التي اجتاحت العالم البعيد ولم يسع الى التغيير ، فهو يذم حالة الركود في ذات العربي في الصحراء.

كما نلاحظ ايضا انه ينفر من التعصب الى القبيلة الذي كان سائداً آنذاك لانها تفضل افرادها بعضهم على بعض ، مما يخلق لدى الانسان ردودفعل ظاهرة بالرفض وعدم القبول وخاصة ان الدين الاسلامي نظر الى عمل الانسان لا الى فصله ونسبه " .

ومن التغيرات الاجتماعية نلاحظ ان المجتمع العباسي قد تغيرت به المظاهر وتبدلت كثيرا من الاصول بسبب الاختلاط بالاعاجم وحياة الترف فأثر ذلك في المجتمع الذي تباينت صفات الناس فيه ومنها النفاق الاجتماعي والزيف والظهور بمظهر يغاير الحقيقة كما جاء بقوله [1] :

أيا باكي الاطلال غيرها البلى ... بكيت بعين لايجف لها غربُ
أتنعتُ داراً قد عفت وتغيرت ... فإني لما سالمت من نعتها حربُ
وندمان صدق ، باكر الراح سحرة ... فاضحى، وما منه اللسانُ ولا القلب
تأنيته كيما يفيق ، ولم يفق ... الى أن رأيت الشمس قد حازها الغرب
فقام يخال الشمس لما ترحلت ... فنادى "صبوحاً" وهي قد قربت تخبو
وحاول نحو الكأس مشيا، فلم يطق ... من الضعف ، حتى جاء مختبطاً يحبو

[1] الديوان : 10 ؛ ومقالات في تاريخ النقد العربي : 81 – 82 .

فقلت لساقينا " اسقه" فانبرى له رفيق بما سمناه من عمل، ندبُ
فناوله كأسا جلت عن خماره وأتبعه أخرى فثاب له لبُ
إذا ارتعشت بمناه بالكأس، رقصت به ساعة حتى يسكنها الشربُ
فغنى ومادارت له الكأس ثالثاً " تعزى بصبر بعد فاطمة القلبُ"

وتنقل لنا هذه الصورة التي رسمها ابو نواس بدقة فهو يصف شارب الخمرة الذي اتاها بكرة – اول النهار وانه لايميز الاشياء من شدة السكر ولايستطيع التكلم، فهو يرى الشمس الغاربة كانه في اول النهار أي المداومة على شرب الخمر مما يجعله متخبطا سائرا على غير هدى ، يحبو – أي انه يمشي على يديه.

" وهذه الصورة كما بدت كثيرة الاختلال والغرابة بالنسبة للعرف المنطقي، ولاشك أن الشاعر أراد بتصوير هذا الواقع الذي يخالف واقع الناس جميعاً، أن يظهر غباء اولئك الذين يحرصون على الظهور بمظهر الرصانة والتعقل، فهو يريد أن يقول لهم إن الشمس التي تطلع كالشمس التي تغيب وإن الصحو واعتدال الرأي شبيهان بالسكر والغيبوبه ، وذلك لان الشاعر كان يرى في يقينه ، أن الحياة تافهة غير جديرة بالاهتمام والعناية، وهذه الصورة التي تطالعني تبدو جديدة غاية الجدة بالنسبة الى ماعرفته في واقع الخمر قبلاً " [1] .

فنظرة ابي نواس الى واقع المجتمع خلقت تلك الثورة وماتهجمه إلا دعوة الى حرية الذات وتمثل الصدق في القول والفعل .

" ولابد من الاشارة الى ان الذين قالوا بشعوبيته، إنما استندواالى مقاطع من شعره كان قد تعرض من خلالها الى بعض القيم والعادات العربية، التي اراد لها التجدد ، لتساير العصر، والمتأمل في بعض قصائد أبي نواس يرى أنه لايهاجم العرب وإنما يهاجم الذين وصفهم القرآن الكريم بانهم أشد الناس كفراً ونفاقاً " . [2]

---

[1] أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 233– 234 .

[2] أبو نواس بين العبث والاغتراب:45–46،وينظر:أبو نواس بين التخطي والالتزام: 133 .

كما أن الشوق والحنين الذي يبديه الشاعر عندما يبعد عن وطنه العراق، نراه يصف لوعته واشتياقه باعذب وارق التعابير المؤثرة، فهو يحب بغداد ومغانيها حباً أعاده إليها من مصر ، فالمكان عند أبي نواس، روابط ووجود وعلاقات في حاضره الذي يعيشه وماضيه الذي يمثل ذاته ولكننا نرى أن ثورية أبي نواس التي هي نتيجة طبيعية للاعلاء من قيمة الموقف الفردي الرافض للاستسلام والمجاهر بالتساؤل والحوار مع كل ماهو مألوف وشائع من مسلمات أو مبادئ أو أفكار تمثل تطوراً حقيقيا في مسار الشعر ويمثل ذلك موقف الشاعر قوله [1] :

ومستعبد إخوانه بثرائه ... لبست له كبرا أبر على الكبر
إذا ضمني يوماً، وإياه محفل ... رأى جانبي وعراً يزيد على الوعر
أخالفه في شكله ، وأجرهُ ... على المنطق المنزور، والنظر الشزر
لقد زادني تيهاً على الناس أنني ... أراني أغناهم وإن كنت ذا فقر
فوالله لايُبدي لساني لجاجةً ... الى أحدٍ حتى أغيب في القبر
فلا تطمعن في ذاك مني سوقة ... ولا ملك الدنيا المحجب في القصر
فلو لم أرث فخراً لكانت صيانتي ... فمي عن سؤال الناس حسبي من الفخر

إن الشاعر قد وظف مفردات النص لتومئ الى دلالات حية مؤهلة لاستيعاب أثار المجتمع الذي يعيشه وتأثيره عليه حيث عمق احزانه والامه، حتى صورها بتلك المقارنة بينه – الرافض للخطأ والرياء والكذب – وبين من يخفي حقيقة امره ويتظاهر بالكرم والعفة ، فصورة العفة والكبرياء اعطت بعداً نفسيا، تجسدت في اعتباره القبر – مكان الملاذ – يلجأ اليه يحفظ عزة نفسه ، واعتبره مكاناً بديلا ذلك المكان وأن يكون قصراً منيفاً يفتقر فيه الكرامة فيقول " أغيبُ في القبر" رمزاً لطلب البعد عن الواقع ومن هو قريب منه لان ذاته ترفضه، فالمكان الامين ذلك المكان البعيد الذي

---

[1] الديوان : 597 ، وينظر : موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي (6) 192؛ وفي الادب العباسي : 178 ؛ وينظر : شعراء من الماضي : 40 ؛ وينظر : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : 49 .

لاسلطة ولا إكراه. فهو يبدل الحياة بالموت لما وصلت اليه ذاته الرافضة للمجتمع وعاداته .

" وموقف الشاعر حين أصبحت العاطفة الفردية – سواء أكان مبعثها ، الجنس أم الحب أم المجون أو غير ذلك – هي ينبوع الفكر والابداع، أصبح الشاعر مدفوعاً برغبات لاتحد واحاسيس لايكبحها زمام وشعور بالابدية في اللحظة الانية، وغمرة من الاحساس بالحب الذي يختلط بالفرحة الكبرى ، فرحة التخطي والتجاوز والحرية" [1].

لذلك يجد الشاعر نفسه مضطراً للتعبير عن عواطف تخرج به لثوريتها عن الحدود الفنية المألوفة، وتدفع به الى التمرد على الاشكال الثابتة.

وقد علل الدكتور احمد كمال زكي هذه الثورية والنظرة التجددية التي لاحظناها لدى الشاعر أبي نواس، إنها ليست جديدة بل مردها عوامل شتى حيث قال : " لو ذهبنا الى مطالع القصائد في عصر التجديد ، ولئن زعم زاعم، أن التمرد من المقدمات التقليدية وقع من القدم، قلتُ أجل ، لكن في حدود ، أما هنا فبصورة عامة ، يلح عليها الحاحاً ويتعمد أحياناً فمبعثه نار تلهب صدور الموالي... " [2] اذن عوامل تورية أبي نواس في نظر الدكتور احمد كمال زكي مردها الانتماء الى غير العرب وهذا الجانب الذي يحتاج إلى مناقشة طويلة لا يتسع المجال لذكرها هنا ونكتفي بالتنويه عنه ، بل نسلط الضوء على رأي عدد ممن درس شخصيته أنه لايُعد دافعاً للشكوك حول انتماء أبيه الى اسرة عربية من اليمن ، لقد كثرت الاراء حول هذه النظرة [3] ، حيث ان النقاد لم يتجاهلوها بل وقفوا عندها كثيرا ومنهم من حمل هذا التحول لمسببات عديدة ، متعلقة بطفولته وعلاقته الاسرية بالإضافة الى ماذكر من اسباب ومؤثرات، وما عرضناه من مبررات حول ظاهرة استبدال الطلل بالخمرة ووصف اماكنها لايكون دفاعاً عن الشاعر الذي وصلت المجادلة الى اوجها

---

[1] موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي : 192.

[2] ينظر: المصدر نفسه ؛ وينظر : الحياة الأدبية في البصرة حتى نهاية القرن الثاني الهجري: 369 .

[3] ينظر: رباعيات أبي نواس : 9 .

حول شعره وعزا النقاد ذلك التحول الى شخصيته وماحصل لم يكن حالة ابداع وارتفاع بالفن خاصة وان شعرهُ باغراض الغزل بنوعيه والخمرة اعتبر مبرراً حتى لو كان ذلك موضوعا كما ثبت من خلال دراسة شعره وتحقيق ديوانه.

إن هذه المؤثرات تركت أثارها على حياته وجاءت صوره الشعرية تعبيراً صادقا لما في نفسه من ارتباط المكان الحاضر – المكان الحضري – ونفرته من المكان الذي لا تمت ذائه اليه بصلة.

اذن ثورته لم تكن على الاطلال ذاتها بل تمثلت له في كثير من الاحيان تلك الذكريات والأيام الخوالي التي عاشها في قصور وبساتين، تركت بصماتها بذاكرته فتعود حين يقف أمام بيت أو حانة كانت ، تجتزئ من زمنه الكثير، فيبث لواعج نفسه المعذبة فهو يقول [1] :

أربع البلى إن الخشوع لباد عليك وإني لم اخنك ودادي
فمعذرة مني اليك بان ترى رهينةً أرواحٍ وصوب غوادي
ولا أدرأ الضراء عنك بحيلة فما أنا منها قائل لسعاد
وإن كنت مهجور الفنا فبما رمت يد الدهر عن قوس المنون فؤادي
وإن كنت قد بدلت بؤسي بنعمةٍ فقد بدلت عيني قذى برقاد

الشاعر هنا في لحظة من لحظات التأمل الذي تكون فيه النفس في محاولة من محاولات معرفة المصير، وهذا التوحد جعل الربع ونفس الشاعر شيئاً واحداً، اخذ ينظر اليه بأسى ، فالربع هنا أبو نواس الخائب الذي لايستطيع ان يفعل شيئا لرد فعل الزمن : وسعاد هنا – التي رمز اليها الشاعر ربما كانت أبا نواس نفسه مرة اخرى في شخصية انشطرت الى اثنين : واحد آس مفجوع والاخر آمل متطلع : "فماذا هو قائل لسعاد ؟ " . ماذا يقول ابو نواس المفجوع لأبي نواس ذي الامال ؟

---

[1] الديوان : 471.

أو ربما كانت سعاد هي المحبوبة ، ويريد المحب أن يظهر أمام محبوبته إنساناً موفقاً وصل الى مايطمح اليه ، ولكن ، والحالة هذه ، ماذا أنا قائل لسعاد؟.[1] .

" هذا هو الذي جعل الآمدي يقول عن أبي نواس: إنه جاءنا بظريفة عجيبة، وإن غير واحد من الشيوخ قد استحسنها، وذلك متأتٍ من أن أبا نواس عبر عن تجربة فريدة تبع فيها نداء نفسه ولم يتبع فيها طريق غيره ، ولذلك لم تكن الأبيات على طريقة العرب ولا مذاهبهم ، كما يقول الامدي ايضا، ومن هنا تبدو أصالتها وخصوصيتها، ومن هنا دخلت في باب الشعر الاصيل، وأصالة التجربة وخصوصية الرؤية هما في تصويري – من أبرز معالم الحداثة. " [2] .

وليست الاطلال هي المؤثر في نفس الشاعر لكنه يرى فعل الزمن وجوره عليها وكيف امتدت يده لتحولها دوارس تشيع الالم والحسرة على اهلها، فهو يربط تلك الحالة بحاضره والذي يستقرئ الزمن كما فعل من سبقه وخاصة ماتكنه نفسه من مرارة العيش والحاجة والحبس والشعور بالانتقاص ، فهو يداري الامه بالخمر قوله[3] :

لأقطعن نياط الهم بالكأس فليس للهم مثل الكأس من آسِ
فسقنيها سلافاً، سلسلاً ، حجبت في دنها حقباً في ركن ديماس

إن قوة الخمر قوة قاهرة للمعاناة المتراكمة في نفسه كان الزمن هو الفاعل الاول ، والكأس رمز اتخذ منها الشاعر ملاذاً ويستعين بالخمر والتي يعدها الشاعر هروبا من واقعه [4] .

على أن أبا نواس لم يكن أول من شرب على أطلال كسرى مثلاً فلقد شرب من قبله عليها – ادم بن عبد العزيز الشاعر المخضرم بين دولتي بني امية وبني هاشم [1] .

---

[1] ينظر: أبو نواس وقضية الحداثة : 67.

[2] أبو نواس وقضية الحداثة : 68.

[3] الديوان : 159 .

[4] ينظر : الشعر والشعراء في العصر العباسي : 204 .

" ويذكر أن أبا نواس لم يكن وحده بين شعراء الخمر الذي انفرد برثاء الحانات وإنما لأبي الشيص مرثية في حانة يقول عنها ابن المعتز إنها من قلائده السائرة في الارض ، وهي في الحق كذلك، فلقد وقف الشاعر عليها وقوف الشعراء الأوفياء على أطلال أحبائهم، ناجاها مناجاة المحبين الوامقين للرسوم الدارسة ، وهو يصف الخمر التي كانت تقدم في هذه الحانة الدارسة في اطار من الذكريات الحزينة العزيزة المتواكبة المرتبطة بزمان صباه. إن القصيدة في حقيقتها نسيج فريد من عيون الشعر . وهي بجدة معانيها، ورونق مبناها ، وجزالة نسجها، أكرم على الشعر من ان تقال في هذه المناسبة التي قيلت فيها، ولكن لعل الشاعر كان يرثي شبابه عن طريق رثاء مرتع شبابه : يقول أبو الشيص [2] :

يادار مالك ليس فيك أنيس ... إلا معالم آيهن دروس
الدهر غالك أم عراك من البلى ... بعد النعيم حشونة ويبوس
ماكان أخصب عيشنا بك مرة ... أيام ربعك آهل مأنوس
فسقاك يادار البلى متحرف ... فيه الرواعد والبروق هجوس
دار جلا عنها النعيم فربعها ... خلق تمر به الرياح يبيس
طلل محت آي السماء رسومه ... فكأن باقي محوهنّ دروس
ربع تربع في جوانبه البلى ... وعفت معالمه فهن طموس
بين الخورنق والسدير محلة ... للهو فيها منزل مطموس
نحس الزمان بأهلها فتصدعوا ... إن الزمان بأهله لنحوس
كنا نحل به ونحن بغبطة ... أيام للأيام فيه حبيس

وما دام الشعراء يقصدون الاطلال ويبكونها فلا غرابة من وقفة ابي نواس على اطلال كسرى وخاصة انها كانت ذات حضارة تغري العربي القادم من البادية للوقوف عليها .

---

[1] ينظر: ابو نواس زعيم شعراء الخمر : 160.

[2] طبقات الشعراء لابن المعتز : 84 ؛ وينظر: الشعر والشعراء في العصر العباسي : 203.

ومتابعتنا آراء النقاد بنسبة الشعوبية إلى أبي نواس فقد تباينت ولم يكن الرأي قاطعاً حولها ، لأننا لمسنا أن ميله إلى الفرس لم يكن منبعه كره العرب وذمهم وذلك لمسناه من خلال مدحه الخلفاء وخاصة الأمين وكذلك الأمراء وعلية القوم ، وكثرت أشعاره في مدح أو ذم العرب العدنانيين والنزاريين ، يعطي انطباعاً بعدم انتمائه لحركة الشعوبية التي كانت سائدة في تلك الفترة من الزمن ، ولربما كان ميله إلى الفرس متمثلاً بحبه للتقدم والحضارة التي خلفها الساسانيون وأنبهر بها من أنبهر من الشعراء وشربوا على آثارها ، وتأتي الموازنة بين آثار هذه الأطلال وأطلال البادية دليلاً على هذه النظرة ، أكثر ما تكون نظرة شعوبية ، وما يمكن أن يعكس تسلطه وخروجه عن المألوف بالكلام اللاذع للعرب يأتي من معاناته من النظرة المتدنية للفقراء والعامة وحالة التفاخر بالأنساب والأحساب بين القبائل العربية ، ونظرة العلو والرفعة الزائفة البعيدة عن صفات المسلم المتمثلة بالتقوى ومعرفة حقوق الله ، إن ما ساد في المجتمع خلق نفوساً معذبة أتاح لها الشعر باباً للتعبير عن كنهها ، ويمكن أن نستشف من ذلك كله أن انتماء الشاعر إلى المكان كان يمثل انتماء الذات والشعور ، والآصرة الحقيقية لا يمثله التقليد الذي سار عليه أغلب شعراء تلك الفترة .

إن هذه المؤثرات التي لمسناها من خلال دراسة وتمحص آراء النقاد ووجهات النظر حول نظرة الشاعر إلى الطلل – ذلك المكان الدارس – لم تكن تبعده عن المكان ، بل تشده إليه كون المكان الذكريات القديمة والتواجد .

فالشاعر جعل الخمرة بديلاً عن الطلل إنما عبر عن انسحاق المكان تحت وطأة الزمان ، والخمرة المعتقة قادرة على أن تحتوي الزمن وتبطل مفعوله .

والخمرة كلما قدم عهدها صفت وتجوهرت وغدت جوهراً خالداً أو روحاً مصفى ، فهي تتحدى الموت والبلى أو قانون الوجود ، نلاحظ ذلك في قوله [1] :

اعطتك ريحانها العقار وحان من ليلك السفار
بنت مدى الدهر أو شفت كبيرةٌ شأنها كبار

---

[1] الديوان . ر الصولي : 143 .

غيـــــرت والنجـــــوم وقـــــفٌ لـــــم يـــــتمكن بهـــــا المـــــدار
فلـــــم تـــــزل تأكـــــل الليـــــالي جثمانهـــــا مـــــا بهـــــا انتصـــــار

المبحث
الثالث

المكان التاريخي

المكان التاريخي :

المكان التاريخي ذلك المكان الذي ينماز بأن بعد الزمان فيه واضح ، ولا ينفصل عنه ، وفي هذا محاولة لبيان أن أي مكان هو في حقيقته لاينفصل عن الزمان ، وكذا عن الحركة التي يجتمع فيها الزمان والمكان ، فهي المركب الناجم عن اجتماعهما برأي (هيغل) ، ولكن المكان التاريخي يظهر فيه بعد الزمان من خلال محاولة الشاعر تصور التغير الذي يحدثه الزمان في حيز مكاني معين – اولا – وتعُمدْ الشاعر تصوير مكان معين في زمن معين فما أشبهه برسام يعمل لوحة تبدو وكأنها تشكيل مكاني صرف، فهو يحاول تجميد الأشياء في الزمن وهذا الجمود (الزماني والحركي) لايحدث الا في الفن – ثانيا – [1] .

" والمكان التاريخي لايعني أنه مرتبط بسلم التاريخ أو أن ينظر اليه من هذه الجهة، إنما هو " المكان الذي يستحضر لارتباطه بعهد مضى أو لكونه علامة في سياق الزمن"[2] .

ولايستطيع الانسان تجاوز افقه الراهن من فهم الظاهرة التاريخية لارتباط الوجود الانساني التاريخي والمعاصر في وقت واحد، إننا اذ نحاول فهم الماضي علينا ان لانكون في غيبة عن التقاليد، والتاريخ والقيم التي جاءتنا عبر الزمن وشكلت هذا المحيط الذي نحيا فيه الآن ، فعلاقتنا بالتاريخ يجب ان تقوم على الجدل والحوار [3] .

دلالية المكان الحضارية :

الشعر مرآة الحاضر وتطلعاته، وانعكاس الماضي بما يمثله من ابعاد فكرية لاحداث سجلها التأريخ تطاول عليها الزمن ، بكل قوة فأحالها الى ركام – اثار مندرسة– فقد وقف الشعراء على معالم الحضارات القديمة التي شيدت فوق الارض العربية وسجلوا ذلك التاريخ بسجل الخلود لانها تتجلى في البناء والعمران بتشييد السدود والقلاع والحصون

---

[1] ينظر :البناء الفني في الرواية العربية في العراق،الوصف وبناء المكان: 59–60

[2] حركية الابداع دراسات في الادب العربي الحديث،خالدة سعيد،دار العودة بيروت ، 1979: 30.

[3] ينظر: اشكالية القراءة وآليات التأويل ، د. حامد ابو زيد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط4 ، 1996 : 39 .

والقصور ... ، فهي سمة حضارية تعبر عن قدرة العربي على بناء الحاضر مستمداً قوته من ذلك الماضي العريق ، وقد ركز الاعشى على هذا الجانب فاتخذ منه موضوعاً وعظياً، بقوله [1] :

قفي ذاك للمؤنسي أسوةٌ ... ومأربُ قفى عليها العرم
رخام بنته لهم حميرٌ ... إذا جاءه ماؤهم لم يرمْ
فأروى الزروع وأعنا بها ... على سعةٍ ماؤهم إذ قُسمْ
فعاشوا بذلك في غبطةٍ ... فجار بهم جارفٌ منهزمْ

فالشاعر يبرز دور الحضارة العربية وامتدادها ليجعل ذلك يقينا لقدرة العربي في العطاء المتمثل بسد مأرب .

ولاتقف نظرة الشعراء على حضارة العرب بل تمثلوا الحضارات المجاورة واثرها، ودورها في حياة الانسان، وأبو نواس من الشعراء الذين بهرتهم الحضارات القديمة فوقف أمام معالمها واثارها، والأحداث الجسام التي جرت في ساحاتها وجسدت السمات الحضارية المعبرة عن ذهنية تنزع الى العمران، وتجسد طموحاً مشروعاً نحو الاستقراء والبناء والرفعة : ومن جميل قوله [2] :

ودار ندامى عطلوها وادلجُوا ... بها أثرٌ منهم جديد ودارسُ
مساحب من جر الزقاق على الثرى ... وأضغاث ريحان جنيٌّ ويابسُ
حبستُ بها صحبي ، فجددتُ عهدهم ... وإني على أمثال تلك لحابس
ولم أدر منْ هم ؟ غير ماشهدتْ به ... بشرقي ساباط الديارُ البسابس
أقمنا بها يوماً، ويوماً، وثالثاً ... ويوماً له يوم الترحل خامسُ
تدار علينا الراح في عسجدية ... حبتها بألوان التصاوير فارس
قرارتها كسرى ، وفي جنباتها ... مهاً تدريها بالقسيّ الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبها ... وللماء ما دارتْ عليه القلانس

---

[1] ديوان الاعشى:الاعشى الكبير ،ميمون بن قيس، شرح وتعليق محمد محمد حسين، ط2، دار النهضة العربية،بيروت،1974: 43؛ وينظر:المكان في الشعر العربي قبل الاسلام: 151

[2] الديوان: 37 .

وقد حظيت هذه القصيدة بإعجاب العلماء القدامى والنقاد من القرن الثالث وكذلك المحدثين من الأدباء " لأن أبا نواس عرض فيها للوصف فأجاده وأحسنه إحساناً عظيماً... لأن أبا نواس أراد أن يبكي الأطلال والديار فبكاها ، ولكنه لم يبك أطلال البادية ، وإنما بكى اطلال الحاضرة ، لم يبك أطلال حي ارتحل ، وإنما بكى أطلال الشرب وأصحاب اللهو ، بعد أن فرغوا من لهوهم وأنصرفوا عن ملهاهم ، فتركوا فيه ما ترك أمثالهم من الآثار فأبو نواس لا يذكر الخيمة ولا النؤي ولا الوتد " [1] .

فأبو نواس وصف هذه الآثار وصفاً دقيقاً أضاء تلك الآثار وبرزها فهو رسم الآثار التي تركتها جر الدنان ، وباقة الريحان الجني واليابس ، وبراعة التصاوير المرسومة على جنباتها .

ويأخذ أبو نواس مساراً جديداً في نظرته الى الديار الغابرة حين يقف على اثارها ، فهي ديار لاتثير في نفسه روابط أو علاقات ، وإنما هي أماكن سكن كان له في زمن ما دور وفاعلية في الحياة. وقف امام حضارة قديمة اندثرت،وتشير معالمها الى مستوى رفعتها في ذلك الزمن لما تمثله رموزها الباقية[2] ، و قد وقف الشاعر على تلك الاثار بعد أن استهوته براعة الرسم والصور الجميلة لتلك اللوحة الفنية.

" ولم يقتصر أبو نواس – في كل صورة – على الاخذ من الموروث القديم ، بل إنه – في احيان كثيرة – يلتفت الى عصره ومجتمعه فيصف الواقع الذي يعيش فيه هو لا الواقع

---

[1] حديث الأربعاء : 101 – 102 .

[2] كان ابو نواس قد اخذ صحبه ومر على المدائن مقر الأكاسرة ، فرأى بعض حاناتهم ، ولم يكن قد بقي منها غير أطلال فكتب هذه القطعة التي استشهد بها الجاحظ على انها مما لاتتاح الا للقليل من الشعراء ادلجو : ساروا من اول الليل . دارس : من درس الرسم عفا وتغير ، مساحب : يدل من اثر البيت السابق، الزقاق: أوعية الخمر. اضغاث ريحان: جمع ضغث والضغث القبضة منه. ساباط : مدينة فارسية قريبة من المدائن، من عسجدية : في كؤوس عسجدية والعسجد الذهب . تدريها : تحتلها لتصطادها من غير ان تشعر .
انخمر الى مواضع الجيوب من تلك الصور . والماء الذي يصب عليها حتى الرؤوس من تلك الصور وهي التي تدور عليها القلانس والقلانس:اغطية الرأس الشائعة في–ذلك الحين.

الذي عاش فيه السلف من ذلك تصويره الأمين للكأس ، على نحو مارأيناه في هذه القصيدة [1] .

وأبو نواس هو ابن الحاضرة التي ولدت لديه القدرة على التعبير عما يستهويه من الاماكن التي تندمج صورها مع خزين الشاعر النفسي فتشكل لوحة مكانية معبرة مستوحاة من خيال خصب يضمن وصول المعنى الى المتلقي " ولعل هذا ما اشار اليه القاضي الجرجاني ، فهو يرى ان العمل الفني يستدعي استجابة معينة في نفوس الاخرين ، ودعا القارئ للرجوع الى نفسه وتأمل ذاته وما يصحبها من الارتياح والطرب او النفور عند انشاء الشعر [2] .

فأبو نواس صور هذا المكان ، كما تراءى له في نفسه او اسقط ذاته متخيلا بالادراك والربط ماكان يدور فيه أيام الاكاسرة الفرس ، حتى إنه رسم اثار سحب الزقاق في البيت وهي أوعية الخمر – وبقايا الريحان اليابسة، فهو لايعرف من كان من الناس يسكنها ولاتصله علاقة بساكنها اوضح ذلك قوله : " لم ادر من هم ؟ " هذا الاستفهام يصف حالة الشاعر كيف تمثل تلك الايام باحيائها مع صحبه على اثارها فابدع في وصف الكؤوس المصنوعة من الذهب وحدد الصور المرسومة على جوانب الكاس، والماء الذي يصب حتى الجيوب وهي التي تدور عليها الفلانس . ان المتأمل لهذه اللوحة الرائقة وهو يقرأها تمثلت له براعة الشاعر وقدرته على ربط المكان الماضي بالحاضر بكل ماحمله من خلجات نفسية وكوامن لحاضر يحتل ذاته.

ومن المدن الاثرية القديمة ذات التاريخ العريق (الحيرة) المدينة التاريخية بكل مافيها من صروح حضارية كان اثرها في الزمان عظيم ، يعيدها ابو نواس في شعره وشعراء أخرين ، اذن الترابط والصلة ذات اثر للمكان في نفس الشعراء لما يمثل من علاقات صميمية زرعها التأريخ ونمت في حاضر الشعراء.

فالمكان التأريخي الذي ينحصر لارتباطه بعهد مضى واندثرت أكثر معالمه ، فأصبح علامة في سياق الزمن .

---

[1] أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 82.

[2] ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه : 26 ؛ وينظر : نفسية أبي نواس : 14 .

وبهذا يمكننا القول إن أبا نواس في إيراده الأماكن التأريخية في شعره ، إنما يعبر عن حوادث مرت في هذه الأماكن ولأنها تمثل مجد الماضي لأقوام سكنوها وتركوا آثارهم تحكي التاريخ لروادها ، ونحن إذ سجلنا موقف الشاعر من هذه الأماكن التاريخية إنما هي تلك النظرة التي لمسناها من شعره المعبر عن حبه للحاضرة ، أو أنه يعبر عن حوادث يبعث ذكرها الفخر والاعتزاز في نفسه ، ونفوس أبناء جلدته ، وهو بذلك يناصر المدينة التاريخية ، والأماكن التاريخية لأنها تمثل مجد الماضي الذي يفخر به الحاضر .

ونحن إذ سجلنا رفض أبي نواس للطلل فيما سبق من كلامنا عن موقفه من الأطلال ، إنما ينصرف إلى الناس الذين عبثوا بالحياة والمجتمع .

الفصل الثاني
أماكــن الحضــارة

المبحث الاول : المكان الحضري_ اماكن السكن –المدن – الامصار.

المبحث الثاني : تحول أماكن الحضارة والسكن إلى أماكن للخمرة – البسائين –المجالس والنوادي والحمام.

المبحث الثالث: الطبيعة ، السماء ، الارض ، الانهار .

المبحث الاول

المكان الحضري – اماكن السكن – المدن – الامصار

المكان الحضري :

أحال الاسلام الحياة الجاهلية الى حياة حضرية مهذبة، وأخذ الادب في طريق الحضارة ، لأن ذوق الشعراء والكتاب والخطباء، سلك طريق الحياة ، فلم يحل العصر العباسي حتى كانت الحياة الاسلامية قد تغيرت في عناصرها الرئيسة وتبعتها الحياة الادبية، ووجد ادبان ، قديم وحديث ، أو قل وجد ذوق جديد ينص على الادب القديم وطرائقه في الاداء وينكر على مقلديه انصرافهم عن الحاضر القريب الى الماضي الغريب ، وظهر ذلك الجديد في الفاظ الادب وعباراته، وفي خياله الحضري. وفي المعاني المبتكرة العميقة، وفي أوزان الشعر، وفي بعض فنونه المستحدثه أو التي أكثر القول فيها. وكانت الصنعة البديعية متأثرة بالفن الفارسي الدخيل، والبحور الصغيرة، ملائمة لحياة المرح واللهو [1] .

" فالحضر يعني الانفتاح والاندماج والتصنع والعزلة والضجيج والصخب والحركة المزدحمة" [2] وله التأثير الكبير في مجمل الفنون خاصة الشعر لكونه المعبر عن ذات الانسان.

" لقد خطت الحاضرة العباسية خطوات واسعة في كل حقل وفي كل مجال، في حين بقيت البادية مغلقة تجاه العوامل التي انفتحت عليها الحاضرة، وليس من شك في أن مايذكر من مظاهر الترف المادي ، والتشعب في المفاهيم في هذا العصر، لم يكن مقصوداً به البادية أبداً، لان أهتمام مؤرخي العصر العباسي ينصب على الحياة الحضرية، فتهمل البادية إلا من نتف هنا وهناك ، تشير الى طبيعة الحياة فيها، ومن هذه النتف ندرك أن أهل البادية ظلوا يعيشون في حال هي أقرب الى الحاجة منها الى الاكتفاء .

---

[1] ينظر : اصول النقد الادبي : 129.

[2] المكان في شعر الشريف الرضي ، دراسة فنية ، زينب عبدالكريم حمزه، رسالة ماجستير : 2.

وكان بعض شعرائهم يفد الى الحواضر" يسأل الناس بها .. ومن الواضح أن البادية لم تعد تلعب ذلك الدور الفعال الذي لعبته البوادي في الحياة الادبية في عصر بني أمية " [1] .

" فأماكن شعراء البدو هي غيرها في شعر الحضر، ويقاس هذا على مختلف العصور ، وتبدل الاحوال الحضارية والمدنية والنظم الاجتماعية السائدة."[2] وفي اللسان بدا القوم . بدوا أي خرجوا الى باديتهم، والبداوة الأقامة في البادية [3] ، وهم أهل الوبر : قطان الصحاري ، يعيشون من ألبان الأبل ولحومها، منتجعين منابت الكلأ ، مرتادين لمواقع القطر فيخيمون هنالك ما ساعدهم الخصب وأمكنهم الرعي، ثم يتواجدون لطلب العشب وابتغاء المياه، فلا يزالون في تنقل دائم " [4] .

والحضر والحاضرة: أهل المدر ، سكان المدن والقرى والريف، وكانوا يعيشون من الزرع والنخل والماشية، والضرب في الارض للتجارة وقيل لهم (اهل القرار) ، أي الاقامة الدائمة في مكان ما " [5] .

وماطرأ من تغير على نمط الحياة في اماكن الحضارة – المدن الجديدة أثر ذلك التغير تأثيرا كبيرا في الادب والشعر والشعراء خاصة، بسبب مؤثرات عدة – لسنا بصدد ذكرها – لذا نرى " .

إن الشاعر العباسي لم ينتم الى الحاضرة العباسية ، انتماءً تاماً، بل هو وافد عليها ، يحمل اليها عناصر ثقافات متعددة ساعدت على تكوينه هو ، الا أن الحاضرة العباسية بدورها قد هيأت للشاعر ظروفاً أدبية وفكرية خصبة ، كان بامكانه

---

[1] الشعر في الحاضرة العباسية : 90–91.

[2] المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : 21.

[3] اللسان ، مادة (بدا) .

[4] المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : 22.

[5] المصدر نفسه : 22 .

أن يكون بها أكثر عطاء، ولاسيما الشاعر العباسي ، خلافا لشعراء العصور السابقة المختلفة، لم يكن مسؤلا تجاه
مجتمع قبلي ولا تجاه جماعة سياسية معينة ، بل كان أقرب الى أن يعيش بصورة فردية لاينتمي إنتماء تاماً الى مذهب أو جماعة ... " .

ومن الملاحظ أن نلمس ذلك في شعر الشعراء في القرن الهجري الاول والثاني للدولة العباسية، والتي اشتهر فيها عدد كبير من الشعراء ، تميزوا باساليب شعرية، اختلفت عمن سبقهم من شعراء، مع احتفاظهم بتقاليد القصيدة الشعرية العربية إلا اننا نلمس الخروج وبشكل واضح على بعض انماط الشعر حين تتبعنا شعر شعراء هذه الحقبة، امثال بشار بن برد والحسين الضحاك ومسلم بن الوليد صريع الغواني [*]... وغيرهم.

ويعد " أبا نواس من أبرز شعراء الحاضرة العباسية في القرن الثاني الهجري، بل هو بحق الشاعر الحضري الذي جعل شعره صورة لحياته الحضرية ، وتعبيراً عن مفاهيمها التي عاشها هو بصوره المتنوعة ، حسية كانت أو عقلية ، وفيه تتمثل حياة طبقة نشأت في الحاضرة العباسية تحمل مفاهيم خاصة بها ، وكان لظروف هذه الحاضرة المادية والعقلية الأثر في تكوين مفاهيمها وآدابها " [2] .

ويتمثل أبو نواس هذه المفاهيم والآداب في حياته حتى تصبح جزءاً أساسياً من مذهبه الشعري والفني ... ، وشعر أبي نواس خير معبر عن حياته الحضرية بمقابحها ومحاسنها " [3] ، فهو يجسدها في شعره ، حيث احتلت مساحات واسعة ، فهي ذات دلالات مكانية حسية تظهر معاناته ، وتنقل مشاعره وارتباطه بها ، حيث كانت مسرحاً لجولاته خلال حياته ، وما تحمل من صراعات ترمز إلى علاقاته مع الخلفاء والندماء الذين يحتلون مكانة لديه .

---

[*] صريع الغواني لقبه بذلك الخليفة العباسي هارون الرشيد .
[2] الشعر في الحضارة العباسية : 151 .
[3] المصدر نفسه .

أماكن السكن :

إن أماكن السكن تنتمي الى المكان الحضري، وجميعها تعني العالم الداخلي الخاص بالانسان ، الذي يكون جسراً من الذات والعالم الخارجي حوله ، و (البيت) أهم هذه الاماكن فهو " واحد من أهم العوامل التي تندمج فيها افكار وذكريات واحلام إنسانية، ويمنح الماضي والحاضر والمستقبل ديناميات مختلفة ، وابرزها الملامح الامومية للبيت.

فالبيت يحمل الطفولة ساكنة بين ذراعيه ، والكثير من ذكرياتنا محفوظة في البيت، إننا نحلم بالبيت الذي ولدنا فيه " [1] .

والبيت هو المأوى والمآب ، ومجمع الشمل ، وهو مفرد جمعهُ بيوت وابيات، والبيت السكن فهو بناء " [2] .

وقد بلغ البيت من الحرمة والمكانه في الاسلام مبلغاً وعلى علواً كبيراً ، وقد خصه الله تعالى بالقدسيات فمنع الداخلين فيه عند عدم الاذن لهم بالدخول من قبل اهله ، والسماح للطارق الوافد بولوجه [3] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [4] .

وقوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا** ﴾ [5] .

---

[1] ينظر : جماليات المكان (باشلار) ، 46–44 ؛ وينظر المعجم الوسيط : 78.

[2] معجم مقاييس اللغة : 324/1 .

[3] ينظر : المكان في شعر الشريف الرضي : 40.

[4] سورة البقرة ، الآية : 189 .

[5] سورة النور ، الآية : 27 .

" فالبيت جسد وروح ، وهو عالم الانسان الاول، ويوحي للمخيلة أبداً بمحتوى اجتماعي مكثف ، ومامن مكان اعتز به العربي في حياته الخاصة غير ديار القبيلة ، والبيت الذي ولد فيه ونشأ فيه . " [1]

وللبيت دلالات كثيرة أهمها ، الطهارة ، والحرمة ، والقدسية الشرف ، حيث تنبع هذه الاهمية التي خص بها الله ﷻ هذا الحيز المكاني، فالبيت سكن الاحبة والانتماء الى العائلة التي تحكم الانسان بكل اواصرها، محملة بحبها وعلاقاتها وتبادل المشاعر والعواطف واحكام الارتباط بين افراد الاسرة تمثل ذلك بقول ابي نواس [2] .

تقول التي عن بيتها خف مركبي عزيزٌ علينا ان نراك تسيرُ
أما دون مصر للغنى متطلب بلى، إن اسباب الغنى لكثيرُ

نقل لنا أبو نواس بهذه المحاورة شعوره الرافض للسفر ، وحب البقاء بوطنه، حيث أنعكست روابط الأسرة في البيت بذلك التعبير " يعز علينا أن نراك تسير" لما للسفر من متاعب ومشقه ، ولو قصد من السفر طلب الرزق . كشف لنا الحوار عمق الحزن الذي وظفه الشاعر من خلال المحادثه وما يعتلج بذاته من الرغبة في البقاء بالارض التي يحبها ، ورغبته توفير المال الكثير من خلال سفره إلى مصر.

والدار من مسميات البيت ، وهي " أسم لكل عرصة دار عليها بناء، يسكنها الانسان، ثم يقال لكل مكان به قوم هو دارهم"[3] ، و"الدار" المحل بجمع البناء والمساحة، والمنزل المسكون – والبلد – والقبيلة – ودار السلام، بلاد المسلمين ودار السلام الجنة، وفي التنزيل العزيز " لهم دار سلام " [4] وبغداد " دار السلام"[5] .

---

[1] المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : 45.

[2] الديوان : 481 .

[3] اللسان : مادة (دار – دور) .

[4] سورة الأنعام ، الآية : 127 .

[5] ينظر: المكان في شعر الشريف الرضي : 43 ؛ والبيان والتبيين : 184 .

" وفي نطاق الشعر تأخذ " الدار " أبعاداً ودلالات تعبر عن الوعي الخاص بالشاعر تجاه نفسه والآخرين من حوله من أحداث الزمان [1] ، وقد تكون الدار منفذاً ومتنفساً للعاطفة الانسانية فشدة اللوعة والشوق ، وصدق اللحظة الانفعالية التي تسيطر في ذات الشاعر، والتي تعكس عدم قدرته على رد فعل الموت وحتمية قدره الذي لايرد، ولا يملك سوى عبرة مستديمة ورجع للذكريات، حيث ان الزمن الذي ساعد على هدم أمانيه، وضحته الموازنة التي اجراها الشاعر بين دور من لايودهم العامرة بهم، وبين دور أحبته، إن التضاد يمثل عمق حزنه وشدة لوعته ، خاصة أن دورهم أصبحت مقابر حيث يقول [2] .

طوى الموت مابيني وبين محمد ... وليس لما تطوي المنيةُ ناشرُ
فلا وصل إلا عبرة تستدرها ... أحاديث نفس مالها الدهر زاجر
وكنت عليه احذر الموت وحده ... فلم يبق لي شيء عليه أحاذرُ
لئن عمرت دور بمن لانحبه ... لقد عمرت ممن نحب المقابرُ

وعلى الرغم من أن سمة الدار الانغلاق إلا إننا نجده مكاناً أليفاً محبباً إلى ذات الشاعر ويبدو أن لعلاقة الدار بساكنيها تشيع الألفة وتوحي بالمحبة والأمان .

وبما أن أبا نواس يمتلك الخبرة والدراية بمعرفة الخلطاء من الناس، فقد تسنى له أن يصف الناس وغدرهم، فهم يميلون معك في السراء ويتنكرون لك في الضراء ، انه يقلب الطرف يميناً وشمالاً علهُ يستأنس بصديق، ثم لايلبث ان يعود الى العتاب ، وذكر الاحبة التي كانت وشائج المحبة تربطهم فهو يستغرب كيف يمكن النسيان والهجر ، والتنصل من الصداقة [3] .

---

[1] ينظر: المكان في النص المسرحي العراقي، اطروحة دكتوراه فلسفة ، منصور نعمان ، 1997 ، ص 92-93.

[2] الديوان ، شرح الصولي : 956-957 ، ورد في رواية الغزالي في السطر الثاني (عبره تستديمها)و(مالها الدهر ذاكر وجاء في السطر الرابع (دور بمن لا أوده) و(أحب المقابر).

[3] ينظر : الزمان والمكان في شعر ابي فراس الحمداني : 82.

لقد احس أبو نواس بالغربة الروحية والمكانية ، فالشقة بينه وبين من يحب أصبحت بعيدة، ويشتد به الشوق اليهم في دنيا ملؤها العجب مثلها بدار الهوان لما يحيط بواقعه من جفاء وغدر ، فهي دلالة للمكان المعادي ، جسد ذلك قائلاً : [1]

أحمـــــدُ الله الـــــذي أســـــ كننـــــــــي دار الهـــــــوان
وجفـــاني كـــل مـــن أمـــ لتُـــــه حتـــــى لســـــاني
لايـــــدلنَّ علـــــي الأخـــــ وانِ بعـــــدى مـــــن رآنـــــي
مـــن أجـــاد الظـــن بالنـــا سِ دهـــــاه مادهـــــاني
كـــان لـــي إلـــف أرجيـــ ـــــه لريـــــب الحـــــدثان
روحـــــه روحـــــي ، ولكـــــن يحتوينـــــا جســـــدان
همـــــهُ همـــــي ، وهمـــــي هُمـــــه فـــــي كـــــل شـــــان
لـــيس يعصـــيني ولا أعصـــ بـــــه ... مـــا قـــال كفـــاني
فجفـــاني حـــين باهيـــ تُ بـــــه ريـــــب الزمـــــان
تـــرك التصـــريح بالهجـــ ر فقرطســـت المعـــاني
إن فـــي التعـــريض للعـــا قـــل تفســـير البيـــان

لا محالة أن أبا نواس " ينطلق من أرض الواقع في التعبير عن موقفه (الخاص) من عصره وعن نظرته المتشائمة من الدنيا ، حيث يتولد عنده إحساس دفين بالغربة يطفو على سطح الوعي أوقات اليأس والشدة والحزن " [2] .

ولننظر مرة اخرى كيف يقف الشاعر وقفة الالم والحسرة يشوبها الحنين الى مواطن الاحبه، متشوقا الى ايام مجد الدار التي شهدت لحظات لقائه باحبته هذه الدار التي تثير رؤيتها في ذاته العاطفه، وتستوقف الذهن وتعود به الى الوراء، وهنا يتصل المكان بالزمان " فالمكان الطللي شاخص حي لفعل الزمان وأثره فيه، وهذه

---

[1] الديوان : 604 .

[2] ينظر: الزمان والمكان في شعر ابي الطيب المتنبي : 197.

الاطلال والربوع الدارسة في حقيقة أمرها تعبير عن نضال إرادة مضى أثرها الحي" [1] . تمثل ذلك بقوله [2] :

يـــادار مافعلـــت بـــك الايـــامُ ضـــامتك والايـــام لـــيس تضـــامُ
عـرمَ الزمـان علـى الـذين عهـدتهم بـــك قـــاطنين وللزمـــان عُـــرامُ
أيـــامُ لا اغشـــى لاهلـــك منـــزلاً الا مراقبـــــة علـــــي ظـــــلامُ

وأبو نواس واحد من الذين تزاحمت فيهم الافكار وشطت بهم الديار، حتى راح يتذكر، ويقف على الاماكن في حوار مع الذات، "وطبيعة الانسان ميالة الى بث احزانه للناس ليشركهم في همومه، ليطلعوا على مآسيه ظناً منه أنهم يخففون عنه الالم والمعاناة[3] .

والدار التي وقف الشاعر يبكيها لم تكن داراً ذات اثر عابر مر بحياته، بل هي دار ضمت بين حناياها زمانا يحفل باعذب الايام، انها وقفة حزن املاها على الشاعر شعور اعاد في نفسه تلك الايام الخوالي [4] .

وماحنينه اليها الا شوق روحي الى المكان المحبب " خصوصاً إذا كان المكان هو وطن الالفة والانتماء، الذي يمثل حالة الارتباط برحم الارض" [5] .

وقارئ هذه القصيدة يقف متأملا طريقة التعبير عن المعاناة من خلال ذلك الحوار المقترن بالاستفهام، وبالتعجب فهو يبدأ قوله بالنداء (يادار) المتمثل فيه الاستغراب من عمل الايام التي لم ترع حرمتها ، فتعدت عليها بالجور، ولا قدرة له لرد ذلك الضيم ، فالاستفهام يؤدي وظيفة اظهار الضيم ، مستخدما عبارات تكشف مدى المه، وعمق تأثره ولاشك ان تتابع الافعال " فعلت ، ضامت ، عُرم تبرز حركة الحدث، وماتحسه ذات الشاعر بذلك المكان، " إن صور الدار في القصائد ليست

---

[1] ينظر : المكان في شعر الشريف الرضي : 98.
[2] ديوان : 407 .
[3] ينظر : الزمان والمكان في شعر ابي فراس الحمداني: 64.
[4] ينظر : المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : 52.
[5] جماليات المكان ، اعتدال عثمان : 77.

واحدة ، إنما تختلف مضامين دلالاتها ، واشكالها من شاعر الى أخر، ومن قصيدة الى اخرى للشاعر الواحد، ولكل مكان فيه خاصيته، ولكل انسان تجربته، وله طريقته في التعبير عن نفسه واحساسه " [1] فنجد ابا نواس يعبر عن احساسه بالدار، فهو يرى انها لاتتسم بالديمومة بل تمثل بالغربة والانقطاع الذي يبدأ برحيل الانسان عنها ولم يبق له سكن اذن رؤية الشاعر بان المكان لا ديمومة له به ، وهناك دار بعيدة دائمة السكن هو القبر ، اذن الدنيا دار فناء لابقاء كما وصفها الشاعر [2] .

سكن يبقى له سكن ... مالهذا يؤذن الزمن
نحن في دار يخبرنا ... ببلاها ناطق لحنُ
دار سوء لم يدم فرحٌ ... لأمرئ فيها ولا حزنُ
كل حي عند ميتته ... حظه من ماله الكفنُ

وقوله [3] :

الا تأتي القبور صباح يوم ... فتسمعُ ما تخبرك القبورُ؟!
فإن سكونها حركُ تنادى ... كأن بطون غائبها ظهورُ

فالقبور اماكن سكن شاخصة تحكى قصة الانسان والزمن، فمهما يعيش ويطول مقامه بالدار سيأتي الى القبور، وكأنه غريب عن داره فهو يرحل الى مكان بعيد كأنه لم تكن له علاقة او صلة به ، فشعور ذات الشاعر يتحول مكان الالفه والسرور الى مكان عزلة وجفاء ويحس تجاه الزمن وموقفه الصعب ويعتبر به ، فالدنيا دار فناء وعلى اللبيب التعامل معها بما تضمره له ، حيث يقول : [4]

أرى كل حي هالكا وابن هالك ... وذا نسب في الهالكين عريق
فقلْ لقريب الدار إنك ظاعنٌ ... الى منزل نائي المحل سحيق

---

[1] ينظر : المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : 52.
[2] الديوان : 615 .
[3] الديوان: 613 .
[4] الديوان : 621 .

إذا امـــتحن الـــدنيا لبيـــب تكشـــفت لـــه عـــن عـــدوٍ فـــي ثيـــاب صـــديق

" إن الذات تتفاعل مع أماكن السكن، الموحية بدلالة العزة والشرف والحماية وخصيصة الاصالة والكرامة والمنعة والاباء . وقد تتحول دلالة المكان الى رمز تسجيلي يسجل لهفة الشاعر وحرارة شوقه وصدق احساسهِ الانفعالي إزاء الحبيب البعيد"[1] فهو يتحرق شوقا اليه نحو قوله : [2]

امـــا الـــديارُ ، فقلمـــا لبثـــوا بهـــا بـــين اســـتباق العـــيس بالركبـــان
وضـــعوا ســـياط الشـــوق فـــي اعناقهـــا حتـــى اطلعـــن بهـــم عـــن الاوطـــانِ

يقف ابو نواس وقفة تستثار معها ذكرياته وتجسد حالته النفسية تلك اللحظة حين استرجع الماضي الذي يفتقده وحوته تلك الاطلال الدارسة ، فهي ديار كان لها وقع في نفسه ويأتي سؤاله عنها وكأنه يستغرب هذه القطيعة بينهما قوله : [3]

لمـــن ديـــار تســـربلت ببلاهـــا نســـيتك ربتهـــا ولـــم تنســـاها

وللدار دلالة العلاقة فهي رمز للوصل، فهي ليست مكان مجرد من الروابط، بل انها تنم عن صلة معنوية في ذات ابي نواس ، فهو يسأل باستغراب كيف تكون الدار بجوار الدار ولاتكون بين ساكنيها صلة او الفة، فهو يرمز بقوله الى بعد القلوب لابعد الديار [4] .

ياقريـــب الـــدار مـــن داري وقـــدْ زاد فـــي البعـــد علـــى مـــن بعـــدا
قـــد شـــهدتُ العيـــد فاستســـمجته ذاك أن لـــم تـــك فـــيمن شـــهدا
حـــولي النـــاسُ كـــأني لا ارى مـــنهم اذ غبـــت عنـــي احـــدا

---

[1] المكان في شعر الشريف الرضي : 43 ؛ ينظر : لباب الآداب : 62 ؛ وينظر : ذيل الأمالي والنوادر : 93 .
[2] الديوان : 292 .
[3] الديوان : 496.
[4] الديوان : 345.

" إن المكان في جوهره تعبير عن الوجود الانساني وعن الحياة" [1] ، " فالسكن استمرار للساكن ، وان الساكن استمرار للسكن " ذلك إن كلا منهما يصنع الاخر ويكيفه ويطبعه بطابعه" [2] .

القصور :

هي المظهر الحضاري الذي يميز السادة والاشراف وتقابلها القباب فهي المظهر الذي يميز السادة عن غيرهم في أماكن البادية، والقصور هي بيوت الملوك والأمراء وتشير الى سلطانهم وهيبتهم على الارض [3] .

ولابي نواس رؤية بما ترمزه القصور من حيث انها تخرج عن كونها سكناً بل رمزاً للسيادة والحكم، فينفذ منه في شعره لاظهار الرفاه الذي تعيشه بغداد جاء ذلك في قوله[4] :

يـــا بـــأبي ظبـــي بـــه مســـحةُ قـــد شـــب فـــي بغـــداد مـــأواهُ
رُبـــى بقصـــر الخلـــد فـــي نعمـــةٍ حيـــــاه بالنعمـــــة مـــــولاهُ

فالقصور ترمز للسيادة والغنى والجاه يمثلها ابو نواس بصورة تشبيهية جميلة واصفا قصر الخلد بقوله [5] .

كنـت بقصـر الخلـد * فـي روضـة تخرقهـــا الأنهـــار بالســـنن
خلالهـــا الـــورد لـــدى نـــرجسٍ معتنـــق الأســـى فـــي الاغصـــن
يـــبط بتفـــاح الـــى مشـــمشً بـــين النخيـــل الطـــين والبـــدنِ
ياحبـــــذا النـــــوار نـــــواره مختلـــف البهجـــة فـــي الحســـنَ

---

[1] المكان في شعر الشريف الرضي : 45.

[2] البناء الفني في الرواية العربية في العراق : 21/2 .

[3] ينظر : معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع : 515/2-517؛
والمكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : 118.

[4] الديوان : 328 .

[5] الديوان ، رواية فاغنر : 360 .

* من قصور الخلافة ببغداد ، بناه أبو جعفر المنصور .

مـــن أصـــفر يرنـــو الـــى احمـــرٍ وابـــيض فـــي اللـــون كـــالقطن

فالشاعر قد أقبل مع ثقافته الشعرية على الطبيعة فتأملها، أمعن التأمل ، ثم استخرج من المعاني أروعها ونظم من الاخيلة أجملها ، ولهذا نراه رسم صورتها فتحركة ، حيث منح للازاهير حرية التنفس والنشوة، ولايلبث أن يؤخذ بهذا التوليد العجيب للمعاني، وبذلك الشعور الفياض يجمله فن رائع [1] ، وهو بذلك منح المكان الحركة لتمازجه مع الطبيعة .

وعليه فالقصور للترف والرفاه وضمن صورة تشبيهية يصف ماكان في قصر المهدي من حسان الطواويس . وفي قصيدة في باب الطرديات ينعت ديكا من ديوك الهند قائلا [2] :

أنعـــت ديكـــا مـــن ديـــوك الهنـــد أحسن من طاوس " قصر المهدي"

البلدان والأمصار :

البلد : " المكان المختط المحدد المستأنس باجتماع قطانه واقامتهم فيه، وجمعه بلاد وبلدان" [3] " ويوحي بدلالة الامان والاستقرار والطيب والبركة هذا من جانب، ومن جانب اخر فقد توحي البلاد بدلالة الذم والهجاء" [4] والدعوة الى تركها ، وان لاتسقيها السحاب لانها بلاد تورث الهم والحزن قوله : [5]

ســـقياً لغيـــر العليـــاء والســـند وغيـــر أطـــلال مـــي بـــالجرد
وياصـــبيب الســـحاب إن كنـــت قـــد جـــدت اللـــوى مـــرة فـــلا تعـــد
لاتســـقين بلـــدة إذا عـــدت الـــ بلـــدانُ كانـــت زيـــادة الكبـــد

---

[1] ينظر: شعر الطبيعة في الأدب العربي: 273 ؛
وينظر: أبو نواس قصة حياته وشعره: 114 .
[2] الديوان : 659 .
[3] المفردات في غريب القرآن : 59.
[4] المكان في شعر الشريف الرضي : 47.
[5] الديوان : 52.

إن اتحـــرز مـــن الغـــراب بهـــا يكـــن مفـــري منـــه الـــى الصـــرد

اذن موقف الشاعر من المكان " موقف من الصراع الانساني في الواقع ، وموقف من العلاقات الاجتماعية السائدة مضافا اليها الجوانب الفكرية والنفسية التي تحدد الممارسة او النشاط البشري على المكان الفعلي، سلباً او ايجابا، بمعنى ان الموقف من المكان متأت من قيمة المكان على الارض، وما يثيره من احساس في وعي الشعراء، بكونه كيانا حياً ومصحاً تتجسد عليه قيم الوجود" [1] . فتتعدد دلالاته فتشكل "نسيجا من المشاعر والعواطف التي تحاول شد الذات بقوة الى اماكن ألفتها ، فلكي يبقى على تلك الروابط والعلاقات قائمة بين الذات وبين امكنه يحاول رفدها ومدها بل وتغذيتها بالمزيد من القيم والرموز احساساً منه بانفلات المكان الموطن او مايمثله من امكنة" [2] .

إن الالفاظ التي ينتخبها الشاعر تتراوح دلالاتها بين الحكمة والعظه وتوحي بالمقارنة او الترويج لامر يطلبه الشاعر ويدعو له كقوله [3] :

تقـول التـي مـن بيتهـا خـف مركبـي عزيـــز علينـــا ان نـــراك تســـير
أمـــا دون مصـــر للغنـــى متطلـــب بلـــى إن اســـباب الغنـــى لكثيـــر
فقلـــت لهـــا واســـتعجلتها بـــوادر جـرت فجـرى فـي جـربهن عبيـر
ذرينـــي اكثـــر حاســـديك برحلـــةٍ الـــى بلـــدٍ فيـــه الخصـــيب أميـــر
وأطـــرق حيـــات الـــبلاد لحيـــة خصـيبية التصـميم حـين تسـور

لذا نجد إن صور المكان متعددة فهو الام والحبيبة وذكريات الطفولة، والمركز والجاه والسلطة، ويلعب المكان وموجوداته أثرا في الايحاء بصورة المكان ودلالته واثره في الجو النفسي ، فالحركة سر حيوية الصورة وخروجها من الجمود لتدل على صورة المكان في الذاكرة المدونة للماضي" [4] ويحفل ذكر الاماكن التي عاش فيها

---

[1] اشكالية المكان : 5.

[2] المكان ودلالته في شعر السياب : 144.

[3] ديوان ، شرح الصولي : 419.

[4] المكان في شعر الشريف الرضي : 48.

وهاجر اليها مساحة واسعة في ديوانه، اتصف بعضها بصفة ساكنيها وعلاقته بهم كما اتصفت اماكن اخرى بعلاقته بالخمرة وشاربيها حتى امتدت هذه العلاقة الى الاماكن التاريخية ذات الصلة بالخمر وصنعها، ولكن يبقى حبه لارضه التي تعني كيانه ووجوده وايامه، وما تحمله من حب او كره ، ورابطة لافك لعراها الا وهي علاقته بوطنه واماكن حل بها نستعرضها :

العراق الوطن – مدن وافاق :

" إن العراق إبان تلك الرحلة كان انعكاساً لتزايد التعقيد الاجتماعي، واضطراب ظروف المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وهذه الظروف بدورها تؤثر في نفسية الشاعر، ومن هنا نستطيع القول بان شعر ابي نواس جاء ليصور الواقع الذي يعيشه بحناياه وفيه معاناته وعمق مشاعره وخاصة تجاه الارض التي أحبها ، واكتنفت أجمل ذكرياته.

غير ان ابا نواس لم يستطع الصبر طويلا على العودة الى العراق من مصر فحمل شوقه لكلمات تحمل صدق مشاعره وماتكنه نفسه من حب الى وطنه فعاد به الحنين الى فكرة العودة الى ارضه قائلاً : [1]

ألا هلْ على الليل الطويل مُعينُ إذا بعدت دار وشط قرين
تطاول هذا الليل حتى كأنما على نجمه ألا يعود يمين
كفى حزناً أنى بفسطاط نازحٌ ولي نحو اكناف العراق حنين

والمكان الذي بث الشاعر اليه حنينه ضرورة حقيقية لتفاعل الذات مع المكان إذ يصبح هذا التفاعل هاجساً نفسيا يعكس هذه العلاقة الفعالة والارتباط بالمكان .

ومما لايجهل عن سيرة ابي نواس انه كان دائم الترحال اما طلبا للرزق متكسبا بالشعر الذي جاء فيه او لظروف شخصية تحتم عليه السفر والتنقل بين الامصار فزار عدداً من المدن وردت في شعره اثرنا جمعها تحت عنوان المدينة.

---

[1] الديوان : 308.

المدينة :

لغة مأخوذة من مدن يقال " مدنٌ بالمكان : أقام به ، ومنه " المدينة" [1] . والمدينة مشتقة من " دان، يدين أي حاكم و " ديان" أي القاضي ، وهذا يعني أنها تأخذ القاضي معنى مكان إقامة القاضي، أو قد يكون معناها " المكان أو التي يعمل سكانها في داخلها " [2] .

وأول ظهور للمدينة كان في وديان الانهار ، في مصر والعراق ، في الالف الرابعة قبل الميلاد " [3] ولعلماء النفس وعلم الاجتماع رأي آخر في المدينة فهم يرونها " جسم وتقاليد، وهنا يذهب الأهتمام الى طريقة الحياة التي تميز المجموعات التي تعيش خارج نطاق حدودها [4] .

وقد مرت المدينة بمراحل تطويرية عديدة في حياة البشر ، وانتقلت من شكل الى آخر ، ومن بسيط الى معقد، فأكثر تعقيداً وبفعل هذا التطور ، اختلف نمط العيش في المدينة عن البادية وبسبب تأثير المجتمعات التي دخلت حضارتها وبشكل واسع ، فتغيرت أساليب الحياة، ونمت حياة تختلف فيها الحضارة بكل اشكالها ، فأصبحت المباني الفخمة المتمثلة في القصور، واماكن اللهو، تعكس انماط الرفاهية في العيش ، كما تغير الملبس والمأكل فيها، وتحولت حياة الخشونة التي كان العربي يعيشها في البادية الى حياة الحضارة التي تستقي جمالها من جمال الطبيعة المورقة الاشجار ، تؤنسها زقزقة العصافير على الاشجار في البساتين ، الواسعة الممتدة على حافات الانهار، والتي اصبحت الهام الشعراء، فتغنوا بجمالها ، ورسموا صوراً شعرية تجسد روعتها ، فتفننوا بوصف القصور والدور باجمل الاوصاف وخير مايمثل ذلك الحاضرة العباسية في عصورها الاولى .

---

[1] لسان العرب ، مادة (مدن) .

[2] جغرافية السكان : 53.

[3] جغرافية العمران : 34.

[4] ينظر: جغرافية المكان : 39.

ومن المدن الحضارية الواردة في شعره مدن ذات تاريخ وحضارة عربية مميزة في الدولة العربية وذات تأثير في مسار حياته منها (البصرة، الكوفة، دمشق) في حين تفردت بغداد بحضور كبير في قصائده فهي تمثل مكانا امتلك مشاعره وتجسد في ذاته فمدينة بغداد رمز الحضارة العربية والعباسية ، والصرح الحضاري الشاخص في شعر ابي نواس، فهي الرابط بين ذاته ومن يحب ، واحتضنت اجمل ايامه التي عاشها في قصورها وبين بساتينها واديرتها ومجالس الخلفاء والامراء وماتعنيه من علاقات بعلية القوم والندماء، الذين نعتهم باحسن الصفات.

فبغداد لاتمثل الحاضرة العباسية فقط بل أصبحت اهم مدينة في العالم العربي. إذ بنيت فيها مئات المساجد والقصور الفخمة، وتكاثر فيها التجار والصناع، وكان لكل طائفة منهم شارع او سوق ، فزخرت بالحياة تزينها البساتين الملحقة بالدور والقصور والمتنزهات، وميادين اللعب بالصولجان، وغيره [1] ، ولابد أن تتأثر الملكات الادبية وخاصة الشعر ، فيأتي معبراً عن ذات الشاعر وعلاقته بالمكان .

" ومما لاشك في أن المكان يحتل منزلة مهمة في حياة الانسان، اذ أنه يمثل مواطن الانسان، والمكان يحقق فيه طموحاته ورغباته، ولاسيما موطن الانسان ، وان اول شعور بالاغتراب يظهر لدى الانسان لحظة خروجه الى الدنيا، فصراخ الطفل الوليد ، دليل هذا الاغتراب .

واغتراب المكان هو أقسى انواع الاغتراب بوصفه الوعاء الحاوي للانسان"[2] حيث تؤكد مصطلحات الادب أن الحنين إلى المكان يفجر في نفس الفنان أو الشاعر انتاجا وجدانيا رهيفاً" ويصح في هذا تلك التجربة التي مر فيها أبو نواس والتي أودع فيها طرب النفس حينما يعصف به الوجد الى الوطن ، ودونه عوائق ومواقف تمنع الوصول اليه ، فتحمل كلماته اللوعة والحنين ، وتنقل ذلك الحس الانساني ، وتلك الرقة الشعورية الى وطنه " بغداد " فمكان الكرخ يمثل دلالات في

---

[1] العصر العباسي الأول : 16 .

[2] المكان في شعر الشريف الرضي : 172 .

نفسه ، ذلك المكان ضم بين حناياه أجمل أيامه فيتذكره ، ويبكيه. ولاغرابة في ذلك أن يحن أبو نواس وهو بعيد عن بلده واهله " [1] فالحنين امر جليل وفطرة عاش عليها الانسان، ورحيل الشاعر الى مكان آخر مدعاة للحنين"[2] فجسد ذلك قوله[3]:

ذكـــر الكـــرخ نـــازحُ الاوطـــانِ فصـــــبا صـــــبوةً ولات أوان

لـيس لـي مسـعد بمصـر علـى الشـو ق الـــى أوجـــه هنـــاك حســـان

نـــازلات مـــن الســـراة فكرخـــاً يـا الـى الشـط ذي القصـور الـدواني

وبغداد علامة بارزه وحاضره أصيلة على مر العصور ولا غرابة لحنين ابي نواس المتزايد حين يبعد عنها ، فهو يدعو لها بالسقي ، ويتذكر ايامها ، فبغداد ذلك المكان الذي تحن اليه ذاته، فتعود اليه من خلال التذكر لحياة الترف فيها قوله [4]:

ســـــقيا لبغـــــداد، وأيامهـــــا إذْ دهرنـــا نطويـــه بالقصـــف

مـــع فتيـــة مثـــل نجـــوم الـــدجى لـــم يطبعـــوا يومـــا علـــى خســـفِ

ويتمثل حب المكان والحنين إليه في ذات الشاعر قوله [5] :

إذا ذكـــرت بغـــداد لـــي فكأنمـــا تتحـــرك فـــي قلبـــي شـــباة ســـنان

وأوبـــة مشـــتاقٍ بغيـــر دارهـــم إلـــى وطـــن مـــن أعظـــم البلـــدان

استحضر أبو نواس الكثير من الاماكن الحضارية في شعره (مثل الحيرة ، اليمن، الكوفة ، دمشق) وكثير غيرها ، " والمكان الحضاري هو المكان الذي قامت على بقاعه حضارة شاخصة امتدت عبر الاف السنين ، وشهدت نهوضا وتطورا في جوانب الحياة كافة، فكانت حلقة تاريخية تركت اثرها البارز على الصعيد الوطني

---

[1] المعجم الأدبي : 100 .

[2] ينظر : المكان في شعر أبي فراس الحمداني : 118.

[3] الديوان : 476.

[4] الديوان : 691 .

[5] الديوان . ر باغنر : 4 .

والقومي والانساني. وكان المكان أبرز شواخصها" [1] . ولكن المكان تميز حضوره في ذات ابي نواس كونه يمثل علاقات ومواقف نفسية عاشها وكانت ذات عمق وتأصل مردها الى قربها في نفسه وخاصة " البصرة التي تعد " من حواضر العلم وأحد المصرين –البصرة والكوفة – التي كانت تقوم على اشاعة المعارف والعلوم العربية وسائر البحوث النقلية والعقلية ، ومذاهب الكلام ، والوان الادب وضروب الثقافات، وكانت تتنافس وتتفاخر وتتكاثر بالنوابغ والعظماء وفي كل حلبة وميدان ... وكانت المدينة في حفل من المناظر الحسنة والمجالس الانيقة تتخللها المياه، وتتوسطها الميادين العجيبة ، التي تزهو بالخصب والنضارة" [2] .

لكن البصرة التي عاش في ربوعها طفولته وشبابه تركها ونزح يطلب ود الملوك في بغداد لما قاساه من الم وكره وجفاء ممن يحبهم ، واثر اخفاقه في حبه لجارية تدعى (جنان) التي رفضته ولم تقابل حبه بالمثل ورحلت الى ضيعة بحكمان من ظاهر البصرة، مع مولاها عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي، وظل يسأل عنها قائلاً:[3]

أســـأل القـــادمين مـــن حكمـــان كيـــف خلفتمـــو أبـــا عثمـــان ؟

وقوله [4] :

كفـــى حزنـــا ألا أرى وجـــه حيلـــة أزور بهـا الاحبـاب فـي حكمـان
وأقســـم لـــولا أن تنـــال معاشـــر جنـــان بمـــا لا أشـــتهي لجنـــان
لأصـبحت منهـا دانـي الـدار لاصـقاً ولكن ما أخشى – فدبت – عداني
أرانـــي انقضـــت ايـــامُ وصـــلي مـــنكم وآذن فـــيكم بـــالوداع زمـــاني
فـــوا حزنـــاً يـــؤدي الـــي الـــردى فأصـــبح مـــأثوراً بكـــل لســـان

---

[1] المكان في شعر الشريف الرضي : 52.

[2] ينظر: أبو نواس وقصة حياته وشعره: 21–22 ؛ وينظر : معجم الشعراء العباسيين: 565 .

[3] الديوان : 252 .

[4] الديوان : 254 .

ولم يكن حاله من اهل مدينته باحسن من حاله مع الجارية جنان، وكأنه يعيش في مكان مرفوض لذاته لعدم توافق نفسه وانسجامها تجاه اهلها مثل قوله : [1]

أيـــا مـــنْ كنـــتُ بالبصـــر ... ةِ أصـــفي لهـــمُ الـــودا
ومـــن كـــانوا مـــوالي ... ومـــن كنـــتُ لهـــم عبـــداً
ومـــن قـــد كنـــت أرعـــاه ... وإن مـــلَّ وإن صـــدا
شـــربنا مـــاء بغـــداد ... فانســـاناكم جـــدا
تبـــدلنا بهـــا حـــوراً ... لألحـــان الفنـــى إدا
وأهيـــا مـــنكم شـــكلا ... واحلـــى مـــنكم قـــدا
ولمـــا لـــم يكـــن بـــدٌ ... وجـــدنا مـــنكم بـــدا
كلانـــا واجـــدٌ فـــي النـــا ... سِ ممـــن ملـــة نـــدا
قطعنـــا حـــبلكم عمـــداً ... كمـــا أعرضـــتهمُ صـــدا
فـــلا ترعـــوا لفـــا عهـــداً ... فمـــا نرعـــى لكـــم عهـــدا
ولاتشـــكوا لنـــا فقـــداً ... فمـــا نشـــكو لكـــم فقـــدا
لززنـــا بـــردكم بالحـــ ... ـــر حتـــى طـــرد البـــردا
كمـــا ينهـــزم القـــرب ... اذا ماعـــاين البعـــدا

" ومادام الامر كذلك ، فإن المحبين بعد الفراق مهما يكن طويلا او قصيراً – إي بعد خضوعهما لفعل الزمن ، لا يكونان هما المحبين اللذين كانا من قبل وسينكر احدهما الأخر " [2] .

ولايقول هذه الابيات إلا من بهرته الحياة التي يحياها فكره ماعداها مضحيا بالماضي كله .. كأنما يقتلعه من ذاكرته اقتلاعا، ويمحوه من نفسه محواً. فقد كان الحاضر الذي يحياه أقوى أثراً واشد توهجا وأعظم حضوراً من الماضي وأقرب الى

---

[1] ديوان شرح الصولي : 608 .

[2] المصدر نفسه : 75 ؛ وينظر الشعر والشعراء : 681 .

روح الشاعر الرافضه للاستسلام ، والمنطلقه الى آفاق اكثر بهجة واشراقا، وادنى الى تحقيق ماتصبو اليه نفسه من الحرية والنشوة وتحقيق الذات .

هذا ماعبر عنه ابو نواس واكثر العتاب والتظلم ممن اصغى لهم الود ، لكن عامل الزمن والبعد أوجد تبدلا كبيرا في ذات الشاعر الذي وجد في مكان آخر بديلا اكثر انسجاماً مع ذاته .

ولاغرابة في ان يحن الشاعر الى من يحب في موطنه البصرة مع امتلاء نفسه غيضا، لكنه كان أقوى في ذاته تجاه من يحب، وفراقه للمكان المتمثل بحضور الاحبة يعني له العلاقة والارتباط " ارتباط الانسان بوطنه وحبه له وتمسكه ظاهرة إنسانية ملازمه له في مختلف الأزمان، وعلى مر العصور وفي كل البيئات والأوطان " [1] فالذات تحن وتشتاق الى البقعة المكانية النائية عنها ، لكن الالام والمعاناة تحتل هذه الذات ويأتي قول الشاعر ممثلا لتلك الحالة[2]:

إني عشقت وهل في العشق من باس ... ما مرّ مثل الهوى شيء على راسي
مالي وللناس ؛ كم يلحونني سفهاً ... ديني لنفسي ودين الناس للناس
ما للعداة إذا ما زرت مالكتي ... كأن اوجههم تطلى بأنفاسي
الله يعلم ماتركي زيارتكم ... إلا مخافة أعدائي وحُراسي
ولو قدرنا على الإتيان جئتكم ... سعيا على الوجه او مشيا على الراس
وقد قرأت كتابا من صحائفكم ... لايرحم الله الا راحم الناس

هذه الخطرات النفسية البديعة ، المحملة بالحزن والالم والاغتراب عن الناس وبالتالي يعني الاغتراب عن المكان لما يبدو من ناسه ومحبيه في البصرة، فهي كفيلة بان ينقل الشاعر معاناته ويستغرب للمجتمع موقفه قوله (ديني لنفسي ودين الناس للناس).

---

[1] الحنين الى الوطن في الادب العربي من العصر الجاهلي الى نهاية العصر الاموي : 46.
[2] الديوان : 265.

" وفي إطار خلجات الشاعر للتعبير عما يعانيه ، يدفعه الانفعال العاطفي، ويصل به صراع الالم والغربة الى حاله نفسية حادة " [1] فهو يحمل اهل مدينته سبب آلامه لأنهم يرون أن قيمة المرء بماله ونسبه دون النظر الى انسانيته فتأخذ حاله رفضه لمواقفهم قوله : [2]

ألا كلُّ بصري يرى إنما العلى مكممةٌ سحق لهن جرين
فإن تغرسوا نخلا فان غراسنا ضراب وطعن في النحور سخين
وان اك بصرياً فان مهاجري دمشق ولكن الحديث شجون
مجاور قوم ليس بيني وبينهم أواصر إلا دعوة وظنون

" وفي جانب علاقة الفرد بالجماعة يظل الانتماء جذوة اللهب التي لاتنطفئ في الوجدان ولكن صروف الدهر قد تشرخ صفوة الود مابين الفرد وقومه، في حين لايجد المرء امامه غير الرحيل، بعد ان فقد كل الصلات واصبح الوصل بعيد المنال.

ومهما يكن فان الانقطاع لايكون إلا خارج حدود الذات، فنرى ان ابا نواس عاوده الحنين لاهله والموطن الذي عاش فيه، فاشتاق لمنازله ومعاهد صباه فيه، لكنه يتكلف الصبر ويلزم نفسه السلوان بقوله [3] :

عفا المصلى وأقوت الكثبُ مني فالمربدان ، فاللبب
فالمسجد الجامع المروءة والدين عفا فالصحان فالرحب
منازل قد عمرتها يفعاً حتى بدا في عذاري الشهب

ولايزال الشاعر يتغزل باماكن الصبا وملاعب اللهو في البصرة حتى بعد هجرها : [4]

حي الديار إذ الزمان زمانُ وإذ الشباك لنا حرى ومعان
ياحبذا السفوان من متربعٍ ولربما جمع الهوى سفوانُ

---

[1] الزمان والمكان في شعر ابي فراس الحمداني : 134.
[2] ديوان (الصولي) : 692 .
[3] ينظر: المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : 224 .
[4] ديوان شرح الصولي : 81.

وكثيراً ماكان الشاعر يرحل من بغداد طلبا للرزق أو زيارة اماكن لهو فيذكر تلك الاماكن في شعره، كالكوفة وبعض من ضواحيها المحاطة بالبساتين والأديرة كانت مقاصف لشرب الخمر واللهو عاش فيها أبو نواس مع ندمائه وقوله : [1]

ذهبت بنا كوفان مذهبها وعدمتُ عن طرقاتها صبري

ومن المدن الكوفة ، وردتنا ضمن قصائد اتسمت بأسلوبها الجميل وحسن استساغتها فجاءت معبرة عن لواعج نفسية إنسانية تعبر بدورها عن شيء بداخل كل منا علماً أن " الحكم بالجمال أو القبح ينصب على شعور الفنان وان كان ذلك الحكم لايمنعنا من أن نجد المتعة في العمل الفني من حيث نجاح الفنان في التعبير عن هذا الشعور .

فالشاعر يرسم لنا طريق سفره عن وطنه العراق قاصداً الشام ، وقد استقبله أهلها بالترحاب والعيش الرغيد ، ولكن تلك الحفاوة لم تكن بديلا عن موطنه العراق واهله. لكنه وزن مودة اهل الشام بميزان عدل ، فيدعو لهم بالسكينة والسلام قائلاً [2] :

على شط الشام وساكنيه سلام مسلم لقي الحماما

وتأتي صورة تلك الاماكن التي سار بها قاصداً مصر بلد الخصيب فتمثلت غوطة الشام وبيسان بالاردن بالغور الشمالي ، بين حوران فلسطين وهي توصف بكثرة النخل، ثم بطريقه الى مصر بما فيه من اراضي منبسطة ونخيل وبساتين ، اماكن أثرية، يقول[3]:

رحلن بنا من عقرقوف وقد بدا من الصبح مفتوق الأديم شهير
فما نجدت بالماء حتى رأيتها مع الشمس في عيني أباغ تغور
وغمرن من ماء النقيب بشربة وقد حان من ديك الصباح زمير

---

[1] ديوان شرح الصولي: 520 ، 629.

[2] الديوان: 250.

ذكر صاحب معجم البلدان أنه رآها فلم يجد فيها سوى نخلتين (معجم البلدان : 527/1).

[3] ديوان شرح الصولي : 422.

وافين إشراقاً كنائس تدمر وهن الى رعنِ المدخن صور
يؤممن أهل الغوطتين كأنما لها عند أهل الغوطتين ثؤور
واصبحن بالجولان يرضخن صخرها ولم يبق من أجراحهن شطور
وقاسين ليلا دون بيسان لم يكد سنا صُبحه للناظرين ينير
فأصبحن قد فوزن عن نهر فطرس وهن عن البيت المقدس زورُ
طوالب بالركبان غزة هاشمٍ وبالفرما من حاجهن شقور
ولما أنت فسطاط مصر أجارها على ركبها أن لاتذال مجير

ومصر من الاماكن التي ورد ذكرها كثيرا في شعر ابي نواس مقترنا بمدحه الخصيب بن عبد الحميد الذي كان واليا لمصر، فاستقبله استقبالا حافلا حين قدم عليه من بغداد ، وكان الخصيب فارسياً، فأكرم الشاعر إكراماً كبيراً ، وحظي الشاعر عنده بالنوال، فمدحه بصدق وحرارة قائلا [1] :

أنت الخصيب وهذه مصرُ فتدفقا فكلا كما بحرُ
النيل ينعش ماؤه مصراً ونداك ينعش اهله الغمرُ

فمصر المكان المحبب لذات الشاعر فهي محطة رحال الشاعر طالبا الغنى من واليها الذي اكثر من مدحه واجاد فنال عطاياه .

ويرى الشاعر ان المكان يكسب الرضا والانتماء لروابط الالفة والصداقة فمصر كما يقول الشاعر انها قريبة لانها الارض التي يحل بها من هو المقصود بالوصل قوله مادحاً الخصيب [2] .

لم تدر جارتنا ولاتدري أن الملامة إنما تغرى
هبتْ تلومك غير عاذرة ولقد بدا لك أوسع العذر
واستبعدت مصراً وما بعدتْ ارض يحل بها أبو نصر
ولقد وصلت بك الرجاء ولي مندوحة لو شئت عن مصر

---

[1] الديوان : 479 .

[2] الديوان : 484 .

كان للمكان أهمية واثر في نفس الشاعر حاول ترجمة هذا الاثر ضمن سياقه الشعري فنقل لنا معاناته من البعد عن الديار وتحمله متاعب السفر لأماكن محببة لديه، فللمكان حضور واضح في ذاته ولم يكن مجرد كلمات ترد ضمن سياق اشعاره بل اضاءات معبرة عن مشاعره عن أي مكان كان مقصوداً لذاته. فالهجرة تعني أن المكان أصبح مكاناً معادياً ترفضه ذاته .

المبحث الثاني

تحول اماكن الحضارة والسكن – الأماكن للخمرة (البساتين – المجالس – النوادي والخيام)

تحول أماكن الحضارة والسكن - لأماكن للخمر :

ومما لاشك فيه أن الحضارة انتصرت ، واشتدت فيها رغبة العرب من أهل المدن على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم الاجتماعية إليها ، وكان هذا الانتصار عاماً، تناول الحياة المادية والعقلية، وتناول معهما حياة الشعور . ففكر العرب المحدثون بطريقة تخالف مخالفة شديدة تفكير العرب القدماء، وعاشوا كذلك في دورهم وقصورهم عيشة تخالف عيشة آبائهم، فظهرت عندهم العلوم وضروب الفلسفة وتغير لهذا كله حسهم وشعورهم، فتغير لسان هذا الحس وهذا الشعور ، وهو الادب، نثرا كان ام شعراً [1] .

وكان من الطبيعي أن يتخذ الناس اماكن للراحة والتنزه، حيث شيدت القصور التي تحيطها البساتين المورقة بالخضرة وبانواع الأزاهير فاصبحت سبلاً للراحة واللهو ، وشاعت الملذات وشرب الخمر فارتادها الناس ، الخاصة والعامة.

وكانت الاديرة التي تقع في ضواحي المدن تقدم لروادها الخمر ، وقد استحالت قاعات شرابها الى مجتمعات لطلاب الخمرة والمجون من الشعراء وغيرهم، فكثر ذكرها في شعر الشعراء [2] .

وكان لابي نواس السبق في هذا المجال فصور تلك النزهات وجلسات الطرب في شعره واكثر وصف القصور والبساتين واشاد باصحاب الاديرة والخمرة المعتقة [3] .

---

[1] ينظر : حديث الاربعاء : 27/1 .

[2] ينظر: العصر العباسي الاول : 69

[3] ينظر: أبو نواس قصة حياته وشعره : 99 .

البساتين :

كانت بساتين قصور الخلفاء والامراء والتجار والبساتين الواقعة في ضواحي المدن، وخاصة بغداد تمتلئ بالحانات، كحانة " بستان صباح " التي وصفها مطيع بن اياس في بعض شعره [1] .

وكثيرا ماكان أبو نواس يصف مجالسها ووقت النزهة واللهو – فهو يفضل أوقات الليل حتى يتمتع بشرب الخمر قوله " قبل اصوات الدجاج " و " قبل تغريد المنادي " ولكنه لايمانع بان تستمر مجالس الشرب اياماً وليالي متواصلة مع صحبه، اما احسن المجالس عنده فتلك التي تعقد بين الازهار والرياحين ، وعلى أصوات الحساسين في البساتين تمثل ذلك بقوله : [2]

فزنا بها في حديقاتٍ ملففةٍ بالزند والطلح والرمان والتوت
حتى إذا فلك الاوتار دار بنا مع الطبول ظللنا كالسبابيت
تلهيك أطيارها عن كل ملهية إذا ترنم في ترجيع تصويت[3]

وللطبيعة موقع في نفس الشاعر ، أجل إن ابا نواس يختار مجلسه بين الجنائن، ويأنس باصوات العصافير ، محفوفة بانواع الورود ، وتحيطها اسوار النخيل ترخي عليها عقوداً من الذهب.

فالبساتين أماكن مفضلة لدى الشاعر ، فهي تمثل الأماكن الأليفة التي تحتل حضوراً في نفسه فهي الاماكن التي يلهو بها بعيدا عن اعين الناس، وما صوره التي رسمها الا لتوضح معادلة فاعلية البساتين في نفسه القلقة المملوءة بالحزن تمثل ذلك في قوله [4] :

---

[1] ينظر : العصر العباسي الاول : 69 ؛ وينظر الشعر والشعراء : 206 ؛ وابو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 317.

[2] الديوان : 40 ؛ وينظر : الاغاني : 321/3.

[3] السبابيت : السبت وهو مفردها الرجل الكثير النوم والمقصود أنهم من فرط اضغاثهم وسكونهم للنغم . وتعلق عيونهم بناقري الاوتار وقارعي الطبول بدوا كأنهم نائمون.

[4] الديوان : 393 .

خرجت للهو بالبستان عنك، فما لهوت بل عكف البستان بلهوبي
لم يحلُ في ناظري من نوره زهر إلا حكاك بحسن منه أو طيب
إذا روائحه هاجت فوائحه من جالبٍ طيبه نحوي ومجلوب
ظللتُ بين فؤادٍ لاسكون لهُ وبين دمعين مسفوح ومسكوب

وتتضح علاقة الشاعر بالمكان برغبته بشرب الخمر وان حبها يمثل الرابطة الحقيقية للحضور في مكان ما ويمثل ذلك قوله [1] :

دع البساتين من ورد وتفاحِ واعدل – هديت – الى ذات الأكيراح

فنرى أبا نواس وازن بين البساتين من آس وتفاح وبين اماكن الخمر (الاديرة)، فالمكان الذي ترنو اليه نفسه يمثل حضوراً في ذاته ، فهو حين يفضل البساتين لعقد مجالسه الخمرية للهو ، لم تكن إلا لما تتمتع به هذه البساتين من تنوع الالوان ، وتعدد الصور المعبرة ، التي توحي اليه بالشعر، فهو يعد حضوره في هذه البساتين ساعة الشرب فوزا وانتصاراً لذاته، لانها تعدُ مكانا مميزاً لديه . أي انه مكان للراحة، بل هي ملاذ للهروب من الواقع الذي يحاول ان ينسى كل مافيه من متناقضات يرفضها، فيلجأ للحدائق واصوات الطيور وعبق الرياحين .

كما يمثل المكان البعيد عن أعين الناس هروباً من حالة يريد اخفاءها لان اماكن المنادمة مع الخلفاء والامراء تزدان بالحشمة والوقار والذي يفرض عليه مراعاة المجتمع وهذا يتناقض مع ماتكنه نفسه الداعية الى الصدق في الحضور بالواقع، فقد لمسنا ذلك من خلال اشعاره أي ان ابا نواس يفضل الشرب في اماكن تحيطها البساتين حيث النباتات اليانعة التي تضفي على النفس الراحة، قال [2]:

في روضةٍ بالنباتِ يانعةٍ قد حفها كل نير حسن
كأنما الوشي من زخارفها وشي ثياب بسطن باليمن

---

[1] الديوان: 121 ؛ وينظر : الشعر في بغداد : 289 ؛ والعصر العباسي الاول : 235.

[2] الديوان : 196.

ويؤكد ذلك قوله : " لا أكاد أقول شعراً جيداً حتى تكون نفسي طيبة واكون في بستان مونق وعلى حال ارتضيها من صلة أوصل بها أو وعد بصلة، وقد قلت وأنا على غير هذه الحال أشعارا لا أرضاها" [1] .

ويشير الى ان موقع الحانات لابد ان يكون بين الحدائق كما في قوله [2] :

ومجلس خمارٍ ، الى جنب حانةٍ بقطر بل بين الجنان الحدائق
تجاه ميادين ، على جنباتها رياض غدت محفوفة بالشقائق

ولاغرابة فإن أبا نواس أحب الخمر الى درجة العشق وأحب اماكنها، فقد يسأل خليله أن يحفر قبره في (قطربل) خلال المعاصر بين الكروم في البساتين ، لعله يسمع في حفرته ضجيج الأرجل العاصرة، فقد وصف لنا العلاقة بين مكان الخمر وبين مكان استقراره (القبر) في التفاتة ذكية للتعبير عن صدق مشاعره تجاه الخمر وحب الانتماء اليها حتى في قبره، الذي قطع العلاقة المحسوسة بينهما أزليا لكنه يحاول ان يمد أواصرها بان يكون قبره في معاصرها فيقول [3] :

خليلي بالله لاتحفرا لي القبر إلا بقطربل
خلال المعاصر بين الكروم ولا تُدنياني من السنبل
لعلي أسمع في حفرتي اذا عصرت ضجة الارجل

وتشابه وصية أبي نواس وصية أبي الهندي غالب بن عبد القدوس حين يقول [4] :

إجعلوا إن متُ يوماً كفني ورق الكرم وقبري معصرة
إنني أرجو من الله غداً بعد شربَ الراح حسن المغفرة

---

[1] ابو نواس ، قصة حياته : 96 ؛ وينظر : أخبار أبي نواس لأبي هفاف : 1 .

[2] الديوان : 171 .

[3] الديوان : 17.

[4] ديوان أبي الهندي : تحقيق عبدالله الجبوري، مطبعة النعمان ، النجف : 1970 : 44.

المجالس والنوادي

يقال للمجلس ماداموا مجتمعين فيه " النادي " أو " الندي" [1] ، " وهو الآخر مظهر مكاني ، تاريخي للسيادة ، مميز بروحه الاجتماعية والفكرية، استمد وجودهُ من واقع النظام القبلي السائد ، وعلى غرار دار الندوة ، التي لاتقضي قريش أمراً من أمورها الا فيها [2] .

" فالمجلس (النادي) اذن كيان من نوع خاص، ويعكس ما كانت عليه العرب من تحضر فكري وسيادة منطق العقل في الحكم والمشورة واحترام الاراء ، ويكشف عن علاقات اجتماعية تسودها الالفة، كما يركز معنى الوحدة بين القوم، لكونه يجدد أسباب الالتحام بين الاعضاء، وتذوب فيه الخلافات ... ، وهو بعد ذلك منبر فسيح للكلمة الشاعرة، والخطبة البليغة والحكمة السديدة، وبمعنى ان المكان – هنا – مرآة واضحة ، صادقة لأصحابه، يعبر عما هم فيه من حلم وفعل، وتجربة طويلة في الحياة، والى ذلك يشير زهير بن أبي سلمى اذ يقول في مدح هرم بن سنان وقومه : [3]

وفيهم مقامات حسان وجوههـا وانديـة ينتابهـا القـول والفعـل
وإن جئتهم الفيت حول بيوتهم مجالس قد يشفى باحلامها الجهل"

ولكن التطور وامتداد الحضارات الاخرى غيرت من دلالة المجالس كثيراً، حيث اصبح المجلس منتدى للهو والسمر واللقاءات الماجنة، حتى إن مكانتها تغيرت فصارت المجالس تعقد حيثما يكون جمع الندمان للسمر، وخاصة في العصر العباسي الاول.

---

[1] لسان العرب : مادة (ندي) .

[2] المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : 113.

[3] شرح شعر زهير بن ابي سلمى : صنعة ثعلب: 93 ؛ وينظر : الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري : 225 ؛ والنقد الادبي ، في كتاب نفح الطيب للمقري: 177.

وللمجلس خصوصية في شعر أبي نواس لكونها ملتقى الشعراء والمتكلمين ومن يطلب المتعة والراحة، وكذلك هي مجالس لشرب الخمر والقصف ، ويمثل ذلك قوله : [1]

ومجلـــــس مالـــــه شـــــبيه حـــل بـــه الحســـنُ والجمـــال
يمطـــر فيـــه الســـرور ســـحاً بديمـــــه مالهـــــا انتقـــــالُ
شـــهدته فـــي شـــباب صـــدقٍ مـــا إن نســـامى لهـــم فعـــال
نأخـــذ صـــهباء بنـــت كـــرمٍ ، عـــذراء لـــم تؤوهـــا الحجـــال
ونشـــر بهـــا بالكبـــار صـــرفاً ولـــيس فـــي شـــربنا مطـــال
حتـــــى إذا مابـــــدا ســـــهيلٌ وحـــان مـــن ليلنـــا إرتحـــال
نبهـــت طلـــق اليـــدين ســـمحاً يمطـــر مـــن كفـــه النـــوال

ويصف ابو نواس مجلسه بالحسن والجمال وكأن السرور يصب فيه من سحابة ممطرة لاينقطع مطرها اياما في سكون بلا برق ولا رعد صورة رائعة . ومن كان يجلس فيه يتصف بالصدق ومن صفاتهم الحسن والكرم ، تدار عليهم الخمر التي يصفها باجمل ماتوصف به المرأة من صفات القيمة والعفة .

وتقول الدكتورة أحلام الزعيم : " كيف يحمل خمرته أبعاد نظرته الانسانية جاعلا من مجالسها نوادٍ عامرة بالحب والأيثار والتضحية والكرم ... " [2] .

ويمكننا القول إن مجالس الشرب وما أتصفت به في العصر العباسي التي تمثل في شعر شعراء المجون وخاصة بشار بن برد وغيره ، هي مجالس معبرة عن افعال هؤلاء الشعراء خاصة .

" ومجون القوم في أقوالهم وأشعارهم ومجالسهم لما يعطي صورة كريهة عن مجتمع هؤلاء القوم الذين لم يكن عصرهم كله شراً، بل كان عصر الثقافة والتأليف وبداية الثورة الفكرية العلمية والإسلامية [3] .

---

[1] الديوان: 129– 130 .

[2] ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد : 213.

[3] الشعر والشعراء في العصر العباسي : 185.

على ان مجالس هذه العصبة من الشعراء لم تكن تخلو في بعض الاحيان من مطارحات أدبية ومذاكرات شعرية طريفة مثال ذلك ما ذُكر من أنه قد اجتمع مسلم ابن الوليد – صريع الفواني – وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل بن علي بن رزين في مجلس على الشراب فقالوا : ينشد كل واحد منكم أجود ماقال . ثم قالوا لمسلم: كأنا بك يا أبا الوليد وقد جئت بقولك [1] :

إذا ماعلـــت منـــا ذؤابـــة واحـــد تمشت بـه مشـي المقيـد فـي وحـل
هـل العـيش إلا أن تـروح مـع الصـبا وتغدو صريع الكـاس والأعين النجـل

ومن هنا سمي صريع الغواني – " سماه بذلك الرشيد" . ثم قالوا لأبي نواس : كأنا بك يا أبا علي قد جئت بقولك [2] :

لاتبـك ليلـى ولاتطـرب الـى هنـدِ واشرب علـى الـورد مـن حمـراء كـالوردِ
كأسـاً إذا انحـدرت فـي حلـق شـاربها أجدتـهُ حمرتهـا فـي العـين والخـدِ

ثم قالوا لدعبل : كأنك قد جئت بقولك [3] :

لاتعجبـــي ياســـلم مـــن رجـــلٍ ضـــحك المشـــبب برأســـه فبكـــى

ومنها :

لاتأخـــــذوا بظلامتـــــي أحـــــداً طرفـي وقلبـي فـي دمـي اشـتركا

ثم قالوا لابي الشيص : كأنك قد جئت بقولك [4] :

حلـــي عقـــال مطيتـــي لاعـــن قلـــى وأمضـي فـإني يـا أميمـة ماضـي
اثنـــان لاتصـــبو النســـاء اليهمـــا ذو شـــيبة ومحـــالف الإنفـــاض

---

[1] شرح ديوان صريع الغواني : 32.

[2] ديوان شرح الصولي : 127– 128.

[3] ديوان دعبل بن علي الخزاعي : تحقيق : د. محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت، 1962.

[4] اشعار ابو الشيص الخزاعي : تحقيق : عبد الله الجبوري ، مطبعة الآداب – النجف ، 1967: 72 .

قال أبو الشيص : بل أنشدكم أبياتاً قلتها في هذه الأيام ، قالوا هات فأنشدهم[1] :

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي متأخر عنه ولا متقدمُ
أجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللومُ
وأهنتني فأهنت نفسي جاهداً ما من يهون عليك ممن يكرمُ
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهمُ

فقال أبو نواس : أحسنت والله وملحت [2] ولتعلمن أني سآخذ منك هذا المعنى فيشتهر ما أقول ولايشتهر ماقلت . فأخذه وضمنه قوله في الخصيب [3] :

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصبر

" ان اللقاءات التي اتاحتها الحاضرة العباسية بين الشعراء كان لها نتائج مهمة في التقريب بين وجهات نظر الشعراء وفي بلورة مواقف خاصة بهم ، ومن ثم استعادتهم شيئا من الثقة في انفسهم امام نظرة اللغويين القائلة بتحكيم مقياس اللغة أو القدم في تميز شاعر عن شاعر، ففي الحاضرة وعن طريق لقاءات الشعراء والأتصال بين كبارهم وتلاميذهم والاخذ والعطاء بينهم ، نشأ فهم جديد للشعر ينبع من معاناة قائليه وممارسي فئه ، وقد يأتينا هذا الفهم بصورة ملاحظات عابرة صادرة عن الشعراء ، إلا إنها رغم جزئيتها، تدل على أصالة في فهم الشعر فيما يعانيه الشاعر نفسه، كما انها تشير الى نمط جديد من الفهم لا نألفه في النظرة المترفعة الدخيلة على الشعر" [4] .

ولأبي نواس نظرة يزن فيها مجلس الشرب ويضع له شروطا، خاصة ويصف الندامى باوصاف الخلق والكرم والعفة.

---

[1] اشعار ابو الشيص الخزاعي: 92 .

[2] ملح المتكلم تمليحاً، أتى بكلام مليح ..) المعنى الذي أخذه ابو نواس هو مافي البيت (وقف الهوى ...).

[3] الديوان : 481.

[4] الشعر في الحاضرة العباسية : 141؛ وينظر: الشعر والشعراء في العصر العباسي : 186-187؛ والشعر ونقد الشعر منذ الجاهلية حتى نهاية القرن الرابع الهجري : 93.

وكثيرا ما وصفت مجالس الشراب في عصور مختلفة منها في العصر الاموي وامتداداً للعصر العباسي الاول حتى زمن ابي نواس، لكنها اخذت صفة مميزة ، لما لأبي نواس من وجهة نظر في هذه المجالس، عكستها اشعاره المختلفة فصورها بدقة ووصف مايدور فيها من منادمة وشراب فالمجلس لديه، يحمل صفات، تنبعث من ذاته معبرة عن رغبته في تمام الراحة والبعد عن منغصات واقعه.

وليس من شك في ان ينظر أبو نواس الى مجلس الشرب نظرة متفردة، وكان مجلس الشرب والمنادمة يعصم من كثير من سوء المعاشرة التي تقع فيها الناس، لأن الشاربين يكفيهم ماهم فيه ، وهذه خلاف لما يصف المجتمع به مجالس شرب الخمر من عربدة وسوء خلق، وكأن ابو نواس يبعد عنهم هذا الوصف [1].

فاذا خلوت بشربها في مجلس فاكفف لسانك عن عيوب الناس
في الكأس مشغلة وفي لذاتها فاجعل حديثك كله في الكأس
صفو التعاشر في مجانبه الاذى وعلى اللبيب تخير الجلاس

وليس من شك في أن أبا نواس يستوحي هنا عادات حضرية في المجالسة وادابها التي أصبحت اكثر الفا في الحياة الحضرية ولم تعد غريبة على أهل الحاضرة العباسية ، والتي تعد المكان الأفضل لديه قال [2] :

ياحبذا مجلس قد كان يجمعنا بطير ناباذ في بستان عمار

نلمس من خلال هذه الابيات الربط بين اختيار المكان لمجلسه بين البساتين والجنان ، انها علاقة حميمة تعبر عنها كوامن ذاته فيصفها ويبدع في الوصف تمثل ذلك في قوله [3] :

ومجلس خمار ، الى جنب حانة بقطربل بين الجنان الحدائق
تجاه ميادين ، على جنباتها رياض غدت محفوفة بالشقائق
فقمنا بها في فتية خضعت لهم رقاب صناديد الكماة البطارق

---

[1] الديوان : 221 .

[2] الديوان : 145 .

[3] الديوان : 171.

بمشـمولة كالشـمس، يغشـاك نورهـا إذا ماتبـدت مـن نـواحي المشـارق
لهـا تـاج مرجـان، واكليـل لؤلـؤ وتـرنيم نشـوان، وصـفرة عاشـق

" ومما تميز به أبو نواس في خمرياته انه تصرف فيها واستقصى معانيها.. الى تصوير لمجالسها تصويراً فيه دقة وفيه رونق ورواء. وربما جمع أبو نواس في القصيدة الواحدة هذه المعاني كلها فأخرجها مسلسلة يتصل بعضها ببعض كأحسن مايكون الاتصال . فمن ذلك همزيته المشهورة التي وصف فيها مجلس الشرب ووصف فيها الشراب، وعرج بعد ذلك على وصف النديم حتى تكتمل للسامع والقارئ صورة اللذة والمتعة التي يريد ان ينقلها إليه أبو نواس [1]: قال[2]:

يـا رب مجلـس فتيـان سـموت لـه والليـل محتـبس فـي ثـوب ظلمـاء
لشـرب صـافية مـن صـدر خابيـه تغشـى عيـون نـداماها بـلألاء
كـأن منظرهـا والمـاء يقرعهـا ديبـاج غانيـة أو رقـم وشـاء
تسـتن مـن مـرح فـي كـف مصـطبح من خمر عانة أو من خمر سوراء
كـأن قرقـرة الابريـق بيـنهم رجـع المزاميـر أو ترجيـع فأفـاء
سـألت تاجرهـا كـم ذا لعاصـرها ؟ فقـال قصـر عـن هـذاك إحصـائي
أنبئـت أن ابـا جـدي تخيرهـا مـن ذخـر آدم أو مـن ذخـر حـواء

ومن الملاحظ في اختيار المكان لمجلسه انه يحدد الوقت واغلب مايكون ليلا او قبيل الصبح ، مما يعكس لنا ميله الى الراحة والهدوء الذي يمثله الليل .

ويمكن القول أن مجالس الخمر أصبحت " مصدر الهام للشعراء فكان شعرهم فيها مظهراً من مظاهر التجديد القيمة الأصيلة ، وظاهرة من ظواهر التحول من حيث اتجاهه إلى الذاتية واتخاذه طريقاً للتعبير عن مشاعر الشعراء أنفسهم ، ومن حيث أنه أصبح حاجة حضارية تستكمل بها أسباب المتعة بعد أن كان الصق بالجد

---

[1] الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري : 285.

[2] الديوان : 701 .

الرزين الذي يعنى بالأمور العامة أكثر من عنايته بالمشاعر الذاتية وبالاستجابة للحضارة الجديدة " [1] .

الخيام :

وللخيام دور وحضور في شعر ابي نواس، حيث مجلس لهوه مع صحبه ، فهو يصف خيمة حط رحاله بها تقع على رأس جبل شاهق ليست بمستوى الارض فهي متجافية كنعامة باركة في مثل هذا المكان، وقد تجافت عنه لوعورته وقلة تمكنها فيه ، والخيمة لم يحكم بناؤها فظلها متقلص لم يستر ستراً كافيا ، فهو يشبه الخيمة بالنعامة، لأن النعامة لاتبرك جيداً وكذلك هذه الخيمة هي في فيئها وبنائها لم تحكم ولم تستر ستراً كثيفاً كافيا ، وقوله (حلبت لأصحابي) اراد صببت فاستعار حلبت بدلا من صببت لقوله (درة الصبا) أي سقيتهم صفراء شمولا وهي صفة الخمر، وكأنه يقول حلبت لهم درة لهو وقصف . ودرة الصباء هو ماء كان بالصبا حين يقول ، مزجت لهم الصفراء بماء الصبا يريد بذلك انهم في سكرهم ولهوهم عادوا الى الصبا تمثل ذلك بقوله [2] :

وخيمة ناطور برأس منيفة ... تهم يداً من رامها بزلبل
إذا عارضتها الشمس فاءت ظلالها ... وإن واجهتها آذنت بدخول
حططنا بها الأثقال فل هجيرة ... عبورية تذكى بغير فتيل
تأيت قليلا ، ثم جاءت بمذقه ... من الظل في رث الأباء ضئيل
كأنا لديها بين عطفي نعامة ... جفا زورها عن مبرك ومقيل
حلبت لأصحابي بها درة الصبا ... بصفراء من ماء الكروم شمول
إذا ما أتت دون اللهاة من الفنى ... دعاهمه من صدره برحيل

---

[1] ينظر : الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري : 289 ؛ وأبو نواس قصة حياته وشعره : 35 .

[2] الديوان : 16 .

تختار الذات من الخيام خيام بعيدة مرتفعة تجادبها الرياح ، وتفيء ظلالها ، فهي مكان يبعث على الراحة ، والخيمة المفتوحة ترمز إلى رغبة الشاعر بالحرية والبعد عن الأماكن المغلقة .

الطبيعة :

كثر في الشعر ذكر الطبيعة بشتى مظاهرها سواء الحية منها : كأوصاف النبات والشجر والزهر والاعشاب وماشابه . وذكر الحيوانات بانواعها المختلفة، أو غير الحية الطبيعية منها كالسماء والارض وما فيها من نجوم وكواكب ، وشمس وقمر وجبال ووديان، وسهول وهضاب ، وظاهرة تناول الليل والنهار وغيرها مما لا دخل للانسان فيه ، او الصناعية : وهي تلك التي تصنعها يد الانسان من أبنية وعمران وآلات وأدوات وما شابه . وقد عبر الشعراء عن هذه المظاهر عبر عصورهم، مسخرين مايتراءى امام انظارهم غالبا، لشعرهم[1].

" فالطبيعة عالم متفتح وهي مصدر الجمال في الكون ، وموضوع الوصف والخيال والتأمل في الفن، ولقد ظلت الطبيعة بمكوناتها المختلفة ميدان المبدعين من الشعراء والكتاب يستمدون منها معاني الاشياء في الواقع، ويصورون فيها دهشتهم حينا ومعاناتهم احياناً كثيرة " [2] .

وللبيئة العربية أثر في توجيه النشاط الانساني ومجموع العادات والتقاليد الاجتماعية، والسلوكية وفي الاعمال الادبية والشعر خاصة، ويمكن ان يقال أن بنية الصحراء اثرت في ساكنيها ، وامتزاج العربي بها حتى اصبحت جزءاً من كيانه [3] .

وكان ابو نواس من الذين يلوذون بهذا الفضاء الواسع حين تضيق به زحمة المكان في المدينة، فيهرب اليها ناشداً الراحة، بعيدا عن واقعه الاجتماعي الصعب، فكانت البساتين والانهار ، محطة قراره، وباعث إبداعه فمكان ابي نواس لابد ان يكون ذا رابط وعلاقة بواقعه فأماكنه متفردة ومختلفة العلاقة والانتساب فهي تمثل

---

[1] ينظر : مقدمة المدحة الاندلسية بين ابن دراج القسطلي وابن حمديس الصقلي : 96 .

[2] المكان في شعر الشريف الرضي : 4.

[3] ينظر:أثر الصحراء في نشأة الشعر العربي وتطوره حتى نهاية العصر العباسي الثاني:26.

واقعه، فهو يستوعب المنظر الطبيعي من مكان ما ويصوره ببراعة، يتمثل ذلك بقوله [1] :

أمـــا يســـرك أن الأرض زهـــراء والخمـــرُ ممكنـــةُ ، شـــمطاء عـــذراء
مـــافي قعـــودك عـــذر عـــن معتقـــة كالليـــــل والـــــدها، والأم خضـــــراء
بـــادر فـــإن جنـــان الكـــرخ مونقـــةٌ لـــم تلتقفهـــا يـــدٌ للحـــرب عســـراء
فيهـــا مـــن الطيـــر اصـــناف مســـتئة مـــابينهن ، وبـــين النطـــق شـــحناءُ

تأثر ابو نواس بشكل خاص بالارض ومافيها وهذب هذا التفاعل بشكل جميل ونافع جسده بقصائد شعرية جميلة وصادقه التعبير أضفى عليها جماليات الاشياء في الطبيعة ، فعبر عنها أجمل تعبير، كان نتاج ذوقه الخاص وتأثره بما حوله ، فاختار مكانه من الواقع المحيط به وانتخب تجربته الشعرية من الطبيعة التي شدته اليها [2] .

إن المكان سيطر على الشاعر سيطرة تامة، فجاء شعره مفعما بعبق الطبيعة مجسداً حركتها وتماثل الوانها في شعره راسما صوراً متفردة مثل قوله [3] :

طـــاب الزمـــانُ ، وأورق الأشـــجارُ ومضـــى الشـــتاءُ، وقـــد أتـــى آذارُ
وكســـا الربيـــع الارض مـــن أنـــواره وشـــيا تحـــار لحســـنه الأبصـــارُ

السماء :

حظيت السماء باهتمام الشعراء عبر العصور ، فكان لها حضور متميز في شعرهم بما فيها من نجوم وكواكب وظواهر بوصف عبروا من خلاله عن رؤيتهم الفنية في تصوير تلك الطبيعة التي طالما التصقوا بها واضفوا عليها من نفوسهم مما جعلها اكثر تألقا وجمالا ، فحملوا اشعارهم ظواهر السماء ورسموا الصور المعبرة عن ترابط ذاتهم بتلك الظواهر، استوحتها مشاعرهم، وانفعالاتهم وبشكل يمزج الحداثة

---

[1] الديوان : 700.
[2] ينظر: المكان في شعر الشريف الرضي : 59.
[3] الديوان : 688 .

والتقليد، خاصة في العصور الاول والثاني والثالث إبان الدولة العباسية، ويشاطر في ذلك شعراء الاندلس لما لجمال الطبيعة وتأثيرها عليهم [1] .

والشعراء أبدعو في وصف المناظر الكونية وماتوحيه في نفوسهم من ايحاءات جمالية، وماتثيره تلك المناظر في احاسيسهم فوقفوا أمامها متأملين مندهشين ، يصف الشعر مشاعرهم.

وتأخذ هذه المناظر احياناً اخرى دلالات يعبر بها الشاعر عن استحسانه أو اعجابه بامرأة جميلة فيطلق عليها صفة الشمس أو القمر لوجود شبه او انه يصف الليل بالخيمة الزرقاء المطرزة بالقناديل – النجوم – فقد أجاد ابو نواس التشبيه وبرع بالوصف فقال [2] :

يـــاقمراً فـــي الســـماء مســـكنه ونـــرجس الارض فـــي البســـاتين

والشاعر أشار إلى القمر مجازاً وذلك بتمثله بصورة الحبيب .

وقال متغزلا (بحنان) – جارية احبها واخلص لها – قائلا [3] :

يـــــاقمراً أبـــــرزه مـــــأتمُ ينـــدبُ شـــجوا بـــين أتـــرابِ

يبكـي فيـذري الـدر مـن نـرجس ويلطـــم الـــورد بعنـــابِ

لا تبـك ميتـاً حـل فـي حفـرةٍ وابـــك قتـــيلا لـــك بالبـــاب

ومانراه من انطلاق ذات الشاعر عبر الفضاء متجاوباً مع الطبيعة التي هي مكانه لان للطبيعة تأثيراً كبيراً فهي تبعده عن همومه فنراه يقول [4] :

أمـا تـرى الشـمس حلـت الحمـلا وقـــام وزنُ الزمـــان فاعتـــدلا

وغنـــتْ الطيـــرُ بعـــد عُجمتهـــا واســـتوفت الخمـــرُ حولهـــا كمـــلا

واكتســـت الارض مـــن زخارفهـــا وشـــى نبـــاتٍ تخالـــه حلـــلا

---

[1] ينظر: الوصف في الشعر الاندلسي ، عصر ملوك الطوائف، رسالة ماجستير ، رياض كريم جوهر، جامعة بغداد، كلية الاداب ، 1988–1409؛ وأبو نواس قصة حياته وشعره : 79.

[2] الديوان : 716.

[3] الديوان : 242.

[4] الديوان : 63 .

أما " النجوم تلك الكواكب التي تتوسط قلب السماء مع غروب الشمس لتصير مصابيح تتلألأ على مفرق الليل البهيم ، فكان إعجاب الشعراء بها كبيراً ، فراحوا يتأملونها في السماء ، ويرصدونها في أوقات طلوعها وأفولها ، ويتغنون بها حسب مسمياتها التي أطلقها عليها قدامى العرب الذين وصلت معرفتهم بها إلى درجات رفيعة من العمق والدراية ، وذلك لأنها من العوامل التي ارتبطت بحياتهم"[1] .

ولأبي نواس مكاناً في وصفها حيث قال يهجو الخصيب الذي رفعه بمدحه إلى السماء بعد قطيعة وقعت بينهما :

خبز الخطيب معلق بالكواكب يحمة بكل مثقف ومشطب

إنها كناية عن البخل ، حيث جعل الخبز معلق بالكواكب ذلك المكان المكان البعيد الذي يصعب الوصول إليه .

الارض :

تنماز الأرض بحضورها في شعر الشعراء لأنها الأم الرؤوم حيث " كانت بداية الخلق للباري العظيم أن جعل الأرض مادة الحياة " [2] ومهبطا لأول خليفة فيها " [3] ﴿ **وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا** ﴾ [4] ، فصارت قراراً ومكن الانام فيها[5]، وغدت بعد ذلك مكانا ذلولا.

---

[1] الطبيعة في الشعر الجاهلي : 66 .

[2] اشارة الى قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حماً مسنون ﴾ الاية الكريمة (26 الحجر) .

[3] اشارة الى قوله تعالى ﴿ اني جاعل في الارض خليفة﴾ الاية الكريمة (30 البقرة).

[4] اشارة الى قوله تعالى:﴿ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش﴾الاية 10 الاعراف ، النازعات : 30 .

[5] لان الله خلق ادم عليه السلام من أديم الارض ونفخ في وجهه نسمة الحياة.

لقد ظل الانسان مرتبطا برحم الارض – الام – ارتباطاً مشيمياً منذ اشراقة أول نسمة للحياة على الكون [1] ، ولايزال كذلك اذ لاينازعه في هذا الحس الوجداني أي من الكائنات الاخرى ، والارض هي موطن الاحلام الاولى، هكذا فكر الفلاسفة العرب الاوائل عندما جعلوها موطن الخلق ومادة الفكر ، [2] (وهي تشكل منطلق الرؤية عند الشاعر التي تنتهي في السماء، حيث تجري فوقها وقائع حياته ، ويرى فيها عوالمه المحببة، وإنها أمه الرؤوم ، وفيها اسراره وبيته وكيانه، وهي مكان الصراع لانها مكان الرسالات ، وهي عند الله مكان واحد غير مجزء ، ولهذا فقد أمر الناس المؤمنين أن يتجهوا بصلاتهم الى نقطة واحدة عليها دلالة على وحدتهم الفكرية وارتباطهم الروحي ، والتئام قلوبهم [3] ، فهي الدار لكل ذات تمثل ذلك بقول ابي نواس [4] .

إنما الارض كلها لك دار فلك الله صاحب حيث كنتا [5]

ويرى ابو نواس ان العيشة الراضية فوق الارض صفاء القلوب والالفه والمحبة[6] :

وما فوق ظهر الارض انعم عيشةً واعرض دنيا من محب إذا أقتدر

والارض هي الام حين تشيع المودة والطمأنينة في النفوس حيث يقول ابو نواس [7] :

ألم تر الارض أنبتْ عشباً واصبح الزهر قد فشا دربا

---

[1] ينظر: (مبدأ خلق الارض: المعارف (ابن قتيبة) :15،11 ومابعدها.

[2] ينظر : الكامل في التاريخ (ابن الاثير) 22/1 ومابعدها .

[3] نهاية الارب (النويري) 98/1.

[4] ينظر: المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : 6.

[5] الديوان : 421 .

[6] الديوان : 389 .

[7] ديوان شرح الصولي : 105 .

فالارض تتحول بحسب رؤية الشاعر الى انسان يمتلك المشاعر ويحسها لدى الشاعر ورغبته بالفرح والاجواء الجميلة فتتجاوب مع هذه الرغبة فتزدهر وتنبت العشبا.

والمكان جزء اساس من بنية العمل الفني لا مجال للاستغناء عنه في التجربة الادبية، ولفهم النص علينا اولا فهم فلسفة الشاعر والفكر الذي يحمله لتحقيق معادلة مفادها أن " فهم المكان من فهم الشعر " [1] واحتواء الارض – المكان – للانسان يعني احتواء مشاعره ورغباته واتجاهاته في مواصلة مسيرته في الحياة.

ويحمل الشاعر مشاعره الارض فكأنها تحاكيه بكل مشاعرها فحين تفرح يعود لها الشباب بعد ان مضى زمنها وكاد شبابها يهرب ، حيث جسد ذلك بقوله بمدح الامين [2] :

تشببت الخضراء بعد مشيبها ولم تكُ الا بالامين تشببُ
رددت عليها مامضى من شبابها وجددت منها منظراً كاد يخربُ

الانهار :

نعمت الارض العربية بتلك الانهار الكثيرة التي تشعبت بوفير مائها العذب، لتنشر الحياة والخضرة في الارض ، فاكتسبت الارض السحر والجمال والنماء، ومن الطبيعي ان تحتل في شعر الشعراء المكان الواسع واقعا كان أم رمزاً للعطاء، والكرم واضفى الشعراء صفات عديدة للأنهار تمثلت بشكلها او مائها العذب ، وقد وصف الفلاسفة النهر بالزمن لانسيابه أو سيلانه المستمر فلا يتميز ، اختبار الزمن باللحظات المتتابعة والتغيرات المتعددة فحسب ، بل بشيء يدوم عبر تتابع التغيير

---

[1] المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : 19.

[2] الديوان : 410.

[1] . وما من شك فالشاعر يمتلك الحق في التعامل مع الاماكن والاشياء على وفق رءاه وفي حالة سكون او تهيج للنفس فتنطبع احاسيسه على ذلك المكان او تنصب لواعجه لموقف له في ذاته اثر .

فيحمل ذلك في شعره وماتحمل ذاته من معاناة فاختيار ابي نواس دجلة في احدى سفراته المائية حين كان أهل بغداد يخرجون الى النزهة واللهو ايام الاعياد، وكان منهم من يتهادون على صفحة (دجلة) في قوارب جميلة والتي خصها أبو نواس بقوله [2] :

قد ركب الدلفين بدر الدجى مقتحما للماء قد لججا
فأشرقت دجلة من نوره واسفر الشطان واستبهجا
لم تر عيني مثله مركبا أحسن إن سار وإن عرجا
إذا استحثته مجاذيفه أعنق فوق الماء أو هملجا [*]

وللمكان دلالة العلاقة والارتباط فيبت معاناته ومشاركه الهموم ويقاسمه الايام الحلوه منها والمرة لما نرى ذلك بوصف ابي نواس لجارية أحبها اسمها حسن تسكن قرب شط الفرات ، قائلا : [4]

إن اسم " حسن " لوجهها صفة ولا ارى ذا في غيرها اجتمعا
فهي اذا سميت فقد وصفت فيجمعُ اللفظ معنيين معا
إن بشط الفرات لي سكنا يبلغ غيضي بكل ما وسعا

---

[1] ينظر: الزمن في الادب ، رهانز ميرهوف : ترجمة د. اسعد رزوق ، مراجعة العوضي الوكيل : 20.

[2] الديوان: 411 .

[*] الهملجة : السير ببطيء.

[4] الديوان : 267.

ويوازن ابو نواس بين الاماكن المحببة لذاته وماتهفو اليه نفسه وبين الاطلال التي لاتصله بها صلة ، فهو يدعو من يبكيها ان يعدل عن ذلك ويذهب معه الى مكان فيه اللذة والمنعة على شاطئ نهر الفرات : [1]

اعدل عن الطلل المحبل وعن هوى نعت الديار، ووصف قدح الازند
واقصد الى شط الفرات وعاطني قبل الصباح ، وعاص كل مفند

وردت في اشعار ابي نواس اسماء انهار كثيرة منها نهر صرصر ، اماكن اخرى هي مسارح للخمر واللهو ، يقصدها مع صحبه.

[1] الديوان : 168.

الفصل الثالث

المكان عنصر في القصة الخمرية

المبحث الأول: المكان في السرد القصصي

المبحث الثاني: الديارات وأماكن اللهو

المبحث الثالث: أماكن الصيد والطرد – زمان الصيد – مكان الصيد – أماكن الطبيعة قيمة عامة

المبحث الأول

المكان في السرد القصصي

المكان في السرد القصصي :

لم يكن فن القصة القصيرة في الشعر العربي جديداً ، فقد عرف قديما وانتشر في الشعر وعالجه شعراء عديدون من شعراء الجاهلية، ولعل قصيدة الحطيئة ذات المطلع[1] ،

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما

تعد هذه القصيدة خير مايمثل هذا اللون من الشعر القصصي " فكان الحوار الخطوة الاولى نحو هذا الاتجاه، ثم تطور بما جعل القصيدة اشبه بالحكاية او القصة القصيرة من حيث توافر عناصرها الرئيسية من أبطال وحبكة وحوار يدور بين شخوصها، ثم تندرج في حوادثها الجزئية بترابط محكم يزيد من حيويته مايتوفر فيها من مشوقات تشد اليها القارئ او السامع [2]"ولم تكن تلك الروح القصصية طارئة على مقدمات القصائد بل كانت معروفة وتشابه الحكاية في الشعر العربي القديم [3] " وعبر عصوره المختلفة مع الاخذ بنظر الاعتبار خصوصية العصر الذي ظهر فيه ، والظرف الذي انبثقت عنه ، والافاق النفسية والثقافية التي ترفد كل شاعر، ومنحه ملامحه الابداعية الخاصة به ، كما دعا الكثير من الباحثين والدارسين الى الاهتمام بهذه الظاهرة .

ويمكن للشاعر ان يبرز عناصر قصة جميعها او بعض منها عند سرده القصة، وتمثيله اشخاصها ومواقفهم، عبر وقائع الحادثة وبالاسلوب الذي يختاره.

يحتل المكان الدور الاول في قصائد ابي نواس القصصية المتمثله في ابراز عناصر القصة الاحداث، السرد والحوار والشخصيات فهو يصف (الزمان) و(المكان)، " حيث يأتي الشاعر بحكاية أو قصة يضعها في شعره والهدف منها

---

[1] الديوان الحطيئة ، تحقيق نعمان أمين طه ، القاهرة ، 1958 : 296.

[2] المصدر نفسه : 170.

[3] ينظر : القصة في شعر الزهاوي، فائق مصطفى ، مجلة أبحاث اليرموك ، المجلد (8) العدد الاول : 1990م : 80 ، نقلاً عن (مقدمة المدحة الأندلسية) .

ليس خلق صوره شعرية" ، بل في تطويع هذه الحكاية او القصة ودمجها داخل عمله الفني لتبدو في شكل صورة ممتزجة بما فيها ، ومابعدها لتكون الصورة اكثر إيحاء" ، والشاعر لايقف عند حد ايجاد قصة بل يدعمها بصورة جزئية متتابعة فيكون الصورة الشعرية التي قصد خلقها ضمن القصيدة، وبالتالي تؤدي تلك القصيدة دور القصة من حبكة وتماثل في الاداء . فيطلق عليها الحكاية المصورة [1] .

وتروى الحكاية المصورة عند ابي نواس جانبا من جوانب سلوكه وممارساته الاجتماعية في حياته اليومية في (زمان ومكان) يخضع لرسم الصورة، وقد تكون من نسج خياله أو تكون مستقاة من واقعه فتأتي معبرة عن الحدث .

ويحتل المكان في قصص ابي نواس المجال الاوسع والاكثر ذكراً لكون احداث قصصه تعتمد اغلبها زيارات اماكن وجود الخمر، نلمس ذلك في معظم تلك القصائد القصيرة حيث يصف مغامراته مع صحبه ويتفرد بهذا الوصف لكونه يعشق الخمر ويكون مكانها – ملاذا ومستقراً لذاته ، ومن قصائده التي حكت مغامراته الى حانة [2] :

وخمـــارة للهـــو فيهـــا بقيـــة ... اليهـا ثلاثـا نحـو حانتيهـا سـرنا
وللليـــل جلبـــاب علينـــا ، وحولنـــا ... فمـا إنْ تـرى إنسـاً لديـه، ولاجنـا
يســـايرنا ، إلا ســـماء نجومهـــا ... معلقـه فيهـا الـى حيـث وجهنـا
الـــى أن طرقنـــا بابهـــا بعـــد هجعـــة ... فقالـت " مـن الطـراق " قلنـا لهـا " إنـا
شـــباب تعارفنـــا ببابـــك ، لـــم نكـــن ... نـــروح بمـــا رحنـــا اليـــك ، فأدلجنـــا
فـــإن لـــم تجيبينـــا تبـــدد شـــملنا ... وإن تجمعينـــا بـــالوداد تواصـــلنا"
فقالـت لنـا : " أهـلاً وسـهلا ومرحبـاً ... بفتيـان صـدق مـا أرى بيـنهم أفنـا
فقلـت لهـا : كـيلاً حسـاباً مقومـاً ... دواريـق خمـر مانقصـن ، ومازدنـا
فجاءت بها كالشمس يحكى شعاعها ... شـعاع الثريـا فـي زجـاج لهـا حسـنا

---

[1] ينظر: البواعث النفسية في شعر فرسان عصر ماقبل الاسلام : 189.

[2] الديوان:49؛وينظر :ملامح في السرد القصصي في القصيدة العربية قبل الإسلام: 35–50.

فقلت لها : " ما الاسم، والسعر بيني ... لنا سعرها كيما نزورك ماعشنا
فقالت لنا " حنون اسمي، وسعرها ... ثلاث يتسع ، هكذا غيركم بعنا
ولما تولى الليلُ أو كاد ، أقبلتْ ... الينا بميزان لتنقدنا الوزنا
فقلت لها : " جئنا ، وفي المال قلة ... فهل لك في أن تقبلي بعضنا رهنا
فقالت لنا " أنت الرهينة في يدي ... متى لم يفوا بالمال خلدتك السجنا

يقص ابو نواس قصة صاغها في براعة ولطف وأجرى خلالها الحوار مع بائعة الخمر التي طرق بابها ذات ليلة.

وابو نواس فاق الشعراء في هذا المضمار الذي لم يسبقه فيه شاعر اخر رسم حبكة القصة الخمرية بوصفه ذلك المكان الذي يقصده لانه يستقي منه الخمر عدا محاولات قام بها الاعشى" [1] فهو يصف مكان الخمارة فيجيد الوصف وبرع في رسم الصورة ضمن القصيدة الشعرية .

فهو يصف المكان والزمان وكيف يداري ذهابه عن اعين الناس حيث لايرافقه في سيرهم الا النجوم في السماء.

ويسرد ابو نواس ما دار من حديث مع صاحبة الخمارة ، ويلتفت إلى وصف الخمر وشبهه ، كالشمس يحكى شعاعها شعاع الثريا في زجاج لها حسن ، ويستمر الحوار والمنادمة حتى انقضى الليل وليبرز براعة رسمه للصورة طلب من صاحبة الحانة ان تقبل أحدهم رهينة لقلة المال لديهم، وكيف فطنت صاحبة الحانة فاجابته بذكاء بانها تأخذه رهينة (سجينا) بدل المال.

وفي قصائده القصصية هذه تظهر قيمة الحركة والحوار، ويتمثل فيها المكان وعاء يحمل لوحة جميلة لاتخلو من إبداع وحركة وسلوك انساني ، حيث تتداخل القصيدة الخمرية بالطبيعة ، واتخاذها عنصراً مهما في تشكيل صورها بل قد تتطلب،

---

[1] ينظر : الشعر والشعراء في العصر العباسي : 206.

وصف الطبيعة والاهتمام بتصويرها الغرض الخمري، وهنا ينسى الشاعر كأسه وعقاره " [1] .

ويعد أبو نواس أفضل من أدى هذا النوع من القصص، وتبين فيه شاعراً وقصاصاً مجيداً بارعا بالوصف ودقة التمحص باستخدام اسلوب السرد ، لكنه عندما يبلغ الكلام عن الخمر يصبح هذا القصاص شاعراً، فتتدفق المعاني والصور ببراعة عجيبة اما اجادته باللغة فقد شهد له النقاد القدامى والمحدثون حيث وصفها الاستاذ جورج معتوق بقوله كانت لغته الخمر نفسها برقتها وجريها العذب، وبُعد عن الغريب الصعب ، وعن النظم الشاذ [2] .

وللمكان في نفس ابي نواس علاقة ترابط بساكنيه ، وتعمق هذه العلاقة متى ماكان الحبيب في ذلك المكان ولكن الفراق يبدأ بالترحال ، والبعد ، فيكون المكان ليس الغاية فينساه ويبعد عنه ويكون الشاغل لديه ذلك الحبيب الذي اراد الترحال والبعد عنه ولتتبع أبا نواس بنونيته البارعة التي مطلعها [3] .

طرحتم من الترحال ذكراً معمّنا فلو قد شخصتم صبح الموت بعضنا

يمثل هذا المطلع الرقة والعذوبة في معالجة موقف الحبيبة من الترحال ويظهر براعة السبك، وجوده الصوغ ، متخذاً حواراً جميلا ألبسه ثوب الصدق وكسته عبارات الود وحرارة العشق المحملة بالشكوى والسكينة [4]، وكيف كسا ذلك المطلع الجدية والوقار والطرفة موضوعاً لقوله :

طرحتم من الترحال ذكراً فغمنا فلو قد شخصتم صبح الموت بعضنا
زعمتم بأن البين يحزنكم نعم سيحزنكم علمي ولامثل حزننا
تعالوا نقارعكم لنعلم أينا أمض قلوباً، او من اسخن أعينا
أطال قصير الليل يارحم عندكم فإن قصير الليل قد طال عندنا

---

[1] ينظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس : 212.

[2] ينظر: ابو نواس في شعره الخمري : 46.

[3] الديوان : 474.

[4] ينظر: الشعر والشعراء: 287–288.

ومـــايعرف الليـــل الطويـــل وغمـــه مـــن النـــاس الا مـــن تـــنجم او انـــا
خليـــون مـــن أوجاعنـــا يعـــذلوننا يقولـــون لـــم تهـــوون قلنـــا لـــذنبنا
يقومـــون فـــي الاقـــوام يحكـــون فعلنـــا ســـفاهة أحـــلام وســـخرية بنـــا
فلـــو شـــاء ربـــي لايـــتلاهم بمابـــه ابـــ تلانـــا فكـــانوا لا علينـــا ولا لنـــا

بدأ ابو نواس سرد قصته التي حملها معاناته والامه لان رحيل من يحب يؤلمه فهو بهذا مهد للدخول في سرد القصة عن طريق التساؤل بما يحس به اذا سافروا وذهبوا ويريد بكلمة (بعضنا) (نفسه) فحزنه اشد واعمق أنها ، نوع من الموازنة البارعة حيث يقول :

تعـــالوا نقـــارعكم لـــنعلم أينـــا أمـــض قلوبـــا او مـــن اســـخن أعينـــا

فهو يطلب المجادلة بالحجة، فايهما اكثر تألما وهو يعني بسخونة العين : كناية عن شدة الحزن.

فابو نواس برع في سرد الاحداث ونقل الصورة التي عاشها ، فوصف آلامه بكلمات سلسة لاتخالجها الغرابة بل تمثلت بذوق ورقه، فهو لم يقصر أسلوب الحكاية على الخمريات بل في اغلب اغراضه الشعرية وخاصة (المدح) " ويتمثل هذا النوع من السرد القصصي " بالسرد الذاتي" أن يكون الراوي أحد شخوص العمل القصصي ، يقدم لنا تفسيره وتأويله للاحداث من خلال وجهة نظره الشخصية" [1] .

اما النوع الاخر فهو (السرد الموضوعي) فيكون فيه القاص خارج القصة أو جانب البطل .

ويظل المكان العامل الاساس في قصص ابي نواس وليس أي مكان بل اغلبه ماكانت تهفو اليه نفسه ، فأبو نواس قد ابتدع القصة الخمرية ليحدثنا عن النزهات التي كان يقوم بها مع اصحابه الى البساتين، ويحكي كل ماكان يدور في الحانة او

---

[1] مقدمة المدحة الاندلسية : 170.

الجلسة على شكل حكاية شعريه، عنصرها الاساس المكان واغلب مايكون زمنها الليل [1] .

واذا نظرنا الى واقع القصة عند ابي نواس نلاحظ انه دائم الهروب من واقعه الى حيث مكان الخمر ، يبحث عن ذاته وهو منغمس في اللذات التي يعدها الملاذ الحقيقي في حياته فكان يجد ضالته في تلك الامكنة التي اعتاد المسير اليها واصبح طريقها واضحا له ، حيث يمثل قوله ذلك [2] .

مازلت امتحن الدساكر دونه حتى دخلت على خفي المدخل

عرفت بيات الطارقين كلابه فيبتن عن سنن الطريق بمعزل

يسير أبو نواس برفاقه الى الحانة في طريق خاص واماكن منفرده حتى يقترب من مكان الحانة، وللحانة كلاب تهر على الغرباء ، ولكن أبا نواس يعرف المكان وتعرفه الكلاب فلا تتعرض له .

إلا أن ابا نواس لم يحركه جمال المكان وحده وإنما الخمر ، فالتناقض بين حالتين هما : الغربة النفسية التي كان يشعر بها وكان يستمد لقاءه مع الذات بديمومة التواصل مع الامكنة لكنه شعور مبطن بالغربة وهكذا احتلت الحانة مكانا كان ملاذا له ، ولغرض الرجوع الى الذات التي تنفر وجودها في مجتمعها للتعايش والبحث عن طريق آخر للهروب الا هو الخمر وبالتالي كان لقاء ذات الشاعر بالمكان بحب الخمر والوجود النفسي فيه .

ومن هذا الجانب نلمس تفوقه في اجادة الوصف فالغربة النفسية والمكانية عامل مساعد لهذا التفوق الشعري فغربته كانت المتنفس والدافع لنقد واقعه وبتحدٍ عال.

ونلاحظ ان الذات تميل الى تكرار المكان نفسه – الحانة – مرات عديدة بمسميات مكانية مختلفة تأتي هذه الرغبة في " توكيد الافكار التي تلح على وعي

---

[1] ينظر: ابو نواس في شعره الخمري: 35 ؛ وأبو نواس وقضية الحداثه في الشعر: 317 .

[2] ديوان شرح الصولي : 189 ؛ وينظر : ابو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 319 ، ثياب : في شرح الغزالي : وقد وردت في شرح الصولي بيات .

الشاعر، ويعطي المكان المكرر رؤية ثرة في مرونة التعبير عن القيم المعنوية التي يحاول الشاعر أن يستعيرها لنفسه مثل الوقار والرسوخ والسعة " [1] .

فترتبط الذات بالمكان البعيد عن الاعين – في البساتين – لتكون بعزلة عن قيم تجلها في ذاتها لاتنسجم مع ماتقوم به .

وبالتالي النظر الى ان ابا نواس اجاد في فنه القصصي اجادة تامة وعمل عملاً مبدعاً. إن المبدع يكاد " يمثل ثنائية مركبة من نزعات متعارضة فهو من ناحية كائن بشري له حياته الشخصية في حين انه من ناحية أخرى عملية ابداعية غير شخصية " [2] .

وأبو نواس هنا يجسد معنى الذات المتعبة واللاهثة وراء الحانات مجتازة صعوبات الزمان والمكان وهذا جزء من قناعته بحياته، فكان ذلك عاملا في الخلق والابداع.

وتعكس لنا قصصه التي رسمها عن اماكن اللهو – الحانات– وان كلابها لاتهر عليه فيها الشيء الكثير من الواقعية اذ تحمل تكوين علاقات امتدت زمناً ليس بالقليل حتى أصبحت كلاب الحانة تعرفه، وفي الصورة انتقالة من كون الحانة مكانا للهو الى مكان أليف لديه.

وتقول الدكتوره احلام الزعيم : " في الكثير من قصائده الغزلية على اسلوب القصص والحوار وعلى الاخص ما أتسم منها بطابع التماجن والعبث والظرف وكأنه كان يرمي من خلال ذلك أن يضمن لقصيدته الغزلية عنصر التشويق والاثارة [3] . وقوله [4] :

اذا خطرت فيك الهموم فداوها بكأسك حتى لاتكون همومُ
أدرها وخذها قهوة بابلية لها بين بصرى والعراق كروم

---

[1] ينظر: الزمان والمكان في شعر ابي الطيب المتنبي،حيدر لازم ، اطروحة دكتوراه: 214.
[2] التفسير النفسي للادب : 45.
[3] ينظر: ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد : 268 .
[4] الديوان : 131 .

وما عرفت نارا، ولاقدر طابخ ... سوى حر شمس اذ تهيج سموم
لها من ذكي المسك ريح ذكية ... ومن طيب ريح الزعفران نسيم
فشمرت أثوابي ، وهرولت مسرعا ... وقلبي من شوق يكاد يهيم
وقلت لملاحي "الا هي زورقي" ... وبتّ يفنيني اخ ونديم
الى بيت خمار ، أفاد زحامه ... له ثروة والوجه منه بهيم
وفي بيته زق ، ودن، ودورق ... وباطية تروي الفتى وتنيم
فأزقاقه سود ، وحمر دنانه ... ففي البيت حبشان لديه وروم
ودهقانه ميزانها نصب عينها ... وميزانها للمشترين غشوم
فاعطيتها صفرا، وقبلت رأسها ... على أنني فيما أتيت مليم
وقلت لها "هزي الدنان قديمة ... فقالت: نعم إني بذاك زعيم

نلاحظ أن قوة التعبير تأتي من تمكن الشاعر من طريقة استخدام الحوار ليصل الى هدفه ، وهو استخدام الحوار لرسم صورة المكان الذي عاش فيه وبالتالي تأتي الصورة معبرة عن ذاته وبأسلوب الحوار مجسداً كل ما يتمثله من تلك الفكرة .

والحوار يشترك مع السرد في كونه " نوعاً من الحديث ، ولكنه حديث مشترك يدور بين طرفين " [1] ، " كثيراً مانجده في مقدمات الشاعر ، وليس ذلك بالشيء الغريب فقد استنتج عدنان عبد النبي البلداوي : أن الحوار يكثر في عموم القصائد العربية. وربما يعود ذلك الى ماللحوار الادبي من أهمية تكمن في كونه "ينمي الحدث بطريقة أو باخرى، ولكن المؤلف قد يلجأ أحيانا الى حوار عادي مسطح لينقل الينا النمط الفكري لشخوصه، ليعطي القارئ فكرة عن سطحيتها أو طريقة تفكيرها أو أسلوب تعاملها مع الاشياء او الافكار ، او ليؤكد الشاعر في نفسه صفة مشهورة او ليساعد على ترابط اجزاء القصيدة ووحدتها " . [2]

---

[1] القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الاسلام والعصر الاموي : 40.

[2] ينظر: مقدمة المدحة الاندلسية بين أبن دراج القسطلي وابن حمديس الصقلي : 173.

ويمكن ان نعد حوار ابي نواس في قصائده الشعرية في الغالب من النوع الذي ينمي الحدث ويطوره، متداخلا معه لامنفصلا عنه مثال لذلك حواره مع زوجته في اثناء توديعه لها محاولا إقناعها بان سفره لجلب الرزق في ذلك المكان لكنها قالت: ألم يكن في غير مصر للفتى مطلب فبادرها قائلاً : [1]

تقول التي عن بيتها خف مركبي عزيز علينا أن نراك تسيرُ
اما دون مصر للغنى متطلب بلى ، إن أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر جرت فجرى في جريهن عبير
ذريني أكثر حاسدبك برحلة الى بلد فيه الخصيب أمير

نلاحظ ان السرد القصصي بني على العلاقة بين السفر والمكان، فهي تطلب بقاءه ومطلبه من السفر كسب الرزق الميسور في أي مكان، فالحكاية جسدت لنا مشاعرهما ومايدور بنفسيهما ، وبوادر الدمع جرت وفي جريهن عبير . فنراه يتطرق الى جزيئات الحدث . حيث يبرز ادق الصور بقوله ان الدموع اختلطت بما طيبت به جسمها وحملت رائحته.

" إن الشعر يعكس التجربة الذاتية ، إذ يستغرق الشاعر في التجربة لينقلها الينا في أدق مايحيط بها من احداث العالم الخارجي فتتمثل في الحياة والوان الصراع التي تتمثل في النفس، او في الفرد إزاء الاحداث التي تحيط به " [2] .

ومن خلال قراءة الابيات نلاحظ ان القصة قد استكملت عناصر فن تشويق وإثارة القارئ من خلال الحركة والانفعال السريع للحدث، وعنصر الزمان والمكان، وكان للحوار الدور الفاعل في عرض المشكلة التي تجسدت من خلال الصورة التي رسمها الشاعر والتي ركزت على ان المكان البعيد لايكون بعيداً حين يطلب منه الرزق فهو يكون قريبا لنيل العطاء .

---

[1] الديوان : 481

[2] ينظر: النقد الادبي الحديث : 358؛ والمكان في شعر الشريف الراضي : 25.

المبحث الثاني

الزيارات وأماكن اللهو

الديارات وأماكن اللهو :

الديارات كما يعرفها ياقوت الحموي " بيت يتعبد فيه الرهبان ولايكاد يكون في المصر الاعظم، وإنما يكون في الصحارى وضواحي المدن، ورؤوس الجبال، فإن كان في المصر، كان كنيسة او بيعة، وربما فرقوا بينهما فجعلوا الكنيس لليهود والبيعة للنصارى" [1] .

ويستدل مما كتب عنها إنها الحانات ودور الضيافة وكان يقصدها أهل الخلاعة والمجون للشرب في حاناتها، فدير (سابر) مثلا كان يقع في بقعة ، نزهة، كثيرة البساتين والفواكه ، والكروم، والحانات، والخمارين، كذلك دير " قوطا" ودير (زرارة) [2] ، وتحتل الديارات مكاناً واسعاً في شعر أبي نواس .

إن الرواد كانوا يتنافسون فيما يظهرونه هنالك من زيهم ويباهون بما يعدونه لقصفهم ... [3] ، "وقد تنبه الدارسون المحدثون الى حقيقة ما اشتهرت به الديارات وماكان يجري بين جنباتها" [4] .

وتأتي شهرة الديارات بخمورها ومايعقد بها من مجالس للطرب والقصف، وقد انتشرت وتعددت حاناتها، ومن اهمها حانة (ابن اذين) في قطربل وحانه (سرجس) في طيرناباذ وحانة جابر في الكوفة ، وبعض حانات كلواذى وكان الى جانب هذه الحانات حانات خاصة أخرى ... " [5] .

وكانت الاديرة " تقدم الخمر لروادها، وكانت كثيرة تتناثر في ضواحي بغداد وغيرها من المدن وتحولت قاعاتها الى مجالس للمنادمة والشراب وارتياد اللذة ..

---

[1] معجم البلدان ، مادة دير ، ط صادر ، بيروت ، 1956.

[2] اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري : 235.

[3] المصدر نفسه : 236 ؛ وينظر الديارات للشابشتي : 5 ؛ وتطور الخمريات في الشعر العربي : 184–185.

[4] موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي : 68.

[5] المصدر نفسه : 168.

" [1] ، وقد ذكر الشعراء هذه الأديرة في شعرهم ومن أبرزهم أبو نواس حيث يقول [2] :

يا دير حنّة من ذات الأكيراح من يصح عنك ، فأنى لست بالصاحي
رأيت فيك ظباء لاقرون لها يلعبن منا بألبابٍ وأرواح
يعتاده كل محفوفٍ مفارقه من الدهان ، عليه سحق أمساح

" ولم تقتصر أماكن الشراب على الأديرة والحانات بل تجاوزتها إلى بيوت الشعراء ، فقد تحولت هذه الدور إلى حانات للهو والشرب وقد ورد في أخبار الشعراء ما يؤكد أن مطيع بن أياس ورفقاه كانت لهم دور بالكوفة ... ، وكذلك كان لبشار دار بالبصرة وكان لأبي نواس دار في بغداد [3] ، ولا يفتقد أماكن الخمرة لكثرتها وخاصة موقعها في الأديرة المنتشرة في أغلب ضواحي المدن والقرى ، وكذلك في الأمصار العربية التي كانت مسرحاً لجولاته ولكنه أكثر ما يحن إلى هذه الحانات الواقعة في بغداد فهو يدعو لها حيث يقول [4] :

لا خرب الله كرخ السوس السوسا يوماً ولا مجلساً بالسوس مأنوسا
وحبذا حانة بالكرخ تجمعنا نطيع فيها بشرب الخمر أبليسا

فمكان الخمر ، مكان محبب لدى الشاعر ، فهو يرتبط به بوشائج حب الخمر .

وفي دير بهراذان يصور النواسي ، يوماً من أيام تردده على ذلك الدير ، وكان موقعه وسط بساتين تعج بالنرجس المفضل لديه والنسرين ، قال [5] .

بدير بهرا ذان لي مجلس وملعبٌ وسط بساتينه *

---

[1] موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي : 68 .
[2] الديوان : 297 .
[3] ينظر : أبو نواس بين التخطي والالتزام 49 .
[4] الديوان : 203، وينظر: الشعر في بغداد حتى نهاية االقرن الثالث الهجري : 284
[5] الديوان : 83 .
* دير بهرذان : أحد الأديرة الكثيرة من سواد العراق ، يقول الأستاذ عبد الرحمن صدقي في كتابه القيم (الحان الحان) ص84 (وفي سواد العراق العربي كذلك كورة يقال لها (ماء بهراذان..) ناحية بافران ، وأكبر الظن أنها موضع وير بهراذان .

رحـــت إليـــه ، ومعـــي فتيـــة نـــــزوره يـــــوم شـــــعانينه *
بكـــل طـــلاب الهـــوي ، فاتـــك قـــد آثـــر الـــدنيا علـــى دينـــه
حتـــى توافينـــا إلـــى مجلـــس تضـــــحك الـــــوان رياحينـــــه
والنـــــرجس الغـــض لـــدى ورده والـــورد قـــد حـــف بنســـرنيه
وجـــيء بالـــدن علـــى مرفـــع وخـــاتم العلـــج علـــى طينـــه

وفي وقفة أخرى من وقفاته أمام الأديرة يصف موقع دير يقع بمنطقة قطربل التي تحفها الجنان الغناء ويحيط بها أنواع الورود قال [1] :

ومجلـس خمـار إلـى جنـب حانـةٍ بقطربـل بـين الجنـان الحـدائق
تجـاه ميـادين ، علـى جنباتهـا ريـاضٌ غـدت محفوفـه بالشـقائق
فقمنـا بهـا فـي فتيـةٍ خضـعت لهـم رقـاب صـناديد الكمـاة البطـارق
بمشـمولة كالشـمس، يغشـاك نؤرهـا إذا مـا تبـدت مـن نـواحي المشـارقِ
لهـا تـاج مرجـان واكليـل لؤلـؤ وتـرنيم نشـوان وصـفره عاشـق

والحانات قديمة قدم الأديرة يرتادها الناس شعراء كانوا ام طلاب خمر أو من يرتاد الطريق وتكون في طريقه يستعان بها على مشقة السفر ، أي أن للحانات جذوراً قديمة ولم يقتصر وصفها أو التغني بها على شاعر معين فأبو نواس أكثر من وصفها كعادته ، والأديرة هي المكان المحبب لدى الشاعر نلمس ذلك من خلال شعره .

ويقول عبد الرحمن صدقي : " ولعل أبا نواس لم يدع في طريقه إلى بغداد ديراً أو عمراً ولا قلاية أو كرحاً ، إلا ألم به ، فهو لا يفتأ يلهج بذكر ديارات الحيرة وطير ناباذ والأنبار وغيرها ، مردداً اشتياقه لها وما يعتاده من الحنين إليها

---

* السعانين أو الشعاثين (أحد السعف) عند النصارى وهو من اعيادهم . تواخينا : آتينا . المرفع ما يرفع به ، العلج : الرجل الفنجم القوي من العجم

[1] ديوان : 171 .

تجديداً لمجالس شربه في حاناتها ، وملاهيه في بساتينها " [1] حيث قال [2] :

أنـــــا - والله - مشـــــتاق إلـــى الجيـــرة ، والخمـــر
وأصـــــوات النـــــواقيس علـــى الزيـــرات بـــالفجر
ومغـــنٍ فـــي طـــلاب المـــر د والخمـــر معـــاً وفـــري

ولأبي نواس مواقف وحكايات عن مكان الخمر يسعى إليه مهما بعدت المسافات ونأت الطرق ، وحفها الخطر فهو يسعى إليه مع صحبه حتى أن شعره شخص العلاقة بينه وبين أصحاب تلك الديارات وهي علاقة لا تسودها سوى محبة الخمر ، فهو يأتي الحانات في أي وقت غير آبه ، دعنا نستمع لقوله [3] :

يـا رب صـاحب حانـة قـد رعتـه فبعثتـه مـن نومـه المتزمـل
عرفـت ثيـاب الطـارقين كلابـه فيبـتن عـن سـنن الطريـق بمعـزل
مـا زلـت امـتحن الدسـاكر دونـه حتـى دفعـت إلـى خفـي المنـزل
معرفتـه والليـل ملتـبس بنـا برفيـف صـلعته وشـيب المسـحل

ويذكر عبد الرحمن صدقي : أن أبا نواس عاج بالكوفة فيما عاج من البلاد في طريقه إلى بغداد على حانات هذه الأديار التي كانت كثيرة حول الكوفة وفي ظاهرها – لا نعني بذلك الكوفة المدينة الجليلة المعروفة بالعلم والعلماء ، إنما كان يقصد بها الكوفة الموسومة بخد العذراء ، تلك التي عرف سوادها وشرب في دساكرها مثل ذلك قوله [4] :

وقهـوة عتقـت فـي ديـر شـماس تفتر في كأسها عن ضوء مقباس

وهكذا أصبحت الأديرة " مقصداً وهدفاً لطلاب اللذة والمتعة ، وأصحاب اللهو والمجون ، وإذا بالشعراء والأدباء وغيرهم من مغرمي موائد الشراب ومجالسه ،

---

[1] أبو نواس وقصة حياته وشعره : 109 – 110 .
[2] الديوان : 199 .
[3] الديوان : 67 ، وينظر : ابو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 421 .
[4] ينظر : أبو نواس وقصة حياته : 99 .

يقطعون المسافات للوصول إلى هذا الدير أو ذاك ، لما شهر به من نبيذ حسن " [1] .

[1] الأدب العربي في العصر العباسي : 65 .

المبحث الثالث

أماكن الصيد والطرد – زمان الصيد – مكان الصيد – أماكن الطبيعة قيمة عامة

أماكن الصيد والطرد :

" مارس الانسان الصيد والطرد منذ دهور سحيقة باحثاً عن قوته او مدافعاً عن نفسه او ناشداً الرياضة والمتعة . وفي اقدم النصوص البشرية ، نجد صدى لهذا الصراع بين الانسان والحيوان، فلقد تعرضت ملحمة جلجامش لذكر الصيد وصيد الضباء ، وحمر الوحش ، كما ان " التوراة" قد اخبرتنا بان نمرود وابنه كوش قد مارسا الصيد ومثلهما اسماعيل عليه السلام .

وممن احب الطرد والصيد من ملوك العرب في الجاهلية ذو يزن والمنذر ملك الحيرة، ورؤساء العرب وملوكهم وعلماؤهم، اما الشعراء فكثيرون منهم امرؤ القيس، وزهير ، والعرجي ، وذو الرمة ، وأبو نواس [1] .

لقد عد فن الطرد من الفنون العريقة في الشعر العربي وصل إلينا عبر النصوص الشعرية التي استطاعت ان تقاوم الضياع والنسيان ، تفنن بها شعراء الجاهلية بوصف حيوان الصيد والطرد ومعاركه لم تخل من دقة ونضوج ، مما يحملنا على الاعتقاد ان محاولات متعددة قد سبقتها ، ولكن لم يكتب لها البقاء شأنها شأن اغلب تراثنا العربي.

وقد عكس شعر شعراء العصور الاسلامية اهتمامهم بهذا الفن من وصف ذلك الحيوان وطرده على نحو تشابه سماته، وتقارب صوره، وحين حل العصر العباسي شهد الطرد والصيد اهتماماً واضحاً ، وبات فنا مستقلا من فنون الشعر العربي.

وقد انفرد بغرض مستقل اكده ابو نواس في شعر الطرديات .

---

(1) ينظر: الصيد والطرد في الشعر العربي : 140 .

الصيد والطرد :

لقد ظهر شعر الصيد في الشعر العربي قبل ظهور شعر الطرديات وهو الشعر الذي قيل في وصف الحيوان وطراده قبل ان يصبح الطرد غرضا مستقلا عن باقي الاغراض [1] .

" وكان الشاعر الجاهلي يصف مطاردته بجواده لحمار وحشي او تتبعه لظبي او طائر او حين يصف صراع ظبي مع حمار وحشي او ما أشبه من انواع الصراع التي تنشب بين الحيوان في الصحراء القاحلة الجرداء التي كانت تحيط به، وكان هذا الوصف بطبيعة الحال جزءاً من القصيدة التي يكتبها الشاعر الجاهلي في اغراض كثيرة من مدح الى نسيب الى هجاء الى فخر الى غير ذلك من الموضوعات التي كان يخوض فيها " [2] .

اما في العصر الاسلامي والاموي فقد ضعف شعر الصيد الا ماندر ، ولم يلق ذلك الاهتمام عند الشعراء ، امثال جرير والفرزدق والاخطل ، وغيرهم لانشغالهم باغراض اخرى خاصة الاغراض السياسية والعصبية القبلية التي زادت في هذه المدة . لكن ممن تميز بالوصف للصيد والقنص الشاعر ذو الرمة ،ويعد من اعظم شعراء الصحراء واصفا ومبدعاً ، في حين شاع وانتشر في العصر العباسي لاسباب اهمها الثراء والترف المادي ، وتبدل الحياة مما اتاح لفن الصيد ان يزدهر في ذلك العصر واصبح للصيد شعر خاص به ، يسمى شعر الطرد.

وقد اولى الخلفاء العباسيون اهتماماً كبيراً بالصيد فقد ذكر كشاجم (ت358هـ) الخلفاء المهتمين بالصيد فقال :

" وكان من جملتهم امير المؤمنين هارون الرشيد وجماعته ، ابو نواس وابو عبد الرحمن [*] ، ومحمد ابنه الامين، واحمد بن يحيى نديمه " [4] .

---

[1] ينظر :مظاهر الحضارة في شعر ابي نواس،رعد عدنان كاظم،رسالة ماجستير،1997: 41

[2] اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري : 467.

[*] هو ابو عبد الرحمن عبد الملك بن صالح ، الامير العالم ، ذكره الكندي صاحب كتاب الولاة: 13.

[4] ينظر: المصايد والمطارد : 3 ، 4 .

وذكر ان " محمداً الامين اشد انهماكا في الصيد واحرص عليه من كل من تقدمه ، وأكثر طرد ابي نواس معمول في جوارح محمد وضواريه " [1] .

ومما يدعو الى تفسير كنه الصيد لدى الانسان بان يكون هناك غريزة باسم الصيد، كما هو الحال في غرائز الجنس والجوع والتملك ومن وسائل ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله.

ذكر ابن خلدون : " ان يكون في الحيوان الوحشي بافتراسه واخذه برميه من البر والبحر ، ويسمى اصطياداً " [2] .

" ان علم النفس لم يبحث الصيد باعتباره غريزة قائمة بنفسها، فالراجح انه مركب ، وان اكثر من غريزة تدخل في تركيبه، ولا مراء في ان يكون الجوع اظهر العوامل ، واقواها ، وابعدها تأثيراً على الصيد ، ويضمن بقاءه على قيد الحياة، ولابد للانسان ان يأكل ليعيش " [3] .

ومن دوافع الصيد الطمأنينة والسيادة ، وكان في كثير من الاحيان يتخذ في الدول القديمة مظهراً دينياً ، كذلك زاد الاهتمام به للهو والتسلية وازجاء الفراغ[4] وفي الغالب يكون مكان الصيد المطلب الحقيقي للصياد ، كما نرى عند أبي نواس فهو يفضل أماكن الصيد للمتعة والبعد عن المجتمع .

" وكما للصيد مكانة شغف بها واحتلت الدور الكبير في حياة الانسان ، كذلك تتبلور شخصية الفرد الاجتماعية، فتحسن او تقبح من خلال مايؤديه من خدمات، ومدى ارتباط تلك الخدمات بتوفير مصالح افراد المجتمع " [5] .

ومما يدعونا الى معرفة شخصية الصياد في الشعر العربي . أن نحدد نظرة العرب اليها ونظرتهم الى الصياد.

---

[1] المصايد والمطارد : 9 .

[2] مقدمة ابن خلدون : 182 ؛ وينظر : الصيد والطرد في الشعر العربي : 29.

[3] ينظر: شعر الطرد عند العرب: 9 .

[4] المصدر نفسه .

[5] الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري : 51-53.

" الصياد شخصية ترددت في مآثور كثير من الشعراء على مر العصور، وتعاقب الاجيال، وإننا لانبتعد عن الحقيقة اذا قررنا ان كثيرا من الشعراء قد مارسوا الصيد ، والقليل منهم آثر ان يقوم بدور الواصف عن كتب، واولئك في العادة ممن كان يرافق الملوك والامراء في طردهم كالنابغة الذبياني، ولاسيما في وصفه الثور الوحشي، وابن المعتز فقد كان اكثر من التوكؤ على معاني الشعراء الاقدمين ، ولاسيما في الخمر والطرد ، حيث اغرق في تقليد ابي نواس شاعرهما المبرز " [1] .

ومما يذكر ان ابا نواس وجد في أماكن الصيد متعة وتسلية فاولع بها ، فعكس اصداء ذلك الولوع بقصائد تعد من عيون شعره، حتى عد ابن منظور طردياته تضاهي غزله في الجودة ، او انها تجئ في المرتبة الثالثة في شعره [2] .

واذا عدنا الى دوافع الصيد نجد ان ابا نواس لم يكن يطلب الا المتعة من الصيد باختياره المكان والزمان لرحلاته بمرافقة الخلفاء والامراء، وقد اتاحت له تلك الظروف الفرصة للوصول الى غايته وهي التمتع بقدر كبير من الحرية والانطلاق لواقع يبعد كل البعد عن نظرات المجتمع ، ويحقق الهدف من دوافع نفسية كامنة في ذاته ، يرغب في تحقيقها ، وذلك يخلق عالم يشيع فيه المرح واظهار الذات القوية " والتعبير عن رأيه باسلوب الصيد، ساعده في ذلك الحياة الجديدة التي حصل عليها من صلاته بخلفاء بني العباس، في عهد اتسم بالترف والرفاه وتطور رغبات المجتمع خاصة الاغنياء، حول البحث عن المتعة واللذة الفردية، ساعده على ذلك قربه من الخليفة محمد الامين فاكثر شعره في رحلاته معه للصيد والطرد [3] .

" ويغرم ابو نواس بالطرد غراماً كبيراً يكاد يقارب غرامه بالخمر، ومن ثم فانه يقتني كلاب الصيد وطيوره المدربة، ويصف رحلات القنص وحيواناتها احسن وصف واتقنه بحيث اصبحت طردياته من ارق وادق ماقيل في هذا الغرض من الشعر

---

[1] تاريخ الادب العربي : 552 ، حنا فاخوري، بيروت ، 1960.

[2] ينظر : ابو نواس بين التخطي والالتزام : 505.

[3] ينظر : شعر الطرد عند العرب : 9.

العربي، وبحيث صار اقدر الشعراء على وصف حيوان الصيد بصفة عامة وكلابه بصفة خاصة" [1] ، وتفنن في وصف أماكن الصيد وتلك الرحلات التي انمازت بتجاوب ذاته الناشدة للبعد عن مجتمع المدينة .

زمان الصيد

يمكننا ان نتوصل من خلال دراستنا لاشعار الشعراء في الصيد انه ليس للصيد موسم ، والارجح أن يتم غدوه حين تكون الوحش في كناسها ، لما تزل خاضعة لسلطان الكرى ، اذ يسهل طردها وهي خاملة ، ويكون ذلك اسهل لادراكها" [2] .

" واذا عدنا ادراجنا الى العصر الجاهلي والعصور الاخرى، لتبين الوقت الذي اختير للخروج الى الصيد ، فأول ما يطالعنا شعر امرئ القيس الذي حدد الوقت ، وخصص اللفظ، حتى وجدنا الشعراء الاخرين يتخذون نفس اللفظ، او شيئاً قريبا منه ، فهو يفضل الغدوة ، والطيور لما تزل في وكناتها، وتكون الطيور قد ربضت للنوم ، فاذا اثيرت فيكون اثر النوم فيها فيتم مسكها بسهولة" [3] . حيث يقول [4] .

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل

وهناك من يخرج عند الصباح الباكر او في النزع الاخير من الليل كما في قول ابي نواس [5]:

لما تبدى الصبح من حجابه كطلعة الاشمط من جلبابه [1]

---

[1] ينظر: الشعر والشعراء في العصر العباسي : 210 –211 ؛ وابو نواس وقضية الحداثه في الشعر : 343؛ ومعالم الشعر واعلامه: 94 ، 178 والعصر العباسي الاول : 229 ومابعدها، وشعر اللهو والخمر: 213 ؛ وابو نواس : 112 وما بعدها .

[2] ينظر: الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، 61 ، 70.

[3] المصدر نفسه : 68.

[4] ديوان امرئ القيس : 19 .

[5] الديوان : 631.

وانعـــدل الليـــل الـــى مآبـــه كالحبشـــي ، افتـــر عـــن أنيابـــه
هجنـــا بكلـــب طالمـــا هجنـــا بـــه ينتســـف المقـــود مـــن كلابـــه

فقد حدد ابو نواس وقت الصيد ببزوغ ضياء الصباح حيث شبهه ببياض الرأس يخالطه سواده وكأنه يخلع جلبابه ، وقوله [2] .

قـــد اغتـــدى والصـــبح مشـــهور قـــد طلعـــت فيـــه التباشـــير
بمخطـــف الايلـــل فـــي خطمـــه طـــول وفـــي شـــدقيه تـــأخير

ومن الملاحظ ان ابا نواس يكثرخروجه عند الفجر قبل وضوح النهار حيث يقول[3] :

قـد اعتـدى فـي فلـق الاصـباح بمطعـــم يـــوجز فـــي ســـراح

وكان يخرج للصيد في الليل وقت شدة الظلام فقال [4] :

قـد أغتـدي والليـل فـي اعتكـاره بأغضـــف يمـــوج فـــي شـــواره
مـــؤدب مايصـــطلى بنـــاره كـــالوتر المخضـــر فـــي امـــراره
اشـــرف متنـــاه علـــى فقـــاره بســـبق مـــر الـــريح فـــي احضـــاره
فـــي حـــس جنـــي علـــى اصـــراره ســـمع فـــلاة غيـــر مـــا اقشـــعراره

وقد يتم الصيد وقت النهار، وانحسار الظلام كما في قول ابي نواس [5] :

لمـا تجلـى الليـل وابـيض الافـق وانجـاب سـتر الليـل عـن وجـه الطـرق
بـــاكرني ســـهل المحيـــا والخلـــق نـــدب اذا اســـتندبته ، شـــهم لبـــق
يـدعو الـى الصـيد الا قلـت انطلـق بأكلـب غضـف صـحيحات الحـدق

---

(1) الاشمط : من الشمط وهو بياض الرأس يخالط سواده . وينظر : الانوار في محاسن الاشعار لابي الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوى المعروف بالشمشاطي ، تحقيق صالح مهدي العزاوي 1976 منشورات وزارة الاعلام – الجمهورية العراقية سلسلة التراث : ص 253.

(2) الديوان : 635. الايلل : جمع يلل محركة وهي الاسنان العليا فيها قصر او انعطاف.

(3) الديوان : 637.

(4) الديوان : 638.

(5) الديوان : 638.

مـن اصـفر اللـون ومبـيض يقـق كأنمـا اذنـاه مـن بعـض المـزق

مكان الصيد :

يمثل المكان لابي نواس ميداناً لطلب المتعة والراحة ، وغالبا مايكون هذا المكان مكاناً مألوفا وقريبا من ذاته ليحتل المجال الواسع في تفكيره ، او ان يكون ذلك المكان المفضل فيكثر ارتياده ، فهو يرسم صورة واضحة تجسد الاحداث الحقيقية التي يعيشها فيه من خلال رسم لوحات الطرديات ، التي تحتل موقعاً متميزا في شعره، انها تجربة من التجارب الصادقة التي اضافت للشعر العربي الكثير ، كونها أتت بغرض جديد لم يكن موجوداً بل انفرد فيه ابو نواس.

وكثيراً ما وظف المكان في شعره توظيفا ذاتيا متفاعلا معه بكل قوة ليرسم لنا صورة فحسب ، انما يتفاعل مع ماحوله، لذا نراه يعيش اللحظات الحية فيتوحد مع الحدث ، فيصوره بما فيه من جزئيات لينقلنا في النتيجة الى ذلك المكان وكأنما تعايشنا مع احداثه، فنشاركه بكل مجريات الموقف الذي استطاع ببراعة ان ينقلنا اليه إلى ان يعلمنا بشيء من السرد انه سار مع كلبه الى سفح الجبل للطراد جاء ذلك بقوله : [1]

لمـا بـدا الثعلـب فـي سـفح الجبـل صحت بكلبـي : هـا ... فهـاج كالبطـل
كلـب جـريء القلـب محمـود العمـل مـؤدب كـل الخصـال قـد كمـل
فجـاذب المقـود كفـي وحمـل وطـرد الثعلـب طـرداً مـا يطـل
ومـر كالصـقر علـى الصيد اشـتمل فلفـه لفـاً سـريعاً مـا قتـل

وتكون (الارض) المكان الواسع الذي يحقق احلامه فهو في الجبل او ارض منبسطة في المزارع او في الصحراء، فهي مسرح لرحلاته للصيد حيث يقول [2] :

يـارب ظبـي بمكـان خـالٍ صـبحته والليـل ذو اهـوالٍ

---

[1] الديوان : 644.

[2] الديوان : 646.

باغضف غذي بحسن حالٍ ... مسود العمّ ، حسيب الخال
اعطى تمام القد والجمال ... قلدته قلادة الاعمال
يجول في المقود كالمختال ... هجنا به فهاج للنزال
وأنس الظبي بتل عال ... فانسل قلبي ساعة الارسال
ومر يتلوه ولم يبال ... بالحزن والسهل وبالرمال
فصاده في أصعب الجبال ... وقائل لي وهو عن حيالي
اكرم بهذا الكلب من محتال ... أتيح حتف الظبي والأوعال

وابو نواس اجاد في كثير من فنون الشعر اجادة تامة لكنه انفرد بالوصف خاصة في طردياته، فهو يصف اماكن الصيد ووكنات الطيور، وهجمات الصوائد على الطرائد، لا وصف الذي يشاهدها ويعجب بها، ولكن الوصف الذي يندمج فيه الشاعر حد التمازج بحيث يصبح ذلك الوصف تشخيصا لحالة يعيشها ويشعر بها ، وشعره من هذه الناحية يمكن ان يعد من ذوق جديد في اللغة العربية، فالشعراء يصفون رحلاتهم للصيد في الصحراء او أية أمكنة يقصدونها وصفاً يمثل حالتها ووضعها لكن ابا نواس، كان يعيش مع لحظات الصائد والطريدة وكأنه يتوغل في اعماقها فيرسم حركة الخفقان من شدة الخوف وتيبس ريشها، فيوازن بين تلك الصورة وصورة الصياد حالة التوثب والهجوم ويكلل ذلك بتجسيد حركة الصائد كانه يساعد في بث الرعب ، فيجعل المتلقي ينتقل بكل حواسه الى ذلك المكان نلمس ذلك بقوله في كلب اسمه زنبور [1] .

اذا الشياطين رأت زنبورا ... قد قلد الحلقة والسيورا
دعت لخزان الفلا ثبوراً ... أدفى ترى في شدفه تأخيرا
ترى إذا عارضته مغرورا ... خناجراً قد نبتت سطورا
مشبكات تنظم السحورا ... أحكم في تأدبه صغيرا
حتى توفى الستة الشهورا ... من سنة او بلغ الشفورا
وعرف الايحاء والصفيرا ... والكف ان تومئ او تشيرا

---

[1] الديوان : 633 ؛ وينظر : التطور والتجديد في الشعر الأموي : 254–258 .

يعطيك اقصى حضره الموفورا ... شداً ترى من همزه الأظفورا
منتشطاً من اذنه سيورا ... فما يزال والغا تأمورا
من ثعلب غادره عفيرا ... او ارنب جورها تجويرا
فامتع الله به الأميرا! ... ولايزال فرحاً مسرورا !
مكرماً من غبطة مبرور ... يزين المنبر والسريرا

كل ذلك يرسمه ابو نواس في طردياته رسماً يحشد فيه أكثر ماهناك من جزئيات وذرات في الطبيعة جارية وغير جارية . ومتحركة تسهم في جعل الصورة أكثر وضوحاً ، واذا امعنا النظر في طردياته تبادر لنا هدف الشاعر من خلق جو الصيد للقارئ والمتلقي ونقل مشاعره الى ذلك المكان ، مشاهدة من خلال تلك الصور وبصورة تأثرية يرسمها بالكلمات المنتقاة ووصف يحمل التعبير على اجتياز حواجز الذهن بالقارئ ليقطع مسافات بعيدة حتى يصل الى ذلك المنظر الذي شخصته الكلمات بكل دقة ، جاء ذلك بقوله [1] :

قد اغتدى والليل في ادهمامة ... لم يحسر الصبح دجى ظلامه
بساهم يمرح في آدامه ... مزبرج المتن وفي خدامه
مثل بديع العصب في أحكامه ... كأن خطي جانبي لثامه
من مؤخر الخد إلى أقدامه ... خط مبين النقش في إعجامه
أجراهما بالعود من أقلامه ... لا يأمنن الوحش من عرامه
يعد يوم الدجن من أيامه ... فصار والمقرور من اهدامه
قبل انتباه الحر من منامه ... ابن فلاة ظلً من آرامه
ثم انتحى في سنني جمامه ... لناشط يدفع عن أخلامه
فظل يغري ملتقى أخصامه ... من حلفه طوراً ومن أمامه
كأنه في الكر واقتحامه ... ضرب فتى شيبان في إقدامه
من خبطة النحر ومن قدامه ... حتى هوى يفحص في رغامه
منقلب الروق على أزلامه ... يالك من غاد إلى حمامه

---

[1] الديوان : 636 .

والأماكن المفضلة لديه للصيد لا تقتصر على مكان محدد بل أماكن يكثر فيها الطرائد مثل الصحراء والجبال والأماكن المزروعة ذات الأشجار الكثيفة لأنها تكون مكاناً خصباً لصيد الطيور بأنواعها تمثل ذلك بقوله [1] :

يـــا رب بيـــت بفضـــاء سبســـب بعيـــد بـــين السّـــمك والمضـــب
لفتيـــــة قـــد بكـــروا بأكلـــب قـــد أدبوهـــا أحســـن التـــأدب
مـــن كـــل أدقـــى ميســـان المنكـــب يشـــب فـــي القـــود شـــبوب المقـــرب
يلحـــق أدنيـــه بحـــدّ المخلـــب فمـــا تنـــى وشـــيقة مـــن أرنـــب

أبو نواس إذن شاعر الطرديات في عصره ، فقد عكف عليها يرسم مشاهدها ومناظرها بريشة رسام يجسد المنظر وكأنه حقيقة لما يبث فيه من إحساسه ومشاعره أنه يتمازج مع الموقف فيقص لنا حكاية سفرته إلى مكان الصيد وشعوره حين يعود بالصيد ، وبالنصر على الحيوانات .

أنه انفرد في وصف لوحات الصيد وبهذا يعد أول من أفرد للصيد والطرد غرضاً ، فتبنى أسلوب السرد القصصي في وصفه ، فهو يصف رحلاته إلى البساتين والجبال والصحارى وأماكن الصيد ، فيفرد لكل منها طبيعتها بالوصف وباجادة تامة .

وأبو نواس رسم مناظر الصحراء ، فلا غرابة من ذلك لأنه عاش في بادية بني أسد وقد حمل شعره وصفاً للبادية جاء بصور تمثل الصحراء من خلال وصف حيواناتها وطيورها واستخدام الألفاظ العربية الدالة على لغة البادية [2] .

ومكان الصيد ذلك المكان الذي يشيع الراحة والسعادة في نفس الشاعر ، ولا غرو\ابة أن تأتي أشعاره بالوصف الدقيق حين يرى تلك المشاهد أثناء رحلاته، وربما كانت حالة المعاناة السبب في ذلك الوصف الدقيق لأسلوب العنف الذي مثله شعره للصوائد ، في حالة هروب الشاعر إلى مكان يجد فيه نفسه .

---

[1] ديوان شرح الصولي : 245 .

[2] ابو نواس ، قصة حياته وشعره : 41 .

أماكن الطبيعة قيمة عامة وعلاقة أليفة بالآخر :

وحب المكان لدى الشاعر امتد إلى حب من يسكنه فامتدت الألفة بينه وبين الحيوانات – صوائد وطرائد – عاش معها أثناء رحلاته فاتخذ تلك الأمكنة ملاذاً وهروباً من الواقع ، وبذلك نراه عكسها في شعر الطرديات ، وأبدع في وصفها ، وجسد بشكل دقيق علاقته ، بكل صدق حين يصف الصوائد والطرائد ، حيث تتخذ كلاب الصيد محلاً أثيراً في عالم الصيد والطرد لذا نرى أبا نواس يوليها اهتماماً كبيراً واعتنى بتدريبها حتى وصفها بأوصاف الكرامة والنسب ، "فقد رأى أبو نواس أن الكلاب الجيدة لا تدمي فرائسها لأنها تضمها إليها كضم الكواعب أولادها ، وتحفضه سليماً رعاية للأصحاب ، وهذا يومئ إلى حسن تدريب ومزيد عناية في تعليمها " [1] ، لأنه يرى أن الكلاب أصلح للصيد لصفات تنفرد فيها مثل السرعة والتفهم للإشارة ، وأمعن في وصفها فشبهها بالكواكب في قوله[2] :

قد اغتدي والصبح مشهور ... قد طلعت فيه التباشير
بمخطف الأيلل في خطمه ... طول وفي شدقبه تأخير
عملس العجز ، بعيد الخطا ... مسلجم المتنين محضير
حتى ذعرنا كنساً لم يصب ... بها من الأحداث مقدور (*)
أقترنت من خشية للردى ... عفرها في النقع زنبور
كأنه سهم إلى غاية ... أو كوكب في الأفق محدور
فحان منها قرهب عفرت ... من بعده عنز ويعفور
حتى إذا والى لنا أربعاً ... واثنين والمجهود موفور
رحنا به ننضح أعطافه ... وهو بما أولاه مشكور
رحنا به في تربة إذ أتت ... ومثله للجهد مذخور

---

[1] شعر الطرد عند العرب:183؛محاضرات الأدباء ، ومحاورات الشعراء والبلغاء : 669 .

[2] الديوان : 635 .

[*] عملس : قوى على السير ، مسلجم : طويل ، محضير : شديد الجري

وقد جمع الشاعر تشبيهين في آن واحد ، وفي بيت واحد ثقة بسرعته ، وتأكيداً على خصيصته الكبرى ، " ويبدو أن أبا نواس لا يصعب عليه أن يرسم أية صورة لجري الكلب ، فهو يسبق مرّ الريح في احضاره وقد يجهد نفسه ليستخرج صورة دامية ، فعندما يشتد إحضار الكلب يزداد ارتفاع مخالبه حتى تسامي أذنيه فتعمل في تنشيطها سيوراً " [1]

وأبو نواس ابن الحاضرة لا يصعب عليه أن يعيش بصفه البادية التي أقام بها سنه أفادت روحه في اثنائها مسحة من روحها ما اكتسب من صحة جوها في جسمه ونفسه ، وزادت في رهافة حسه ، وتعرف إلى أرضها وسماءها ونباتها وحيوانها ، حتى أصبح أعرف أهل الحضر بها وأبصرهم بحالها ، وهذه الخبرة ساعدته كثيراً في نظم قصائده وخاصة شعر الطرديات ، فقد نسب النقاد هذه الإجادة أنها جاءت من معايشته أهل البادية [2] .

وكثيراً ما كان أبو نواس يكثر من اصطحاب الكلاب في الصيد وهو أكثر تجويداً في وصفها حتى نكاد نحس فيه عاطفة قوية تربط بينه وبينها ، إنه في إحدى طردياته يصف الكلب وصفاً دقيقاً كريماً بارعاً ، فهو أصيل [3] ، أذناه إلى الوراء مسود العم أصيل الخال ، ممشوق القد مختال في قعوده ، يرى الظبي فيسارع إليه مطارداً إياه في الحزن والسهل والرمال حتى يصيده [4] .

ونستطيع أن نلمس اهتمام الشاعر بالحيوانات والتغني بأنسابها دلالة أو أنها إشارة إلى ترك المفاخرة بالأنساب والألقاب ، كما هي ثورته على البادية والصحراء من الثوابت التي كانت سائدة آنذاك أو أنه أراد التقليل من شأن النسب في معترك الحياة ، فحتى الحيوانات لها أنساب .

---

[1] شعر الطرد عند العرب عبد القادر حسن أمين : 185 ؛ وينظر : الأنوار في محاسن الأشعار : 247 ؛ وأبو نواس قصة حياته وشعره : 140 .

[2] ينظر : ابو نواس قصة حياته وشعره : 37 وما بعدها .

[3] الديوان : 645 .

[4] ينظر : الشعر والشعراء بالعصر العباسي : 313 .

وابو نواس لم يقتصر في رحلاته للصيد على الكلب بل كان يهتم بالصقور والشواهين والفهود .. [1] .

ويختار زمان ومكان توجدها – نلمس شدة الرغبة في السفر والتنقل لاختيار أماكن الصيد .

ونظفر بتلك الصورة في شعر أبي نواس ، وقد خرج يصطاد بباز ألف الصيد لكراكي فإنه أنسل نحوها من محبسه المجلو مثل البرق ، طيرانه منخفض.

وللمكان الدور الفاعل في الصيد وطالما وضح ذلك في أشعار فينتقي لصيد الطيور أماكن مكتظة بالأشجار وقرب المياه ، وأنه كان يختار مناطق البادية للصيد حتى ولو كانت بعيدة المسافات ، ويصف أبو نواس إحدى رحلاته إلى موضع اسمه (نعمان سهر داز) أصطاد زرقاً اعتنى في تدريبه وخاصة أنه يمتاز بالسرعة والدقة وحين يرسله [2] ، فهو زينة للكف والقفاز وكم من طائر مائي كنيته أبو كزاز يتردد على المستنقعات بخفة وسرعة ، يرتاد الأماكن الآمنة ، ولكن الزرق قد أنقض عليه وهو في الأرض الصلبة ، فشقق رقبته بمخالبه ، وينقض على فريسته ويثقب جلدها وهو ذو نسب معروف ، وأبوه باز قد علمه الفتك والإقدام ، وهو نعم الخليل في وقت الحاجة ، وقد وصفه بقوله[3] :

قد أغتدي بزرق جراز ... محض رقيق الزف والطراز
دبق من نعمان سهرداز ... تصيدنا رزقاً ودستخاز
زين يد الحامل والقفاز ... فكم وكم من طول جماز
مغامر يكنى أبا كزاز ... جم الوقاع ، موجز الأيجاز
قد طالما أوطن بالأحراز ... علقه بالجدجد البراز
مشقاً يقد تبج الأجواز ... بحجنات صدفة التوخاز
مثل أشافي الصنع الخرار ... يعتامها فرداً بلا جلوز

---

[1] الحيوان 27/2 .

[2] ينظر : المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ : 172 .

[3] الديوان: 648 .

قـــد ابـــن بـــاز وصـــنيع بـــاز نعـــم الخليـــل ســـاعة الإعـــواز

وكما وصف أبو نواس الصوائد من الحيوان والطير وامعن في وصفها بأدق التفاصيل وأصغر الجزيئات فقد وصف الطرائد بأوصاف الخوف والألم وأمعن في تصوير حالة الطريدة عند مهاجمتها فقال [1] :

يـــا رب غيـــث آمـــن الســـروب حباريـــــات جلهتـــــي ملحـــــوب
فالقطبيـــــات إلـــــى الـــــذنوب يـــــرفلن فـــــي بـــــرانس قشـــــوب
مـــن حبـــر عـــولين بالتهـــذيب فهـــن أمثـــال النصـــارى الشـــبب
فـــي عيـــد مبـــرز الصـــليب ذعرتهـــــا بملهـــــب الشـــــؤبوب
مفهـــــم إهابـــــة المهيـــــب وكلمـــــات كـــــل مســـــتجيب

وللمكان الدور الفاعل في الصيد بأنواعه حيث يمنح الصياد المتعة ويسهل عليه الصيد ، ومما نلاحظه في طردياته أنه يختار المكان والزمان ، وخاصة لما للمكان من دور في الصيد ، وتنوعه .

وسائل الصيد :

" الصيد على ضروب كثيرة من الحيل بالآلات مختلفة " فمنها الشباك الظاهرة ، وفيها الاشراك المستورة ومنها ما تدس في أماكن متفرقة تحت التراب من الحديد للبقر والحمير فإذا تخطت عليه حصلت أرجلها فيه ولدغها فرمحت فيقطع عصبها حتى لا تقوم " [2] .

وتستعمل النار للصيد كما يستخدم الصيادون الأصوات والصفير ، ومنها بالربى والأكر وهي الحفائر ومن وسائل الصيد الفخاخ ، ومنها الطراد بالفهود والكلاب ، والحيوانات كان لها الدور الفاعل من الصيد ومنها الخيل ، فالعربي وجد بفرسه صديقاً حميماً ينجده في الشدة والرخاء ، لذا (أعز العرب الخيل، وحدبوا عليها

---

[1] الديوان: 666 ، وينظر : الطير في حياة (الحيوان) للدمبري : 69 وما بعدها .

[2] المصايد والمطارد : 47 .

، وباهو بها أنهم كانوا يركبونها للصيد للرياضة وفي الأسفار الدانية، وكانوا يمتطونها في كرهم وفرهم ، ومن اعتزازهم بالخيل أيضاً سقيها لبن الأبل [1] .

وقد استحوذ الفرس على بعض طرديات أبي نواس ووجد طريقه إليها من خلال العدد الكثير من وسائل الصيد لذا نستطيع أن نتصور احتفاظ الخيل بمكانتها في عالم الصيد والطرد ، وهذا حد أبي نواس إلى التبكير والصبح في المخاض ، والليل تداعبه خيوط السحر حيث النجوم لما تزل تتلألأ ، على فرس طويل الناصية ، قد مال شعره على كاهله يشبه في يوم الرهان جارحاً جائعاً أصابه مطر حبيب ، ثم يستمر في وصف ريشه وعينيه ، وخشيه الطير وكيف تختبئ منه في الشجر ، متوخياً السرعة ، [2] والنشاط حين يقول ابو نواس [3] :

قد اغتدي والصبح محمر الطرر ... والليل تحدوه تباشير السحر
وفي تواليه نجوم كالسرر ... بسخق الميعة ميال العذر
كأنه يوم الرهان المحتضر ... طاو غداً ينفض صيبان المطر
عن زف ملحاح بعيد المنكدر ... أقنى يظل طيره على حذر
يلذن منه تحت أفنان الشجر ... من صادق الوعد طروح بالنظر
كأنما عيناه في وقبي حجر ... بين مآق لم تخرق بالإبر

ولا يفتأ أبو نواس يصف الفرس مرة أخرى ، ويبكر به مع الصباح كذلك ، والليل بهيم كالجشي الذي خلع ملابسه وكان طويلاً ، كريم النسب ، فهو من نسل الأعوج الأصيل ، حيث يقول [4] :

قد اغتدي والليل في إهابه ... أدعج ما جرد من خضابه
مدثر لم يبد عن حجابه ... كالحبشي انسل من ثيابه
بهيكل قوبل في أنسابه ... مردد الأعوج في أصلابه

---

[1] ينظر : الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري : 143 .
[2] الديوان : 646 .
[3] ينظر : الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني للهجرة : 147 .
[4] الديوان : 657 .

وأبو نواس بارع بالوصف ، حتى يصل به المطاف إلى أدق الأجزاء فهو يصف العنق والكاهل والحاجز ، ويعرج على وصف قوائمه ، كما أنه لا ينسى البنية التي تحيط بالصيد ويعرج على وقت الصيد قاصداً من ذلك رسم صورة واضحة أمام المتلقي ، وكأنه ينقله إلى ساحة الصيد .

إن الموقف من المكان يوضحه الغرض وتتضح هذه الرؤية من خلال استقراء مصائد الصيد والطرد التي حملت إلينا الهدف الذي يسعى إليه الشاعر .

الفصل الرابع

المكــان صـــورة

المبحث الاول: المكان المتخيل – المكان في طيف الخيال – وصف الطيف – وصف المكان – تحولات المكان (التشبيه – الاستعارة – الكناية)

المبحث الثاني: الحنين إلى المكان

المبحث الثالث: الإبداع الفني في شعر أبي نواس المكاني

المبحث الاول

المكان المتخيل – المكان في طيف الخيال – وصف الطيف – وصف المكان – تحولات المكان (التشبيه – الاستعارة – الكناية)

المكان صورة :

اهتمت الدراسات النقدية الحديثة بدراسة الصورة الشعرية من جوانب عدة في حين ركزت الدراسات البلاغية على الطبيعة الزخرفية ، والتزينية للصورة الشعرية ، فالأسلوب والصورة عنصران خارجيان في العمل الأدبي [1] .

عُني النقد الحديث بأواصر العلاقة المزدوجة التي تربط الصورة بالعمل الفني نفسه . لذا يقدم لنا (أبو ديب) مفهومين لمعنى الصورة الشعرية : أحدهما قديم يترجم فيه الصور البلاغية ، من التشبيه والمجاز، وثانيها حديث يجمع في الصورة البلاغية نوعين آخرين هما ، الصورة الذهنية ، والصورة باعتبارها رمزاً ويحتل كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة اتجاهاً قائماً بذاته في دراسة الأدب [2] .

ويستدل من ذلك أن مفهوم الصورة قديم ، ويتسع هذا المفهوم كثيراً في تعريفاته التي تعددت بتعدد وجهات نظر أصحابها ، ولعل أوضح تعريف ما أورده عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) الذي نظر إلى الوظيفة النقدية والبلاغية ، نظرة تغاير المفاهيم التي سبقته [3] ، إذ يقول : " إعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ... ، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبيته في الآخر بينونه في عقولنا فرقاً ، عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك " [4] .

فالصورة هي : " بنية تتشابك فيها العلاقات ، وتتفاعل لتنتج الأثر الكلي الذي ينفتح على العمل الفني ويضيء أبعاده كما أنه يضاء بأبعاد هذا العمل " [5] ، ولعل أبسط تعريف حديث للصورة هو " رسم قوامه الكلمات المشحونة " [6] ، ويمكننا القول

---

[1] ينظر : جدلية الخفاء والتجلي : 19 .

[2] ينظر : الزمان والمكان في شعر أبي فراس الحمداني : 127 .

[3] ينظر : الصورة المجازية في شعر المتنبي ، جليل رشيد فالح ، أطروحة دكتوراه : 19 .

[4] دلائل الإعجاز : 508 ، 108 ؛ وينظر : عيار الشعر : 5 – 6 .

[5] المصدر نفسه : 376 .

[6] الصورة الشعرية : 19 ، سي ، دي لويس ، ترجمة : د. أحمد نصيف الجنابي .
وينظر : الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي : 15 – 16 .

أن هذه الكلمات تبين أن أهم مفهوم تقوم عليه الصورة بوصفها منجزاً لغوياً يعبر عما يجول في أفكار الشاعر بطريقة فنية تقترب من الرسم ، فمن خلال هذا المعنى نجد الصورة الفنية ، فهي تقوم على أساس المعنى الناتج عن انتظام الأفكار في صور قادرة على نقل المحتوى الفكري .

إن خيال الفنان هو العنصر المكون للصورة إذ أنها تشكيل لغوي [1] ، وهذا التشكيل يمتلك " مستويين من الفاعلية ، هما المستوى النفسي والمستوى الدلالي أو الوظيفة النفسية والوظيفة المعنوية ، وإن حيوية الصورة وقدرتها على الكشف والإثراء ، وتفجير يعد تلو آخر من الإيحاءات في الذات المتلقية ، ترتبطان بالإنسان ، والانسجام اللذين يتحققان بين هذين المستويين للصورة " [2].

تمتزج العلاقات في الصورة الشعرية لتعبر عن الوظيفة الاجتماعية والنفسية والفكرية ، حيث تمنح الشاعر حرية التعبير عن نفسه ، وعما يحيط به بالطريقة التي يرتاح لها وتسهم في إبراز أفكاره وتستوعب أحاسيسه وتعينه على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهر للقصيدة ، حيث يتم إظهار ذلك عن طريق ميزة الإيحاء والرمز منها [3] ، فالصورة الشعرية " فكرة ولغة وموسيقى وخيال"[4].

ويرى النقاد والشعراء أن الصورة تكامل وتجانس بين اللغة والفكرة وأسلوب التعبير حيث لا يمكن أن تقيم صورة بالفكر وحده ، وعليه يمكن القول أن حكم الألفاظ في الصورة قادر على نقل اللفظ من حد التشبيه إلى حد الاستعارة وإلى حد الرمز ، لأنها محصول في صناعة الكتابة وهي إلى جانب ذلك أن حب الشاعر للكلمات تشكل في الأساس موقفاً نفسياً وجمالياً [5] .

---

[1] ينظر : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري : 30 .

[2] جدلية الخفاء والتجلي : 21 .

[3] ينظر : المصدر نفسه .

[4] مفهوم الصورة الشعرية قديماً (بحث) الأخضر عيكوس ، مجلة الآداب – جامعة القسنطينة، ع2 ، 1995 : 71 .

[5] ينظر :أسرار البلاغة: 36 .

وينظر : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري : 25

وقد دخلت هذه أساليب في تشكيل الصورة المكانية المعبرة عن ارتباط الشاعر بالمكان .

ومن هذا يرى النقاد المحدثون بأن الصورة الشعرية ترتبط بروابط مع البلاغة، التي عبر عنها عز الدين اسماعيل بقوله : " إن البلاغة الجديدة ، بلاغة الصورة الشعرية تعد أوسع نطاقاً وأخصب من مجرد التشبيه أو الاستعارة ، وإن أفادت منهما ، فليس بين الصورة ، إذن ، والتشبيه أو الاستعارة جفوة ، فقد يصل التشبيه ، او تصل الاستعارة في بعض الأحيان إلى درجة من الخصب والامتلاء والعمق ، إلى جانب الأصالة والابتداع ، بحيث تمثل (الصورة) وتؤدي دورها" [1].

وعليه : " أن الصورة الشعرية من التراث القديم التي حملت الكثير من مظاهر الجدة والغرابة ، إنما جاءت عن طريق الاستعارات غير المألوفة ، ومن ثم فقد وصفت بأنها خروج عن عمود الشعر ، أي علي الذوق المتعارف عليه والمألوف من الاستعارة أو المجاز " [2] .

فالشاعر يستطيع أن يرسم الصورة الشعرية بإفادته من الاستعارة والكناية والتشبيه حتى يصل إلى الإبداع المنشود فكلما استطاع تمازج أفكاره بالأسلوب البلاغي واستطاع أن يجانس بين الأشياء البعيدة فيقربها ويمنحها القدرة على الوجود في رؤى الحدث ، تمكن من خلق الإبداع المطلوب بالصورة الشعرية ، وتدخل مسلكاته وقدراته على اختيار التجانس بالألفاظ ، وإبراز العلاقات في التشبيه بما يعطي طاقة ظاهرة من الفن والتميز . " باستطاعته أن يجعل الأشياء صالحة أو سيئة ، كبيرة أو صغيرة ، قوية أو ضعيفة ، كما يشاء ، باستطاعته أن يجعل الناس أطول من الشخوص أو أطول من الذرات ، وله أن يعلق مدناً بأكملها في الهواء ، فالمستحيل في كونه يغدو ممكناً ، والضروري طارئاً " [3] .

---

[1] الشعر العربي المعاصر ، ط3 : 143 .

[2] دير الملاك ، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ن د. محسن أطمش، دار الرشيد ، 1982: 245 .

[3] خمسة مداخل إلى النقد الأدبي ، تصنيف ويلبر سكوت ، ترجمة ونقد وتعليق : د. عناد غزوان وجعفر الخليلي ، دار الرشيد 1981 : 242 .

ونستنتج مما عرض " أن أبرز الدراسات العربية الحديثة التي عنيت باللغة الشعرية عناية خاصة ، وكشفت العلاقة بين اللغة والعناصر الأخرى المكونة للبناء الفني ، تلك الدراسات التحليلية التي قام بها نقاد يمتلكون من الصبر الشيء الكثير، إذ حللوا قصائد عربية قديمة وحديثة تحليلاً تفصيلياً يكشف عن كون الألفاظ والصور والتركيبات والموضوعات والموسيقى ، أجزاء تتم بعضها وتؤلف عناصر في تركيب شامل هو البناء الفني لهذه القصائد " [1] .

ولا نغالي في قولنا أن المكان قد احتل في صورة أبي نواس المكانة المتقدمة لما له من باع طويل في براعة رسم الصورة الشعرية ، من خلال قدراته على التصوير الذي يفضي إلى الرمز والخيال ، كما أنه يعطى للعاطفة بعدها المتناهي في خلق الصور المفعمة بالأحاسيس والمشاعر المؤثرة في نفس المتلقي ، وفي صور تبرز العلاقة بين الشاعر والمكان إذ يتميز المكان في شعر أبي نواس بحضور بين ناتج عن عاطفة وشعور .

ويرى بعض النقاد أن أبا نواس وهو من الشعراء المحدثين منح الصورة أبعاداً غير الأبعاد المنظورة والمرئية ، فقد ابتعد بها عما هو موجود من الحقيقة إلى عالم من الخيال الخصب [2] .

ويمثل هذا نقطة ضوء ساطعة في تاريخ انتقال الشعر من اتباع الأقدمين إلى الابداع الفني ، ويعود ذلك إلى تأثر الشاعر أبي نواس بالطابع الحضري ، فظهر ذلك من الصورة الشعرية حيث بعدت عن الخشونة التي كان يفرضها واقع الصحراء ، مستمدة عناصرها من واقع الحياة الحديثة في القرن الثاني الهجري .

---

[1] بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر : 34 ، وينظر : المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية : 217 ، د. رحيم جبر أحمد الحسناوي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان – الاردن ، 1999 م :

[2] ينظر : ابو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 207 .

المكان المتخيل :

" حظي الخيال باهتمام واسع في المذاهب الفلسفية والسيلولوجية وفي دراسات البلاغة والنقد الأدبي ، وهو اهتمام يستمد مما ينطوي عليه الخيال من فاعلية لا غناء عنها في منجزات الإنسان الثقافية عبر التاريخ ، وذلك أن الإنسان من بين الكائنات ذو وعي تاريخي أساسه ضرب من الاصطفاء ، وانبثاق الوعي"[1] .

" وهذا الوعي تاريخي بفضل قوى أخذ الإنسان بنواصيها وعبر عنها وجعلها ذرائع لتحقيق الذات ، إن الإنسان كائن تاريخي تجلى وعيه في أنساق نامية من العقائد والتصورات والمواقف والقيم ، وهذا الوعي التاريخي لأنه لغوي وخيالي ، فباللغة سمى الإنسان الأشياء ، وأسس تضايفاً بين الكشف والانكشاف ، وبالخيال أولج الواقع في اللاواقع ، وأوجد منطق التوحيد والاندماج ، وجسد الفكر في الصورة ، وتغلب على عزلة النفس عندما تترك لذرائعها في عالم مفروض"[2].

والشعر هو " أول مظاهر الفن في الكلام ، لأنه متصل بالحس والشعور ، والخيال، وهذه الملكات تكاد تنشأ مع الفرد والجماعة فهو ينبعث أذن عن الحياة الإنسانية انبعاثاً يوشك أن يشبه انبعاث الضوء عن الشمس، والعطر عن الزهرة"[3].

ولهذا فإن الشعر والخيال مترابطان ، فالخيال عنصر رئيس من عناصر الإبداع الشعري ، فالمبدع " يقوم بتشكيل صور ذهنية من المقومات الحية الإدراكية التي يكون قد وقف عليها ، فهو ينشئ صوراً ذهنية غير واقعية من مجموع المدركات الحسية الكثيرة التي سبق له تحصيلها ، وهو يقيم تلك الصور التخيلية ، الأنتقاء من بين المقومات الإدراكية الآنية التي يقع عليها وقت اعمال خياله في الموقف " [4] .

---

[1] الخيال ومفهوماته ووظائفه : 5 .

[2] المصدر نفسه : 5 .

[3] في الأدب الجاهلي : 326 .

[4] المكان في شعر صدر الإسلام : 49 .

ويمكن القول إن للخيال دوراً فاعلاً في إعطاء الشعر صفة مميزة ففرقت بينه وبين التعبير العلمي الذي يستند إلى وقائع وحقائق حيث يرى القرطاجني : "أن التخيل لا يمكن أن يكون تخيلاً إلا إذا أتسم بصفة حسية " [1] .

وقد اهتم النقاد القدامى بالخيال في الشعر واختلفت وجهات النظر في مدى تأثيره في ايجاد الصورة الشعرية المؤثرة ، كما أهتم النقد الحديث حيث يقسم كولدرج الخيال إلى نوعين ، هما : الخيال الأولي وهو : " القوة الحيوية والعامل الأول في كل إدراك إنساني وهو علمي في وظيفته ، ويقابل ما يدعوه (كانت) الخيال الانتاجي .

" أما النوع الآخر فهو الخيال الثانوي وهو " صدى للخيال السابق ويصطحب دائماً بالوعي الإرادي ويتفق مع الخيال الأول في نوع عمله ، لكنه يختلف عنه في درجته وطريقة عمله لأنه يحلل الأشياء أو يؤلف بينهما ، أو يوحدها ، أو يتسامى بها ، ليخرج من ذلك كله بخلق جديد ، مجاله الفن ، وهذا النوع من الخيال يدعوه (كانت) الخيال الجمالي ، ومن هذه التعريفات والتقسيمات يمكن لنا أن نربط بين الخيال من جهة ، والتشبيه والاستعارة والكناية من جهة أخرى " [2] .

ويمكن أن نستشف الصورة الخيالية في شعر ابي نواس من القراءة التبصرية لشعره ، ولمعرفة العلاقة بين الخيال والصورة الشعرية ، والتي أبدعها الشاعر من خلال قدرته في توليفه واختلافه بين الأشياء ، فهو يتخذ الواقع أرضية يبنى عليها صوره الخيالية ، ليعبر عما تكنه نفسه من مشاعر ورغبات يحصل عليها برسمه تلك الصور التي تحمل خياله وأبعاد تجربته في حياته .

وأول ما يطالعنا من صور أبي نواس التشبيهية هو ارتباطها بالحواس ، لانها مادة التصوير ، تفيد التقارب بين العناصر المتباعدة ، لتوحي هذه المدركات الحسية الناتجة عن الخيال إلى نظرة الشاعر ، وفكره وانفعالاته ، لتؤثر في المتلقي، ليكون "

---

[1] منهاج البلغاء : 30 ، وينظر : سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب : 172 .

[2] الزمان والمكان في شعر أبي فراس الحمداني : 131 .

عنصراً ضرورياً لأداء المعنى المراد من جميع الوجوه " [1] ، ويتمثل ذلك بقول أبي نواس [2] :

كأنمـــا عينـــه إذا التهبـــت بـــارزة الجفـــن عـــين مخنـــوق

وأبو نواس إنما تماثل قوله بصورة غريبة بعد بها في الخيال إلى الحد الذي يخرج عن المألوف حين يصف الذي في رحم أمه ولم يك صورة يخاف ولقلبه خفقان، حيث قال [3] :

حتى الذي في الرحم لم يك صورة بفـــؤاده مـــن خوفـــه خفقـــان

وكذلك وهو يمدح هارون الرشيد بقوله [4] :

واخفـت أهـل الشـرك حتـى أنـه لتخافـك النطـف التـي لـم تخلـق

وبهذا نستطيع القول إن الخيال تمثل من انعكاس رؤيا الشاعر في أبعاد تلك الصور التي مزجت بين الواقع والخيال، وينظر تطرفه في وصف الدار قوله [5] :

كأنهـــا إذا خرســـت جـــارمٌ بـــين ذوي تفنيـــده مطـــرق

فقد شبه مالاينطق أبد في السكوت بما قد ينطق في حال ، وإنما كان يحب أن يشبه الجارم إذا عذلوه فسكت واطرق وانقطعت حجته بالدار ، وإنما هذا مثل قائل قال : مات القوم حتى كأنهم نيام ، والصورة أن يقول : نام القوم حتى كأنهم موتى [6] .

ومن الصور التي أعطت بعداً في العلاقة بين ما يعانيه ومن استعان به وهو بذلك ابتكر صورة جديدة حين وصف الدهر معيناً له وهو ينكره قوله [7] :

تغطيـت مـن دهـري بظـل جناحـه فعينـي تـرى دهـري ولـيس يرانـي

---

[1] ينظر : الزمان والمكان في شعر أبي فراس الحمداني : 131 – 132 .

[2] ديوان شرح الصولي : 489 .

[3] الديوان : 406 .

[4] ديوان شرح الصولي : 479 ؛ وينظر : المصطلح النقدي في نقد الشعر : 358 .

[5] الديوان :

[6] ينظر : الشعر والشعراء : 686 ؛ وينظر : أخبار أبي نواس 2/1 .

[7] الديوان : 469 .

فلو تسأل الأيام ما اسمي لما درت وأين مكاني ما عرفن مكاني

فهو جعل الدهر ممن يمتلكون أجنحة وقد احتجب بهذه الأجنحة ، استطاع الشاعر أن يشكل بالخيال مع مزجه بالواقع شكلاً غريباً أبدع فيه ، وهذا ما يراه ابن سينا : أن التخيل أمر خارج عن التصديق ، فالتصديق راجع إلى مطابقة الكلام للواقع ، أما التخيل فراجع إلى ما للكلام نفسه ، من هيئة تحدث الانفعال ، ومن هنا جاز أن تكون مواد التخيلات صادقة أو كاذبة إذا أحدثت في النفس الانفعال المقصود بالشعر [1] ، وقوله [2] :

ملك تصور في القلوب مثاله فكانه لم يخل منه مكان

ما تنطوي عنه القلوب بفجرة إلا يكلمه بها اللحظان *

نلاحظ أن أبا نواس يعطي أكثر من تشبيه ووصف في الصورة الواحدة للموصوف أو المشبه ، ويمكن أن يكون ذلك انعكاساً لحالته النفسية ، فإنه يعمد إلى تشكيل الصورة بحشد من الصور ليجعلها مؤثرة وهو يجلب صيغاً تخفي أدوات التشبيه .

فالخيال يميز الشاعر البارع عن غيره من خلال تلك القدرة الذهنية التي تجعله ينظر إلى أبعد مما ينظر سواه ، ويكشف علاقات لم يلتفت إليها معاصروه أو أسلافه ، وعليه فالشاعر إنسان متخيل ، والتحيل قدرة ذهنية إذا عملت في رعاية عقل مفرط الذكاء دائم الوعي والجهد ، ويكشف عن الاتفاق القاضي بين الأشياء فيتوصل إلى إدراك الاتفاق بين العناصر ، ويكشف عن الإتفاق القاضي بين الأشياء ، ومن ثم تتوافق المختلفة ، وتتآلف الأجناس البعيدة [3] .

---

[1] ينظر : الخيال ومفهوماته ووظائفه : 155 ؛ وينظر : العمدة 140/2 .

[2] الديوان : 405 .

* اللحظان : النظر بطرف العين .

[3] ينظر : الخيال ومفهوماته ووظائفه: 201 .

المكان في طيف الخيال – زائر المنام – :

" طيف الخيال ، حلم ينتفى فيه الزمان والمكان ، إلا من إشارات سريعة إليهما ، وهو من الصور التي فتنت الشعراء ، وشغلت خواطرهم ووحي الهامهم .
والطيف ذاك اللقاء الخيالي الخاطف الذي يجمع الحبيبين بعد أن تهدأ النفوس وتخلد الأجساد إلى النوم ، وقد لهج الشعراء قديماً بالطيف أو الخيال ، وأتبعهم الشعراء على مر العصور ، وأقترن ذكر الطيف بالمرأة المعشوقة [1] ، " والطيف أشبه بالتعويض ، كالعاشق يعوض نفسه بطيف الحبيب ويتخيل قربها ، وقلما يتعذر هذا القرب على سبيل الحقيقة " [2] .

وأبو نواس أحد هؤلاء الشعراء الذين طرقوا باب الطيف فذكره بشعره وكانت صوره الشعرية معبرة تحمل شوقه وتجسد حنينه إلى من يحب ، وتعكس أبعاداً نفسية أخرى ، إذ يمتزج في تلك الصورة الزمان والمكان ، وينتج عن ذلك لقاء لا تحده المسافات ويختصر الزمن ، بل يضع له حدوداً ومكاناً ، يكون بمثابة خلق واقع في الحقيقة التي تبعد فيها تلك الأمنية فيقوم الطيف بإيجادها لتعويض المحب لحظات للقاء يجري فيها العتاب والمحادثة وبث الشوق تمثل ذلك بقول أبي نواس[3]

إذا التقى في النوم طيفانا ... عاد لنا الوصل كما كانا
يا قرة العينين ، ما بالنا ... نشقى ويلتذ خيالانا
لو شئت - إذ احسنت لي في الكرى ... أتممت إحسانك يقضاناً
يا عاشقين أصطلحا في الكرى ... وأصبحا غضبى وغضبانا
كذلك الأحلام غدارة ... وربما تصدق أحيانا

---

[1] الطيف والخيال في الشعر العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، حسن مصطفى البنا، رسالة ماجستير : 33 ؛ والزمان والمكان في شعر العصر العباسي الأول ، علي صكبان ، أطروحة دكتوراه : 183 .

[2] المكان في شعر الشريف الرضي : 115 .

[3] الديوان : 244 .

" ولم يكن طيف الخيال إلا صورة تخيلها الشاعر ليرسم من خلالها صورة محبوبته التي صارت في دار غربة وبعاد ولم يكن قد بقي منها إلا الطيف الذي يتجدد حيناً بعد آخر " [1] .

وصف الطيف :

برع أبو نواس في وصف ملامح المرأة الجمالية والتشبيب بها ووصف لقائه معها والتأسي على بعدها ، ونقلت اشعاره آلامه وشدة الوجد من ألم الفراق الذي سببه له ترك حبيبته (جنان) [2] والتي كان خيالها يحتل المكان الواسع في ذاته كما جاء بقوله [3] :

أعتل بالماء فادعو به ... لعلها تنزل بالماء
ويعلم الله على عرشه ... ما طبّ الماء ولا دائي
إلا لما ألقى بانسانة ... مختالة في نعل حناء
ولدت في حبك يامنيتي ... بطالع ليس بمعطاء
هذا وريحي منكم صرصرٌ ... تجف دوني كل خضراء

فالشاعر يخاطب طيف حبيبته الذي سكن ذاته حتى تصور أن تزوره ولو نزلت بالماء ، فجعل الماء مكاناً ، أنها نظرة إبداعية ابتدعها الشاعر .

---

[1] المكان في شعر صدر الاسلام : 70 .

[2] أحب أبو نواس جارية تدعى (جنان) كانت لآل عبد الوهاب الثقفي ، وكتب فيها أرق أشعاره ، وهو فيما كتبه في هذه بالجارية لم يكتب على مثال سبق ، ولم يحاول أن يقلد أحداً، وقد تم له من صدق العاطفة وحرارة الشعور أن يبتكر من المعاني ما لم يسبقه فيها سابق ، ولم يلحقه لاحق ، وكان يمتاح معانيه من الواقع المحسوس ؛ فاكتسبت معانيه بذلك رونقاً لا يبلى أبداً فهو يصور عاطفة العاشق ، ووسوسة المحب ، وحذره من ذيوع أمره ، ويصف موقع محبوبه في قلبه وروعة مجاله في نفسه ، ويذكر محاسن حبيبته وحنينه إليها وشغفه بها ، ويأسه من الظفر بها .

[3] ديوانه : 235 .

وطيف الخيال الذي يتراءى للشاعر هو حيز زماني – مكاني يلتقي بحلم من أحلام اليقظة حيث يسبح في آفاق ينسى نفسه خلالها ويغوص في مجالات غير واقعية يستخدم في أثناء القيام بهذه العناصر اللاشعورية المكبوتة لديه ومخاطبتها بشعره كما في قوله [1] :

كان حلماً ما كنت آمل فيكم وقليلا ما تصدق الأحلام
بلغوا ما أقول من لا اسمي ربّ قول تشفى به الأسقام
قد أتاني عنك انصرافك عني وهنات كأنهن السهام
وتبدلتم سوانا خليلا وسواكم على الفؤاد حرام

فالمرأة في لوحات الطيف ما هي إلا مشاعر وأحاسيس تجسد في صورة تعبيرية تعبر عن لحظة نفسية تعكس الحرمان الذي يعانيه الشاعر ، وهذه تشكل لحظة العجز والحرمان من المتعة السعيدة في واقعه لذا يلجأ إلى الخيال ويطلق العنان لأفكاره لرسم الصور التي تشبع تشوقه وتكون العوض المطلوب لذات حرمت ممن تحب من واقعها ، فالشاعر يخاطب طيف المرأة ويستعيد ذكرياته بلحظة معادلة للحظات اللقاء الحقيقي ، فيستعين بما في فكره من صفات يجسدها في شعره ، كما في قول أبي نواس [2] :

دست له طيفها كيما تصالحه في النوم حين تأبي الصلح يقضانا
فلم يجد عند طيفي طيفها فرحاً ولا رثى لتشكيه ولا لانا
حسبت أن خيالي لا يكون لما أكون من أجله غضبان ، غضبانا
جنان لا تسأليني الصلح مسرعة فلم يكن هيناً منك الذي كانا

والشاعر في حلمه يوجد مكاناً للقاء الحبيب ويحدد زماناً كيفما شاء ، ويصف لقاء مع من يحب فيمنحه القدرة على الوجود في ساحة أفكاره ، وتمتد الأفكار به لتعيد له ذكرى أيامه حتى لو بعدت بينهم المسافات لولا أن تكون الذكرى خالية من المكان

---

[1] ديوانه : 253 .

[2] الديوان : 283 .

الواقعي فهي تجسيد للخيال ينسجه تصوره تلك الصورة لمن يحب تغذيها ما مر به من حقيقة عفا عليها الزمن كما في قول أبي نواس [1]:

سأشكر للذكرى صنيعتها عندي وتمثيلها لي من أحب على البعد
يقربه التذكار حتى كأنني أعاينه في كل أحواله عندي
فقد كادت الذكرى تكون كأنها مشاهدة لولا التوحش للفقد
تمثل لي أن لا أقول على النوى فياليت شعري ما الذي أحدثت بعدي ؟!
لأني وإن كانت من الناس واثق لنفسي منها بالدوام على العهد

والشاعر يقرب المسافات بالذكرى إذا ما احتدم الشوق في ذاته ، ويكون مكان من يحب القلب " فالطيف مجسد يمكنه مخاطبته والتحدث إليه والرد عليه .. إلى آخر ذلك على نحو ما ذكر كثير من الشعراء " [2] ، والشاعر يتذكر المحبوبة زائرة في خياله وأحلامه، فهو حيث يخاطب الخيال ، يتمثل له أنه يخاطب المرأة، إذن هذا التصور الخيالي عند الشاعر أنه يرى المرأة والطيف معاً في آن واحد .

والشاعر يستمد وصف الجمال بشتى أنواعه فترى المرأة في صور تعكس جمالها الذي يراه في صوره الطبيعية التي يعيش فيها فيستعير صفات مكوناتها بعيداً عن النظرة الحسية الصرفة ، فإن المكان - البيئة الذي أحده بقوة التصوير والتجسيد في عقد الارتباطات والتشبيهات بين الظواهر المكانية وبين المرأة المعشوقة ، مزج صورة الشمس بالمرأة التي أحبها كما في قوله [3] :

لما رأيت محل الشمس في الأفق وضوءها شامل للدور والطرق
صيرتها للتي أحببتها مثلا إذ لا ينالهما شيء من الحدق
فلو رآها أنو شروان صورها فيما يحوك من الديباج والسّرق
وقال لابنيه ضنا عند بيعكما بها قليلاً لتزدادا من الورق

---

[1] الديوان : 234 ؛ وينظر : المكان في شعر أبي العلاء المعري : 111 .
[2] الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره : 277 .
[3] الديوان : 269 ، السرق : الحرير عامة .

ونلاحظ أثر المكان الحسي لدى الشاعر باثراء تعبيره المتسامي الذي يريد به إبراز جمال الحبيبة فاستعار من المكان - الطبيعة - شدة وهج الشمس - ليكون التعبير شاملاً لما في ذاته من عشق ولتجسيد الجانب الحسي في جمال المرأة .
فالشاعر هنا ربط بين المرأة المعشوقة والشمس وقد وضع الصلة الوصفية ترابطية لصلة بينهما .

وصف المكان :

" إن الوصف يترك لنا العنان لتخيل المكان وتفاصيله وما يحمله من دلالات فنية وفكرية " [1] ، فهو يدخل في تفاصيل الصورة الشعرية وأساليبها ، ويعتمد التشبيه والاستعارة والكناية والرمز .

و" لم يحفل أبو نواس بالوصف من حيث كونه فناً من فنون الشعر ذي شخصية مستقلة ، على الرغم من مقدرة فريدة تمتع بها من هذا الفن ، غير أن فنوناً بذاتها قد امتصت طاقة الوصف عنده أو بالأحرى استأثرت بها ، وحتى يكون الأمر أكثر وضوحاً فإننا نقرر أن موضوعي الخمر والطرديات ، قد استوليا كل الاستيلاء على ملكة الوصف النواسية ، وقد تضيف إليها بعض عناصر المدائح من وصف للإبل والطريق إلى الممدوح " [2] .

ولكن وصف أبي نواس للخمر تميز عن غيره من الشعراء في العربية ، وشمل وصف أكثر الأغراض منها المديح والغزل والمعاتبات ، ويمكن القول إن أبا نواس قد عده القدامى من النقاد والمحدثين بأنه برع بالوصف في أغلب الأغراض التي جاء فيها شعره ، حيث قال واصفاً سفينه صنحت للأمين على صورة أسد ، وقد جعل الأسد يسبح فوق صفحة الماء لايقاد بلجام ولا يستحث بسوط ، ولا يدفع بغمزه قدم من ركاب [3] :

سخر الله للأمين مطايا لم تسخر لصاحب المحراب

---

[1] المكان في شعر الشريف الرضي : 129 .
[2] الشعر والشعراء في العصر العباسي : 308 .
[3] الديوان : 414 .

فـــإذا مـــا ركابـــه ســـرن بـــراً ... ســـار فـــي المـــاء راكبـــاً ليـــث غـــاب
أســـداً باســـطاً ذراعيـــه ، يعـــدو ... أهـــرت الشـــدق ، كـــالح الأنيـــاب
لا يعانيـــه باللجـــام ، ولا الســـو ... ط ، ولا غمـــز رجلـــه فـــي الركـــاب
عجـــب النـــاس إذ رأوه علـــى صـــو ... رة ليـــث يمـــر مـــر الســـحاب
ذات زور ، ومنســـر وجناجيـــ ... ـن ، تشـــق العبـــاب بعـــد العبـــاب
تسبق الطير في السماء إذا ما اسـ ... ـتعجلوهـــا بجيئـــة وذهـــاب
بـــارك الله للأمـــين ، وأبقـــا ... هـ ، وأبقـــى لـــه رداء الشـــباب
ملـــك تقصـــر المـــدائح عنـــه ... هاشـــمي موفـــق للصـــواب

لقد كان أبو نواس معتدلاً في وصف ممدوحه فيفيض عليه بصفات يوازن بها بين الموصوف والطبيعة الخلابة المؤثرة كلما يصنع زخرفاً جذاباً مؤثراً بالمتلقي كما في قوله [1] :

قـد ركـب الـدلفين بـدر الـوجى ... مقتحمـاً للمـاء قـد لججـا
فأشـرقت دجلـة مـن نـوره ... وأسـفر الشـطان، واسـتبهجا
لـم تـر عينـي مثلـه مركبـا ... أحسـن إن سـار وإن عرجـا
إذا اسـتحثته مجاذيفـه ... أعنـق فـوق المـاء أو هملجـا
خـص بهـا الله الأمـين الـذي ... أضـحى بتـاج الملـك قـد توجـا

وأبو نواس تأثر كثيراً بالطبيعة فهو يطيل في وصفها فقد تعمق بالوصف خاصة وصف ديارات ومجالس الخمر ونواديها والقصور ولقاءه مع أحبته ، إنه يختار الأسلوب الذي يرى أنه يتماشى مع غرضه وموضوعه ، متميز ببراعة الصياغة مع كثير من التفصيل ورسم الصور الحية ، فهو يتطرق إلى أدق الجزئيات للموصوف ومن هذه اللوحة للسفينة وصفها مقبلة مدبره مقتحمة الماء وقد لججا ، وهو يصف المجاذيف وجسم السفينة كما أنه يمنحها القدرة على بث الفرح والابتهاج للشطين حتى أنه وصف مجاديفها والحراقة التي وصفها الشاعر هذه المرة هيئتها هيئة الدلفين ولم يقتصر الكلام على وصفها بل أفرد جانباً كبيراً لمدح المأمون والثناء عليه .

---

[1] الديوان : 411 .

ولا نغالي إذا قلنا أن طرديات أبي نواس كانت خير ساحة للوصف فهو يصف رحلاته للصيد والحيوانات وأساليب القنص باحسن الأوصاف بحيث عدت طردياته من أرق وأدق ما قيل بهذا الغرض .

ومما يمتاز به أنه لا يقصد وصفه للموصوف بل تتحرك الصورة لديه لجوانب عدة مشخصة ومحددة كل مساحات المكان وما يحيط به ، فهو يصف في إحدى طردياته صقراً فيذكر أنه غدا لرحلة صيده ولا زال الليل في جانب السواد وقد تضرجت سماؤه بين الظلمة والأصباح ومعه صقر من إحدى بلاد فارس دقيق شديد الغضب يتميز بألوان عدة ، فهو يصفه بالشجاعة ويغدق عليه صفات المختال المتكبر ، والذي ينقض على صيده انقضاضاً خاطفاً فيجندله [1] .

" ويعمد أبو نواس في أرجوزته هذه إلى الأغراب من الألفاظ والافتعال الشديد في رصها ورصفها ، وكأنه مجبور على اداء عمل مطلوب منه أداؤه فأجهد نفسه وأتعب سجيته حين قال [2] :

قد اغتدى والليل ذو غياطل ... هابي الدجى ، ضرج الخصائل
بتوجي مرهف المعاول ... حامي الحميا ، مخلط ، مزايل
يوفي انتصاب الملك الحلاحل ... فوق شمال القانص المخاتل
أفحج ، مخشي الشذى ، قصائل ... حتى إذا أطلق غير آثل
إلا بما اغتام من المعاقل ... صل المغالي ، هدف المخاصل
والسرب بين خارق ووائل ... كأنه حين سما كالخائل

---

[1] ينظر : الشعر والشعراء في العصر العباسي : 311 .

[2] الديوان : 652 ، غياطل : جمع غيطلة ، وهي الظلمة ، هابي : مغبر، الخصائل : جمع خصيلة ، وهي الفرق بين الظلمة والضوء ؛ توجى : نسبة إلى توج إحدى بلاد فارس، مرهف : دقيق ، الحميا : شدة الغضب ، المخلط المزايل : المختلف الألوان ؛ الحلاحل: السيد الشجاع : المختال الخداع ، أفحج : متكبر الشذى : الأذى ، فصائل بالضم : قاطع ، أثل : راجع ، أعنام : أخذ ، المعاقل : الملاجئ والحصون ، صل : دق ، المغالي : رافع يده بالسهام إلى أقصى غابة ، المخاصل : المناضل ، السرب : القطيع من الطير أو الظباء ، الخارق : الطائر : النافر ، جندله صخره ، الدنف : الذي لازم المرض ، مناقل: يسير سيراً ما بين العدو والخبب، مغري مشقوق، القرا: الظهر، خرادل : مقطوع الاعضاء .

منقلب الحملاق غير غافل منكفتاً لسربهن الجافل
جندله تهوى إلى جنادل يدوين بين دنف مناقل
وبين مغري القرا خرادل كأنه في جلده الرعابل

لابس فرو نائس الذلائل

وقد تميز أبو نواس في وصف الجمال ، فهو أصدق ما قاله شاعر في الإشادة بمفاتن الحسن والجمال المطبوع ، ذلك الجمال المتجدد أمام العين ، والذي يظل يطالعك بمحاسنه التي لا تنفد ، حتى كان بعضها ينتهي وبعضها يتولد ، ثم هو كلما عاودت النظر إليه كان بالعود أحمد ، حيث يقول [1] :

وذات خدٍ مورد فتانه المتجرد
تامل الناس فيها محاسنا ليس تنفد
الحسن من كل جزء منها معاد مردد
فبعضه في انتهاء بعضه يتولد
وكلما عدت فيه يكون بالعود أحمد
فأشرب على وجه بدر ريات غير معربد

ومن كل ما تقدم ندرك أن للطبيعة ميداناً عريضاً في فن الوصف الشعري خاصة ، فقد كانت منبعاً غنياً لاستخراج الصور والتشبيهات ، وأفقاً رحباً لتخليق الخيال ، ومصدراً مهماً للاستلهام للاستيحاء ، فاستحوذت بفضل ذلك على حواس الشاعر وذوقه وتسربت ألفاظها وتعابيرها وألوانها إلى كل الفنون الشعرية الأخرى من غزل وخمر ومدح ورثاء بحيث لا تجد غرضاً شعرياً إلا وفيه تعبير أو تشبيه أو صورة مستقاة من معين الطبيعة أو مستخلصة من معدنها أو متأثرة بمظاهرها[2]، تجسد ذلك في قوله [3] :

وجه جنان سراة بستان مجتمع فيه كل ألوان

---

[1] الديوان : 232 .

[2] ينظر : الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس : 124 .

[3] الديوان : 234.

مبذولـــــة للعيـــــون زهرتـــــه ممنوعـــة مـــن أنامـــل الجـــاني
ولســـت أحضـــى بـــه ســـوى نظـــر يشـــركني فيـــه كـــل انســـان

فقد وظف الشاعر المكان (البستان) في شعره حيث أن أماكن الطبيعة هي أماكنه المحببة ، فحيبن يشبه وجه الحبيبة بالبستان أي المكان في الطبيعة يحتل المجال الأرحب لديه .

وأبو نواس أكثر الوصف وبرع فيه ، ومن صوره في هذا المجال قوله [1]:

نـــزوج الخمـــر مـــن المـــاء فـــي طاســـات تبـــر ، خمرهـــا يفهـــق
منطقـــــات بتصـــــاوير ، ولا تســـمع للـــداعي ، ولا تنطـــق

يريد تزويج الخمر من الماء مزجها به ثم يعرج على وصف الكاسات بأنها ناطقة بالرسوم ، فالمكان مكان للخمرة .

التشبيه :

وقد اهتم النقد القديم بالتشبيه ودوره في تشكيل الصورة ويرى أبو هلال العسكري أن التشبيه هو : " أن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب " [2] ، وعرفه ابن رشيق : " صفه الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته " [3] .

وعليه قالتشبيه وسيلة من الوسائل البلاغية في أداء المعنى في الشعر ، والتشبيه ، " جار في كلام العرب حتى لو قال قائل ، هو أكثر كلامهم لم يبعد " ، فهو قطب مهم في الصورة الشعرية والتي تدور عليه المعاني ، وبه يتجانس الخيال ويقرب من الواقع [4] ، وقد أهتم النقد القديم بالتشبيه ودوره في تشكيل الصورة .

وتلعب البيئة الدور الكبير في هذا المجال ولو عدنا إلى الشعر العربي القديم لوجدنا التشبيه أعطى قوى وتماثلاً للصورة الشعرية ، فهو يجسد بصيغ صورية

---

[1] الديوان : 157 .
[2] الصناعتين : 245 .
[3] العمدة 286/1 .
[4] ينظر : مظاهر الحضارة في شعر أبي نواس : 55 .

خلجات الشاعر وأحاسيسه النفسية ، وتجسيد خواطره ، وأفكاره ، ولأداة التشبيه حضور مميز في الصورة الشعرية ، فضلاً عن ما يتطلبه الموقف وما يدل عليه السياق ويستدعيه الحس الشعوري المنبعث خلال الموقف التعبيري [1] .

كما أن للمكان حضوراً وفاعلية في العمل الأدبي الذي تترجمه اللغة والخيال وتظهر آثار البيئة المتحضرة في " أما الشاعر العباسي المتحضر فقد أتجه في تشبيهاته نحو بيئته المتمدنة وهذا ما نجده في تشبيهات أبي نواس فقد استمد الكثير منها من تلك البيئة المتحضرة التي عاش فيها فشبه بما فيها من مظاهر مادية وثقافية ، فمن المظاهر المادية التي شبه بها الأزهار والورود ، والحلي ، والياقوت، واللؤلؤ ، والمرجان والعقيق " [2] ، فيقول [3] :

يـــا وردة مـــن بهـــار ... يـــا زهـــرة الزعفـــران
يـــا نرجســـاً ، وخزامـــاً ... فـــي زمـــرة الريحـــان
يـــا خـــز مـــا يثنـــى ... فـــي ســـاحة البســـتان
يـــا عســـجداً فـــي لجـــين ... فـــي نشـــوة الصـــمدان
يـــا طلعـــة الشـــمس قبـــل الـــ ... زوال والنقصـــان
يـــا درة فـــي نظـــام الـــ ... يـــاقوت والمرجـــان
يـــا لؤلـــؤاً يـــتلالا ... فـــي حمـــرة العقيـــان
لا تتركنـــي معنـــى ... بطرفـــك الفتـــان

فالطبيعة تأخذ الدور الأبعد في شعره ، وقد أكثر منها ، لأن الشاعر كان يفضل الأماكن الجميلة والتي تزينها الطبيعة بالمناظر الخلابة المؤثرة .

وتأثر أبو نواس بما حوله من آثار حضارية تمثل حياة المجتمع في عهد شاع فيه الترف والبذخ فتفنن في صنع أدوات الشراب والملابس والزينة حيث قال[4]:

---

[1] ينظر : المكان في شعر الشريف الرضي : 132 .
[2] مظاهر الحضارة في شعر ابي نواس : 56 .
[3] الديوان : 715 .
[4] الديوان : 30 .

فـــي كـــؤوس كـــأنهن نجـــوم جاريـــات ، بروجهـــا أيـــدينا

أعطى للكؤوس صفة النجوم فجعلها مكاناً .

وقوله [1] :

فتمشـــت فـــي مفاصـــلهم كتمشـــي البـــرء فـــي الســـقم

فقد أعطى حركة غير اعتيادية للخمرة حين منحها القدرة على السير في المفاصل لتمنح الشفاء صورة تمثلت فيها براعة الرسم ، وقوله [2] :

ريـــاض بالشـــقائق مونقـــات تكنـــف نبتهـــا نـــور عمـــيم

كـــأن بهـــا الأقـــاحي حـــين تضـــحى عليهـــا الشـــمس طالعـــة نجـــوم

وابو نواس ابن الحاضرة تعايش مع الطبيعة بجمالها وحسن مناظرها وتأثيرها في النفوس كالازهار المنتشرة في البساتين توحي للشاعر إمكانية التخيل المطلق لرسم الصور بأن يمتد به الخيال لمزج المناظر الكونية بمناظر الطبيعة ، شبه الحوادث بالرياح ، كناية عن كثرتها [3] .

ونلاحظ في صور أبي نواس أن المكان يملك فاعلية وتأثير في العمل الأدبي الذي تترجمه اللغة والخيال ، حيث ظهر ذلك جلياً في شعره .

إن الحـــــــوادث كالريـــــــا ح عليـــك دائمـــة الهبـــوب

ومن الملاحظ ان أبا نواس لا يترك للشعر البديهية بل يقصد به غاية يرتأيها في ذاته لذا نلاحظ الصور الشعرية تطفح بالغرابة وبالتأثير الغريب لأنها تتبنى الغرض ويكثر من التشبيهات لتحكم تميز الصورة ولتكون في الوقت نفسه صورة جديدة في المغزى والمعنى ، كقوله [4] :

ايهـــا المنتـــاب مـــن عفـــره لســـت مـــن ليلـــي ، ولا ســـمره

لا أذود الطيـــر عـــن شـــجر قـــد بلـــوت المـــر مـــن ثمـــره

---

[1] الديوان : 41 .

[2] الديوان : 187 .

[3] الديوان 616 .

[4] الديوان 427 .

فاتصـــــل إن كنـــــت متصـــــلاً بقـــوى مـــن أنـــت مـــن وطـــره
خفـــت مـــأثور الحـــديث غـــدا وغـــــد أدنـــــى لمنتظـــــره
خـــاب مـــن أســـرى إلـــى بلـــدٍ غيـــر معلـــوم مـــدى ســـفره

" إنـه يسـتفتح قصـيدته بشـكوى متأتيـة مـن حـب غيـر آمـن مـع محبوبـه ومـن الطريف أن أبا نواس يطرز أبيات النسيب هذه ببعض المعاني الحكيمة التي صارت فيما بعد تجرى مجرى الأمثال وذلك في بيته الثاني " [1] :

لا أذود الطيـــــر عـــــن شـــــجر قـــد بلـــوت المـــر مـــن ثمـــره

ويصف أبو نواس " رحلته إلى ممدوحه من خلال طرق موحشة لا ترى العين منها غير قطعان بقر الوحش ، عبرها على متن بعير أبدع واغرب في وصفه وتفصل أجزاء جسمه تفصيل شعراء البداوة لا شعراء الحضارة الذين إن حفظوا ألفاظ البادية ربما عجزوا عن استعمالها استعمالاً صحيحاً ، ويعمل الشاعر حنكته في خلق تشبيه محكم طرفاه ، زبد فم البعير والقطن المندوف تذروهما الرياح فيقول في هذا القسم من قصيدته [2] :

ذا ، ومغبـــــــر مخارمـــــــه * تحســـر الأبصـــار عـــن قطـــره
لا تـــرى عـــين البصـــير بـــه مـــا خـــلا الاجـــال مـــن بقـــره
خـــاض بـــي لجيـــه ذو جـــرزٍ يفعـــم الفضـــلين مـــن ضـــفره
يكتســـــي عشـــــنونه زبـــــداً فنصـــــيلاه إلـــــى نحـــــره
ثـــم يعـــتم الحجـــاج بـــه كاعتمـــام الغـــوف فـــي عشـــره
ثـــم تـــذروه الريـــاح كمـــا طـــار قطـــن النـــدف عـــن وتـــره

---

[1] الشعر والشعراء في العصر العباسي : 290 .
وينظر : النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام : 235 ؛ وينظر : منهج النويري في كتابه : 260 .

[2] الديوان : 429 .

*المخارم : الطرق الجبلية ، تحسر الأبصار : تكل وتنقطع من طول المدى ، القطر : الناحية وحركة الشعر . الأجال : جمع مفرده الأجل وهو القطيع من بقر الوحش ، اللجية : اللج جانب الوادي ، ذو جرز : الجرز الصدر من الإنسان ووسطه والمراد به الدابة التي ركبها.

كـــــل حاجـــــاتي تناولهـــــا وهـــو لـــم تـــنقص قـــوى أشـــره

ومن سمات التشبيه في صور أبي نواس الشعرية ما اتصفت فيه من الغرابة والحركة خارج التصور الواقعي ونستمع إليه حين يقول [1] :

ثـــم شـــجت فاستضـــحكت عـــن لآل لـــو تجمعـــن فـــي يـــد لاقتنينـــا
فـــي كـــؤوس كـــأنهن نجـــوم جاريـــات ، بروجهـــا أيـــدينا
طالعـــات مـــع الســـقاة علينـــا فـــإذا مـــا غـــربن يغـــربن فينـــا

فحركة الكؤوس بيد السقاة كما تتحرك النجوم في مدارها ، فأبو نواس يضع يده في هذين البيتين على الصورة النادرة والمعنى الغريب ، ويأتي بتشبيه من إطار الصورة العامة التي يرسمها لدورة الكؤوس ودورة النجوم منطلقاً إلى عالم رحب يستقى منه أوجه الشبه [2] ، فقد شبه الكؤوس بالنجوم ولشدة الضياء الذي تبعثه الخمرة ، فهي تطلع من أيدي السقاه كما تطلع النجوم وتتحرك بأيديهم كتحرك النجوم ، وقد تجاوز أبو نواس عالم الحس مستخرجاً دقائق معانيه بعد أن بعث فيها الحياة حين ألبسها أردية جديدة انتزعها من خياله الخصب وخرج بهذا الإبداع لمعاني القدماء في الخمرة .

تماثلت حركة النجوم حركة الأقداح لأنه يرى أن الفرح يشيع الحركة بالمكان ، فالخيال حركة يبعثها الإحساس ، وما أعطى للشمس والقمر قدرة التفاعل مع المدح ويعلوها الزهو حين تشبه بالأمير .

ومرد هذه القدرة إلى فن التشبيه والذي فيه الدقة واللطافة ، ولما يكتسب به اللفظ من الرونق والرشاقة ، لقدرتها على تحريك الشمس والقمر حركة الإنسان حين ينتابه التعجب .

---

[1] الديوان : 30 .

[2] ينظر : أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 212 ؛ والفن ومذاهبه في الشعر العربي : 161 ، وأبو نواس بين التخطي والالتزام : 536 .

ونلمس في صور أبي نواس الشعرية حضوراً واسعاً للشمس والكواكب فقد أكثر التشبيه وأجاد ، كما في قوله [1] :

تتيـــه الشـــمس والقمـــر المنيـــر إذا قلنـــــا كأنكمـــــا الأميـــــر
فـــإن يـــك اشـــبها منـــه قلـــيلا فقـــد أخطاهمـــا شـــبه كثيـــر
لأن الشـــمس تغـــرب حـــين تمســـي وأن البـــدر ينقصـــه المســـير
ونـــور محمـــد أبـــداً تمـــامٌ علـــى وضـــع الطريقـــة لا يحـــور

أما القمر فهو من الكواكب التي ألهم الشعراء بصوره المتعددة وأشكاله المتغيرة التي يستسلم معها تفكير الشاعر إلى تأمله وهو يقف باهتاً في تفسير ما يشاهد ، لذا تنوعت أوصاف هذا الكوكب البديع ، وتابع الشعراء وصفه وتغنوا به منذ ولادته حتى يصير بدراً منيراً ، حيث ورد في شعر أبي نواس تشبيه حبيبته بالقمر لجمالها بقوله [2] :

يـــا قمـــراً فـــي الســـماء مســـكته ونـــرجس الأرض فـــي البســـاتين

" أما النجوم تلك الكواكب التي تتوسط قلب السماء مع غروب الشمس لتصير مصابيح تتلألأ عن مفرق الليل البهيم ، فكان إعجاب الشعراء بها كبيراً ، فراحوا يتأملونها في السماء ، ويرصدونها في أوقات طلوعها وأفولها ، ويتفنون بها حسب مسمياتهم التي اطلقها عليها قدامى العرب الذين وصلت معرفتهم بها إلى درجات رفيعة من العمق والدراية وذلك لأنها من العوامل التي ارتبطت بحياتهم"[3] .

" وأكثر ما تغنى الشعراء عند وصفهم للنجوم بالثريا التي صورها في تألقها وروعتها بما ملكوا من قدرة في فن الوصف ، فجاءت أوصافهم لها مستحسنة وطريفة .

---

[1] الديوان : 422 .

[2] الديوان : 716 .

[3] الطبيعة في الشعر الجاهلي ، د. نوري القيسي : 66 .

وليس غريباً أن يكون للطبيعة المكان الأمثل والحضور الدائم في شعر أبي نواس فأكثر التشبيه والوصف وتعمق في رسم الصور الإيحائية التي تصل إلى المتلقي باستخدامه الألفاظ المتجانسة والمطابقة في حمل المعنى [1] .

وكأن معاقد الأوضاح منها بجيد أغن نوم في كناس

والأوضاح ما تزينت به المرأة من حلى الفضة أخذ من الوضح ، وهو البياض، فهو يقول كأن القلادة على عنقه علقت على عنق غزال أغن .

ويرى النقاد أن أبا نواس لم يتقيد بالقديم بأسلوب التشبيه وأستوحى تجربته الخاصة من الحياة الجديدة التي يعيشها في القرن الثاني ، الذي يمثل بعداً حضارياً نلاحظ ذلك في وصفه لمغنية [2] :

ما براها الله إلا فتنة حين براها
تنثر الدر إذا غنـ ت علينا شفتاها
وأرى للعود زهواً حين تحويه يداها
ربما أغضيت عنها بصري خوّف سناها
هي همّي ومنائي ليتني كنت مناها

أبو نواس سار في تحديد الصورة الشعرية حين منحها أبعاداً غير الأبعاد المنظورة والمرئية ، فقد ابتعد بها عما هو موجود في الحقيقة إلى عالم من الخيال الخصب وهو من الأهمية بمكان بحيث إنه يشكل نقطة ضوء ساطعة في تاريخ الانتقال من الاتباع إلى الابداع في الشعر العربي .

وهذا ما يجعلنا القول أن الصورة اختلفت في القرن الثاني الهجري عن الموروث الشعر وبعدها عن الخشونة التي كان يفرضها واقع الصحراء ، مستمدة عناصرها من واقع الحياة الحديثة في القرن الثاني الهجري .

ونستطيع " أن نعرف موقف القدماء من شعر أبي نواس في مجال الصورة، فقد حفل النواسي بكثير من الصور ، وقد التفت النقاد إلى كثير من هذه الصور ، وكان

---

[1] الديوان : 522 .

[2] الديوان : 268 .

أغلبها مثار إعجابهم ، وكان أكثر ما لفت نظرهم صور التشبيه ، وقد ذهب بعضهم في وصفه ببراعة التشبيه إلى القول : " ما أعجب أبا نواس إذا قال : كأنك أو فكأنك ، فكأنك ثري ما يقول الأمر الذي جعل المبرد يعده من أحسن المحدثين تشبيهاً " [1] .

إذن المكان الطبيعي يكتسب خصائصه من طبيعة الحياة التي كان يعيشها الشاعر في عصره .

الاستعارة

يرى النقاد العرب القدامى ، " أن الاستعارة تهدف إلى المبالغة ، لأنها تهدم اللغة الإيصالية وتنشأ لغة إيحائية في اللحظة نفسها " [2] ، ويوضحها أبو هلال العسكري في الصناعتين هي " نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض شرح المعنى وفضل الإبانة عنه ، توكيده والمبالغة فيه ، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه ، وتفعل الاستعارة في نفس السامع ما لا تفعل الحقيقة ، ولا بد لكل استعارة ومجاز حقيقة، وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة " [3] ، " والاستعارى أفضل المجاز ، وأول أبواب البديع وليس في حلى الشعر أعجب منها " [4].

" وتتكاتف الاستعارة مع التشبيه ، لتطبع الصورة الفنية في الشعر بطابع خلاق مبتكر ، وإن كانت الاستعارة تعد درجة أعلى في الصنعة ، ومرتبة أدق من النضج والوعي الفني ، فهي علاقة لغوية تقوم على المقارنة شأنها في ذلك شأن التشبيه لكنها تتمايز عنه بأنها تعتمد على الاستبدال أو الانتقال بين الدلالات الثابتة للكلمات المختلفة ، والمعنى لا يقدم فيها بطريقة مباشرة ، بل يقارن أو يستبدل بغيره على أساس من التشابه " [5] .

---

[1] أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 59 .

[2] الزمان والمكان في شعر أبي فراس الحمداني : 135 .

[3] الصناعتين : 295 ؛ والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : 268 .

[4] الصناعتين : 274 .

[5] أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر: 55 ؛ وينظر : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري 495/1 .

ومن الصور الاستعارية في شعر أبي نواس قوله في وصف الديار وساكنيها ، وقد وقف عنده الآمدي قائلاً : " ... وقد اعتذر أبو نواس إلى الربع : بأنه لم يقدر على دفع البلى والدروس عنه وأنه لا يدري ما يقول في ذلك لسعاد ، فجاءنا بآبدة أخرى طريفة عجيبة " [1] قوله [2] :

أربع البلى إن الخشوع لباد عليك وإني لم أخنك ودادي
فمعذرة مني إليك بأن ترى رهينة أرواح وصوب غوادي
ولا أدرأ الضراء عنك بحيلة فما أنا منها قائل لسعاد

فأبو نواس حين يصف الديار يصفها كما هي في الواقع ومن قوله [3] :

يظل الدهر يطلبني وينحوني على عجل

فالشاعر صور الدهر صاحب سلطة عليه فهو يشكو وطأه هذه السلطة . ويصور علاقة الإنسان بالمكان ويحدد وجوده مع الزمن الذي يعيشه ، وكيف يعيشه ويأتي الزمن بالمفاجئة حين ينذر بالرحيل فيصبح الإنسان ضيفاً على الزمن وما الشيب إلا دليل على رحيل الشباب وهي علاقة تفرد الزمن بالمكان من خلال رحيل الإنسان حيث نلمس في قول أبي نواس ذلك [4] :

أية نار قدح القادح وأي جد بلغ المازح *
لله در الشيب من واعظ وناصح لو قبل الناصح

وما أروع قوله [5] :

يا دار ما فعلت بك الأيام ضامتك والأيام ليس تضام
عرم الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين وللزمان عرام

---

[1] الصناعتين : 290 .
[2] الديوان : 471 .
[3] الديوان : 614 .
*يقول الجاحظ : لا أعرف من كلام الشعراء كلاماً هو أرفع ولا أحسن من قول أبي نواس : أية نار قدح القادح ، ينظر : أخبار أبي نواس : 228 .
[4] ديوان شرح الصولي : 618 .
[5] الديوان : 407 .

فهو يناجي الدار ويتألم مما حل بها ويعتب على الزمن وسطوته عليها ، لما لحق الدار من الظيم ولكنه يستدرك ليس على الدار تسلط الدهر بل على من سكنها، ويقول في رثاء الأمين [1] :

طوى الموت ما بيني وبين محمد ولـيس لمـا تطـوى المنيـة ناشـر

إن الصورة التي يرسمها الشاعر ويشخص الحدث ويظهر العلاقة وبصورة دقيقة حين يشتكي من الدهر لتطاوله على الدار ، وتعسف الموت حين يمتد إلى أحبته فيطوى تلك الأيام بين الشاعر وبين من يحب ، حتى إنه لا يستطيع العودة إلا بالذكرى فهي نوع من القسر والسلطة المؤثرة في نفس الشاعر ، ومن هذا نستشف عمق آلامه ، وقوة رفضه لما تفعله الأيام - متمثلة بالهدم وقطع الصلة . وتكثر في شعر أبي نواس الصور الاستعارية في أغلب أغراضه الشعرية ، فهو يميل إلى نقل المجردات إلى مستوى المحسوسات ، فينقل المكان من صيغته الواقعية المرتبطة بمساحة محدودة من الأرض إلى صيغة جديدة وكيان حسي معنوي متفاعل مع الآخر زاخر بالحركة والحياة ، وبالتالي يصبح المكان دلالة لغرض معين في ذات الشاعر .

الكناية :

جاءت الكناية لتضفي صيغة جديدة على خيال أبي نواس ، وإبداعه الشعري، والكناية وسيلة من وسائل تشكيل الصورة الشعرية ، ولها قوة وتأثير وإبانة عن النفس وهي أبلغ من الإفصاح ، وتعد " من العناصر البارزة التي يتوسل بها الشاعر في تشكيل صورة ، وتقف جنباً إلى جنب مع العناصر الأخرى من تشبيه واستعارة ، وقد تستقل الكناية أحياناً بتشكيلها للصورة دون الامتزاج مع عناصر أخرى " [2] ، ويفسر الجرجاني الكناية بقوله : " إرادة المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وتابع له من الوجود ،

---

[1] الديوان : 581.

[2] أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 56 .

فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه " [1] ، واهتم القدامى من النقاد بالكناية في الشعر العربي وعليه عدّت أبلغ من التصريح وألأجمل من الإفصاح ، لذا يقول أحد النقاد المحدثين : " كانت الكناية هي الأسلوب الذي ييسر للمرء أن يقول كل شيء ، وأن يعبر عن كل ما يجول بخاطره ، ومنها في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح أصل من أصول الفصاحة ، وشرط من شروط البلاغة ، وهي تساعد في تصوير المعنى أحسن تصوير [2] .

ولدى تقصي الأماكن المفترضة في شعر أبي نواس وجدناها بكثافة عالية في طيف الخيال والمكان الطبيعي ، فهو يعيش هذه الأماكن عن طريق الخيال الشعري فيسقط مقاصده وأغراضه وأفكاره ومواقفه عليها ، مثل قول أبي نواس[3]:

ملك أغر إذا شربت بوجهه لم يروك التبجيل والأعظام
فالبهو مشتمل بنور خليفة لبس الشباب بعدله الإسلام

وفي قوله إذا (شربت بوجهه) كناية عن قوة التأثير وسعة السلطة ، مما يجعل أي ولاء وتعظيم غير قادر على إيفاء حق الملك ، وأن مدة حكمه المميزة بالعدل أعادت للناس عدالة الإسلام ، وممن خرج عن أصولها ، وكان البهو يزهر بأنواره دلالة على أن السيادة امتدت فأضاءت المكان (البهو) ، أنها صورة مكانية تمازج فيها الخيال بالابداع .

---

[1] دلائل الإعجاز : 52 .

[2] الديوان : 195 .

[3] ينظر : المكان في شعر أبي العلاء المعري : 102 .

المبحث
الثاني

الحنين إلى المكان

الحنين إلى المكان :

إن ارتباط الإنسان بالمكان يحرك في ذاته العاطفة ، ويمكن عدها العاطفة "حالة تمتلك الإنسان وتأخذ عليه مشاعره وتستحوذ على مواهبه ، وهي تتفاوت من إنسان لآخر قوة وضعفاً ، بل إنها تتغير عند الفرد نفسه من آن لأن ، تبعاً للظروف والبيئة ، وهي صدى الحوادث والمرئيات التي يعيشها الإنسان ، وهي المقياس لمدى استجابته لذلك " [1] .

يقول القرطاجني في هذا الاتجاه : إن تحريك النفوس إزاء الشعر ، وتأثرها بمعطياته يخضع لأمرين : أولهما الشعر ذاته من حيث قربه أو بعده من التكامل باعتباره فناً متميزاً له جمالياته الخاصة وثانيهما ، استعداد المتلقي ، واستعداد المتلقي لن يتحقق بالتأكيد إلا بشرط أولى ، هو التعاطف مع الشعر ، والذي هو من نتاج الشاعر ، فلا هوان عندئذ في شعره ، إذا كان صادق العاطفة [2] .

" وقد نظر النقد إلى العاطفة بأنها قوة نفسية وجدانية لها مظاهر جسيمة تبدو على الإنسان الغاضب أو الفرح أو الحزين فإذا به مضطرب ثائر أو مبتهج .. ذلك دليل على انفعال يملك النفس " [3] .

ويرى أحمد الشايب : " أن الموسيقى الخالصة أدق الفنون وألصقها بتصوير العاطفة وإثارتها معتمدة في ذلك على الألحان ، ولكن حينما ننتقل إلى الأدب عامة وإلى الشعر خاصة نعتمد على اللغة في التعبير ، واللغة بطبيعتها تدل على معان وحقائق ، وهنا يتحقق الامتزاج بين الفكرة والعاطفة ، ويضطر الشعر – باعتباره أصدق الفنون الأدبية تصويراً للعاطفة – إلى الاحتفاظ بصورته الموسيقية المتجلية في الوزن والقافية ، وتجمع لغته – بناء على ذلك بين أداء العاطفة والحقيقة معاً " [4] .

---

[1] الزمان والمكان في شعر أبي فراس الحمداني : 142 .

[2] منهاج البلغاء : 121– 122 .

[3] أصول النقد الأدبي : 299 .

[4] المصدر نفسه : 300 .

ويكون الحنين إلى المكان من أهم العوامل المؤثرة في حياته ، إذ يترك بصماته على حياته وفكره رفضاً أو قبولاً ، ولا سيما الأدباء الذين تتجلى إحساساتهم بالأشياء من حولهم بشكل محدد وواضح ، فيصبح الأدب مرآة عاكسة لمختلف المشاعر النفسية والفكرية التي يحملها الأديب إزاء الواقع ... لذلك نجد أن المكان من أهم العناصر التي يسقط عليها الإنسان مشاعره [1] .

والعاطفة في شعره واضحة ، ذلك أن النص الشعري يحمل ما يعانيه الإنسان وربما يتكون الانفعال الداخلي للشاعر استجابة لما لواقعه من مواقف تجعل ذاته تتحول إلى إضاءة في كلمات ووزن وإيقاع يؤثر في السامع أو القارئ يغشيها الحنين كما جاء في قوله [2] :

يـــا بنـــي الـــنقص والعبـــر وبنـــي الضـــعف والخـــور
وبنـــي البعـــد فـــي الطبـــا ع علـــى القـــرب فـــي الصـــور
والشـــكول التـــي تبـــا يـــن فـــي الطـــول والقصـــر
فكـــأني بكـــم غـــداً فـــي ثيـــاب مـــن المـــدر
قـــد نقلـــتم مـــن التصـــو ر إلـــى ظلمـــة الحفـــر
حيـــث لا تضـــرب القبـــا ب علـــيكم ، ولا الحجـــر
حيـــث لا تظهـــرون فيـــ ـــها للهـــو ولا ســـمر
رحـــم الله مســـلماً ذكـــر الله فـــازدجر
غفـــر الله ذنـــب مـــن خـــاف فاستشـــعر الحـــذر

ونستطيع أن نلمس ذلك الحنين وعمق الانفعال بالشعور بذلك المكان الدائم لسكنه (القبر) حين يتخيل حالته بانتقاله من القصور إلى الحفر التي يشتد فيها الظلام .

---

[1] ينظر : المكان من شعر الشريف الرضي : 170 .

[2] ينظر : الديوان : 612 .

وكان أبو نواس يستعين بخفة روحه وفكاهة شعره على نوائبه ، ولعل أشد نوائبه قسوة عليه كانت مدة السجن التي قضاها على غير صبر وهو الذي لم تسعه دنيا زمانه ، فكيف به في سجن يقيد حريته ويمنع حركته ، ويحرمه لذاته ومجونه، فأبو نواس يرسل للأمين قصيدة اعتذار يعمد فيها إلى المديح الطريف ويختمها بأبيات تعد من أرق وأخف ما قيل في الاعتذار وذلك قوله [1] :

تحسنت الدنيا بوجه خليفه هو الصبح إلا أنه الدهر مسفر
مضت لي شهور مذ حبست ثلاثة كأني قد أذنبت ما ليس يعفر

وحين يقف على دار أحبته يناجيها مناجاة مليئة باللوعة ، والأسى مما يناقض به نفسه حين هون من شأن الوقوف على الديار ومناجاتها ، لكنه حين يناجيها يفيض من العاطفة الدفينة تجاه الدار ذلك في قوله [2] :

لمن طلل لم اشجه وشجاني وهاج الهوى أو هاجه لأوانِ

ومن رثاء أبي نواس نلمس عاطفة صادقة حين رثى الأمين بهذه الأبيات[3]:

أعزي – يامحمد– عند نفسي معاذ الله والمنن الجسام
فهلا مات قومٌ لم يموتوا ودوفع عنك لي أجل الحمام
كأن الدهر صادف منك ثأراً أو استشفى بهلكك من سقام

فإن الشعور العاطفي والحنين الذي لمسناه من تعامل هذه الأبيات لاحظنا صدق العاطفة وحفاظ على الصداقة التي كانت بين أبي نواس ومن رثاه (الخليفة الأمين)، كما أن أحاسيس الشاعر كانت تحملها الكلمات لتصور عمق مأساته وآلامه ، مع أن الحزن لم يكن مذهب أبي نواس ، لكن هذا لا يمنع عاطفة أبي نواس من البروز وخاصة في الرثاء كما لاحظنا رثاءه للأمين كان يشع بالصدق وعبرات الألم .

---

[1] الديوان : 426 .

[2] الديوان :

[3] الديوان : 581 .

ونلمس من مراثي أبي نواس أسلوباً جزلاً مصقولاً وقد يكثر من الغريب .

ويشير أحد النقاد المحدثين إلى أنه ظهرت في باب الرثاء آفاق معنوية أخرى لرثائه الحيوان الأليف – الكلب – ونستطيع القول إنه يمتلك صدق العاطفة المعبرة التي تغدو قوية في نفس الإنسان تمثل صلة العلاقة والألفة ، واظهرها شعر الطرد بوصفه الصادق المعبر ، وكان الشعراء وحدهم يمتلكون القدرة على إرجاع الكلمات إلى أصولها الفنية " لأنهم يبصرون العلاقات بين الأشياء الخارجية المنفصلة والمشاعر والأفكار الداخلية والباطنية قتراهم يثيرون فينا العاطفة مع ما يعانيه الإنسان من أخيه الإنسان سواء أكان شاعراً أم غير شاعر ، لمجرد أنه خالق كلمات ، وربما يكون هذا الانفعال الداخلي مع الشاعر هو السبب في تتويج العاطفة وبلوغها حد النضج والتألق بمشاعرنا ، لأنها استجابة لمواقف صادقة عاشها الشاعر، ورآها رآى العين ، حتى جعلتنا نتوحد معه " [1] ، ويكون إحساسنا بصدق مشاعره التي ضمتها الكلمات بنجوى ودعاء صادق مثل قدرة الله وطاعة البشر والذي لا طريق له إلا طريق الحق ، فالأرض والسماء والفلك على مجاري المنسلك تلبي لحمد الله ، تمثل قوله صدق العاطفة وحرارة المشاعر، حيث يقو[2] :

إلهنـــا مـــا أعـــدلك ... مليـــك كـــل مـــن ملـــك

لبيك قد لبيت لـك

لبيـــك إن الحمـــد لـــك ... والملـــك ؛ لا شـــريك لـــك

مـــا خـــاب عبـــد ســـألك ... أنـــت لـــه حيـــث ســـلك

لـولاك يا رب هلك

لبيـــك إن الحمـــد لـــك ... والملـــك لا شـــريك لـــك

كـــل نبـــي وملـــك ... وكـــل مـــن أهـــل لـــك

وكـــل عبـــد ســـألك ... ســـبح أو لبـــى فلـــك

لبيـــك إن الحمـــد لـــك ... والملـــك لا شـــريك لـــك

---

[1] الزمان والمكان في شعر أبي فراس الحمداني : 143 .

[2] الديوان : 623 ؛ وينظر : رماد الشعر : 10 .

والليـــــل لمـــــا أن حلـــــك والســـــابحات فـــــي الفلـــــك

على مجاري المنسلك

لبيـــــك إن الحمـــــد لـــــك والملـــــك ؛ لا شـــــريك لـــــك

اعمـــــل وبـــــادر أجلـــــك واخـــــتم بخيـــــر عملـــــك

لبيـــــك إن الحمـــــد لـــــك والملـــــك لا شـــــريك لـــــك !!

لقد جعل المكان طوع تخيله لشدة صدقه بالعلاقة بين النفس والتوبة ، فهو يوقن أن كل شيء يسبح لله ، وأن الأفلاك ذات حركة تسبح وتدعو الإنسان بالنظر إلى صغره وعجزه مقارنة بها فهي تسبح لله .

وما يمثله الشعور العاطفي الذي لمسناه في تعبيره عن صدق مشاعره في كلمات كانت استجابة لما تحمله ذاته من مؤثرات تختلج مع امتداد أمانيه الضائعة والتي حاول أن يرسمها بكلمات صدق عبقت بالعاطفة سواء أكانت تلك عاطفة الشوق والحنين أم عاطفة ولدت من رحم الألم لتشبع الحسرة والأسى من نفس المتلقي ، ما جاء بقوله [1] :

ياطالـــب الـــدنيا ليجمعهـــا جمحـــت بـــك الآمـــال فاقتصـــد

وأراك تركـــب ظهـــر مطعمـــة لـــم تمـــس محتاجـــاً إلـــى أحـــدِ

والقصد أحسن ما عملت به فاســـلك ســـبيل الخيـــر واجتهـــد

واعمـــل لـــدار أنـــت نازلهـــا دار المقامـــــة آخـــــر الأبـــــد

ويبرز حنين الشاعر إلى المكان المفضل الدائم والذي نلمسه في قوله (دار المقامة) .

---

[1] الديوان . ر فاغنر : 160 .

المبحث الثالث

الإيقاع الفني في شعر أبي نواس المكاني

الإيقاع الفني في شعر المكان :

يرى القدامى أن الموسيقى في الشعر تعمل على إثارة الشعور ، وتحريك الوجدان ، وأرجعوها إلى موسيقى اللفظة التي تبعث الطرب والنشوة في النفس إذا جاء صوتها مطابقاً لما فيها من أحاسيس ومشاعر .

لذلك ميز القدماء من علماء العربية الشعر من النثر لما اشتمل عليه من الأوزان والقوافي ، فالموسيقى هي أبرز صفات الشعر ، فقد رأى قبلهم أرسطو في كتاب فن الشعر أن الدافع الأساس للشعر يرجع إلى علتين : أولهما غريزة المحاكاة أو التقليد والثانية غريزة الموسيقى أو الأحساس بالنغم ، والتي تشكلها الأوزان والبحور الشعرية والقوافي [1].

وموسيقى الشعر ليست وقفاً على الوزن والقافية ولم ينظر إلى الموسيقى الشعرية بأنها نتاج عروض فقط يتجانس مع الوزن والقافية ، بل إنها جميع الخصائص النغمية كالتماثل في الحروف والمقاطع وتتابع الكلمات وقياسها ، كما أنها تساعد في اختيار الألفاظ أو التراكيب بعينها ، والعلو والخفوت أو التنوع في سياق النغم إلى غير ذلك ، فهي في ذاتها تشكل الموسيقى المنشودة ، وتحمل في الوقت نفسه أحاسيس الفنان ومشاعره وحسه الموسيقي الذي ينقل الكلام من اللغة العادية إلى لغة موسيقية متميزة تخرج من العالم الحسي إلى العالم الشعري ، حيث يقول أحد الباحثين : " إن الشعر بناء موسيقي باللغة ، فالموسيقى تنبعث عنها المعاني ، لأن الشعر في حد ذاته تنظيم لنسق من أصوات اللغة تنظيماً يحدث نوعاً من الإثارة فالإنسان مفطور بطبعه على إيثار الصوت الموسيقي المنظوم " [2] .

وكثرت الدراسات النقدية في رسم الصورة الواضحة لموسيقى الشعر ، والمؤثرة في تكوين البناء الفني وقد أهتم الأدب الحديث كثيراً في هذا المجال لتحديد مديات

---

[1] ينظر : موسيقى الشعر : 13 .

[2] ينظر : أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر : 182 ، ورد عن فنون الأدب ، د. ب نشارلتن : 60 ؛ وتحليل النص الشعري : 85 – 133 .

الصورة الشعرية وقد عدت الموسيقى إحدى الركائز الأساسية في تكوينها ، يقول أحد الباحثين : " فالحركة المنتظمة للوزن شبيهة بالحركة المنتظمة للإيقاع ، لأنهما يقومان على تناسب حركة الأصوات في تعاقبهما المنتظم للزمان ، وعلى هذا التصور يتمتع الإيقاع الموسيقي بمزيد من الأنضباط والمرونة" [1] .

ومن خلال معرفة الإيقاع يمكننا أن نتعرف على النص الشعري الذي يعكس بكل مكوناته الموسيقية من استخدام الألفاظ والتراكيب والمعاني ، قدرة الشاعر الشعرية المؤثرة في السامع ، وعليه أن ما حدده قدامة بن جعفر (ت337هـ) من أهم مميزات الشعر حين قال : " أنه قول موزون مقفى يدل على معنى " [2] .

التكرار :

عد التكرار " واحد من العناصر التي تتألف منها موسيقى القصيدة ، وهو بهذا المعنى عنصر من عناصر البناء الفني لها ، وقد درسه نقادنا المحدثون بوصفه وسيلة من الوسائل التي يستخدمها الشعراء لتكوين موسيقى قصائدهم ، ويشمل التكرار ، تكرار الحروف والألفاظ والأبيات والمقاطع الشعرية ، ومن النقاد من قسم التكرار على أنواع منها ما يراد به تقوية النغم ، ومنها ما يراد به تقوية المعاني الصورية ومنها ما يراد به تقرير المعاني التفصيلية " [3] .

" فالتكرار وسيلة من وسائل التعبير الشعري يجاء به لتحفيز المتلقي واستفزازه واستثارة مشاعره بالتركيز وتصعيد الانتباه وطبع المادة المكررة في الذهن..."[4]

---

[1] موسيقى الشعر العربي : 54 .

[2] نقد الشعر : 17 .

[3] بناء القصيدة الفني في النقد القديم والمعاصر : 42 .

[4] البناء الشعري عند مسلم بن الوليد ، رسالة تقدم بها عباس رشيد الدرة : 110 .

" إن للإيقاع الخاص في البيت الشعري أثراً موسيقياً في تنظيم الكلمات والأصوات " [1] ، " لأن الأنسجام بين جانبي الإيقاع والجرس هو الذي يصدر ما نسميه بالنغم الشعري " [2] .

" وقد وقف النقاد العرب عند هذه الظاهرة وأجمعوا على قبول ما يسوغ تكرار اللفظ، ولا سيما إذا كان المعنى المقصود لا يتم إلا به ، ونبهوا إلى ما خالف ذلك، نسبوه إلى سوء الصناعة " [3] .

ويمتلك التكرار القدرة " على إضاءة التجربة الشعرية والكشف عن ملامحها التعبيرية ، ولا يخلو التكرار من أن يكون ترجيع صدى لصوت الانفعال الداخلي للشاعر "فيصبح التكرار معادلاً موضوعياً لانفعاله وتوتره ، فتحويل الانفعال والتوتر الداخلي إلى خبر على سطح الورقة يجعل هذه اللغة مشحونة بالدلالات النفسية والشعورية ، فتصبح نقطة إضاءة يمكن أن يتتبعها الدارس ، ولابد من وجود دافع نفسي وشعوري لحدوث التكرار " [4] ، والتكرار يعد من علاقات الجمال واحد أهم أركانه [5] ، وهو كثير الشيوع في الشعر العربي ، "وقد جاء في تحديد فائدة التكرار أن له دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية مبدعة " [6] .

وقد كثر التكرار بأنواعه في شعر أبي نواس ليعطي موسيقى مؤثرة نلاحظ ذلك بقوله في باب الزهد [7] :

أيا رب وجه في التراب عتيق ويا رب حسن في التراب رقيق

---

[1] الزمان والمكان في شعر أبي فراس الحمداني : 150 .

[2] الشعر الجاهلي ، منهج في دراسته وتقويمه : 1/39-40 .

[3] الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي : 132 .

[4] الوداع في الشعر الأندلسي من الفتح إلى نهاية عصر المرابطين : 171 .

[5] ينظر : النقد الجمالي وأثره في النقد العربي : 25 - 26 ،

[6] ينظر : الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي : 132 .

[7] الديوان : 621 .

ويــا رب حــزم فــي التــراب ونجــدة ويـــا رب رأي فـــي التـــراب وثيـــق
أرى كــل حـــي هالكـــاً وابــن هالــك وذا نســـب فـــي الهـــالكين عريـــق
فقــل لقريــب الــدار إنــك ظــاعن إلـــى منـــزل نـــائي المحـــل ســـحيق

وفي هذه الأبيات نجد هيمنة واضحة لكلمة (التراب) وهو رمز للهلاك والفناء فقد عد الشاعر القبر دار قرار - ويشير إليه بأنه منزل ناء ، وظهور نغم (القاف) مع شدة لحنه وقوته ساعد على إظهار فكرة الغناء .

إن هيمنة الحزن والألم تجسدت في تكرار الكلمة وكانت اختيارات الشاعر للكلمة الهادئة المؤثرة قد ساعدت في توضيح الأحاسيس والمشاعر للشاعر ، وهو يرى أن هذا التراب هو مكان استقراره فلا عجب لأن هذه النهاية لم تكن تخص الشاعر وحده بل أشار إليها أن الإنسان له نسب عريق من الهالكين .

ويأتي تأثير الأحرف في خلق جرس في موسيقى القصيدة ، مثل قول أبي نواس[1] :

يـــــا نواســـــي تـــــوقر وتجمـــــــــل وتصـــــــــبر
ســـــاءك الـــــدهر بشـــــيء وبمـــــــا ســـــــرك أكثـــــــر
يـــا كبيـــر الـــذنب عفـــو ا لله مـــــن ذنبـــــك أكبـــــر

أما تكرار (السين) فقد ولد تناغماً صوتياً وذلك لموافقته لأحرف الكلمات في الأبيات وتوافقه مع مكان تكراره متجانساً مع رؤى البيت ، وبالتالي خلق نغماً مع الروي ، والذي تجانس مع كلمات الأبيات التي تمثل حالة الشاعر بشعوره بقوة الدهر وسلطته عليه .

وكثيراً ما يخلق رحيل الإنسان عن الوجود قلقاً يعبر عنه الشاعر بصور شعرية متميزة تعطى للمتلقي الفهم بأن إقامته يحكمها العمل الصالح كما جاء يقول أبي نواس [2] :

---

[1] الديوان : 620 .
[2] الديوان : 621 .

أيهـا الغافـل المقـيم علـى السهـ ـو ، ولا عـذر فـي المقـام لسـاه

وكثيراً ما يستخدم أبو نواس العضة ويعمل على التذكر فكأنه يريد بذلك التذكير ، أن يكون المتلقي قد فهم معنى كلامه الداعي إلى أن اللهو لا يعذره عندما يكون في ذلك المقام ، قوله [1] :

سـكن يبقـى لـه سـكن مـا لهـذا يـؤذن الـزمن
نحـن فـي دار يخبرنـا ببلاهـا نـاطق لحـن
دار سـوء لـم يـدم فـرح لأمـرئ فيهـا ولا حـزن
كـل حـي عنـد ميتتـه حضـه مـن مـا لـه الكفـن

وتكرار الألفاظ (سكن) (دار) في هذه الأبيات ساعد على إبراز معاني الألم والشعور بمصير الإنسان الذي يتوقعه ولكنه استخدمها لإقراء حاله للمتلقي ، ويأتي اسم المكان بديلاً عنه في التكرار وكثيراً ما استخدمه أبو نواس في شعره إذ ينادي الأماكن بأسمائها لأنها ذات دلالة في نفسه في زمن معين كما في قوله [2] :

يـا حبـذا سـفوان مـن متربـع ولربمـا جمـع الهـوى سـفوان

وقوله [3] :

ديـار نـوار ، مـا ديـار نـوار كسـونك شـجواً هـن منـه عـوار

ويظهر تكرار الأسماء في القصيدة نغماً منفرداً بالتردد ويحمل أكثر ما يكون من العواطف والتساؤل لدى المتلقي عما يجيش بنفس الشاعر فتكرار كلمة الديار مرتين وكلمة نوار مرتين وأسلوب التعجب لما حل بها ، جسد قصد الشاعر وكذلك قوله [4] :

إذا لـم تـزر أرض الخصـيب ركابنـا فـأي فتـى بعـد الخصـيب تـزور

---

[1] الديوان : 615 .
[2] الديوان : 404 .
[3] الديوان : 435 .
[4] الديوان : 481 .

تتعلق الأرض بحاكمها وتكسب الود ، تحمل صفات الشاعر حين ينوي زيارة أرض مصر - أرض الخصيب - لحبه للخصيب ، وقوله [1] :

أراني مع الأحياء حياً ، وأكثري على الدهر ميتٌ قد تخرمه الدهر
فما لم يمت مني بما مات ناهض فبعضي لبعضي دون قبر البلى قبر
فيا رب قد أحسنت عوداً وبدأة إلى فلم ينهض بإحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك ، وحجة فعذري إقراري بأن ليس لي عذر

ونلاحظ في ترتيب الألفاظ في هذا النص تستخدم فكرة الشاعر ، حين يستعمل التضاد في نقل فكرته نلمسها بأنه حسب نفسه مع الأحياء وأنه ميت معنى لما للدهر من ظلم ، وما استخدم من ألفاظ تعبيرية حول جعل بعضه قبراً لبعضه ، أظهرت مدى براعة الشاعر في استخدام التكرار اللفظي في خلق موسيقى مؤثرة في المتلقي ، وخاصة استخدامه أحرف متجانسة متناسقة موسيقياً ، وقوله [2] :

راح الشقي على الربوع يهيم والراح في راحي ، ورحت أهيم

وباعتبار التكرار أحد العوامل المهمة لدراسة المفردة الشعرية ، لا يمكن أن تكتسب هذه الأهمية إلا من خلال السياق الشعري للقصيدة ، ويحمل عصارة أفكار الشاعر فالتكرار لا يكون بمعزل عن المعنى وتكملها الأحاسيس والمشاعر التي تتجانس مع الكلمات في نسجها البيت الشعري .

أما تكرار الحروف فإنه يعطي نغماً خاصاً وترنيماً صوتياً يتوافق مع الروي كما في قول أبي نواس [3] :

أبخل على الدار بتكليم فما لديها رجع تسليم

---

[1] الديوان : 579 .
[2] الديوان : 193 .
[3] الديوان : 155 .

وحين يكون الإنسان في دائرة من الهموم والحزن وعندما يشتد به الأسى حتى يبعده عن أرضية الواقع ، نراه يطلب الخلاص من الهم بالخمر ، كما في قول أبي نواس [1] :

لاقطعن نياط الهم بالكاس فليس للهم مثل الكاس من آس

في هذا البيت نجد هيمنة (الهاء ، والميم ، والسين) وبما أن حرف السين هو صوت صفيري ، مع كونه صوتاً مهموساً رخواً ، فقد أسهم مع صوت الهاء والميم في أيما محور صوتي يثير في المتلقي الإحساس بالحزن ، وتلاحم السين مع حرف الروي فكان تكراراً متجانساً مع روي البيت ، فخلق تجانساً أوحى للمتلقي حالة الشاعر وتصميمه للخلاص من الهم بالكاس ، أي إلى حالة هروب[2].

والتكرار يخلق النغمة والجرس الضارب بأوتار مؤثرة ولا يقتصر ذلك التأثير إذا كان التكرار لكلمة فقط ، بل في تكرار الحرف والفعل وتجانسها مع الروي ، قوله [3] :

لقد طال في رسم الديار بكائي وقد طال ترددي بها وعنائي

أعطى (الفعل طال) تصوراً غريباً هو كثرة التردد مما أوحى للمتلقي مدى ألم الشاعر ومعاناته وما يعانيه من تردده لزيارة الديار . وقد انسجمت الهمزة مع الياء في نغمة ايحائية .

" يعد التكرار في الفن من علامات الجمال وأحد أهم أركانه وهو كثير ما يشيع في الشعر ، وقد وقف النقاد العرب عند هذه الظاهرة ، واجمعوا على قبول ما يشيع تكرار اللفظ ، لا سيما إذا كان المعنى المقصود لا يتم إلا به ، ونبهوا إلى ما خالف ذلك ، ونسبوه إلى سوء الصناعة " [4] .

---

[1] الديوان : 159 .

[2] موسيقى الشعر : 21 .

[3] الديوان : 402 .

[4] الزمان والمكان من شعر أبي الطيب المتنبي : 132 .

والتكرار المعنوي يكمل التكرار اللفظي ، وللدارس أن يلاحظ التكرار المعنوي وإيقاعه في النفس كما لاحظ التكرار اللفظي وإيقاعه في السمع ، حينما يتمثل ذلك في نقل الألم والحزن خلال الكلمات)) [1].

[1] الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام : 283 .

الخاتمة

تناول هذا البحث دراسة (المكان ودلالاته في شعر ابي نواس) بوصفه عنصراً مهماً يتصل بفكرة وحركة وجدانية ومواقفه وعلاقاته بمجتمعه، حيث يهدف البحث التركيز على خصوصية المكان عند ابي نواس وتشخيص انواعه واستعراض عناصره ومما تعبر به اشكاله في الشعر من جاذبية وفن حيث انعكسا بشكل واضح في شعره ، لذلك تم استقراء النصوص الشعرية التي كانت تشكل الباعث الرئيس في الكشف عن شخصيته وقد رأينا النتائج على الوجه الاتي:

- اظهرت الدراسة ان التجديد في شعر ابي نواس اثر من آثار الحياة الجديدة التي سادت في العصر العباسي الاول والثاني للهجرة وهي بمثابة رد الفعل للحياة البدوية التي كانت سائدة ومؤثرة على الشعر العربي ممثلة باتباع الشعراء النمط القديم للقصيدة ومحافظة على التقليد في سياق القصيدة والتي خرج عنها ابو نواس ، فاصبح التجديد عاملاً مساعداً لخروجه على الطلل.

- ساعدت الحياة الجديدة على اتخاذ الشعراء الاسلوب الجديد الذي تأثر وبشكل واضح بالحضارة وعكس بعد الشعراء على شعر التقليد للبادية بأي شكل كان باستخدام الفاظ البادية او البكاء على الاطلال.

- ساعدت العوامل الاجتماعية في تلك المدة على ظهور ظاهرة الاستبدال التي حصلت في شعر ابي نواس التي كانت تمثل تغايراً كبيراً بين مايدعبه الناس من حشمة وقيم ما يدعيه ابو نواس من استبدال الطلل بالخمرة واماكنها.

- اظهرت الدراسة اهتمام النقد الحديث بشخصية ابي نواس وانتمائه الى الشعوبية والافكار السائدة في عصره وقد اطال النقاد الوقوف حول خروجه في بعض قصائده على منهج القصيدة القديمة بصفة عامة وخروجه على تقاليد القصيدة بصفه خاصة وتأتي من اعلان رفضه لوصف الديار او

الوقوف على ربوعها الخالية واعلانه الرفض ؛ لانه وجد البديل الاخر الى نفسه وطبيعته الا وهو نمط الحياة الجديدة.

- اظهرت الدراسة ان اباه نواس لم يكن اول من خرج على نظام القصيدة الذي لفت انظار القدماء في بنية القصيدة (المطلع والتخلص والخاتمة) بل انه كان سائرا على نمط من سبقه من الشعراء لكن اعلانه الرفض لوصف الديار او الوقوف على الربوع الخالية كتقليد لسياق كان سائداً فقد عاب على الشعراء الذين يعيشون بواقع بعيد عن واقعهم وذلك بالبكاء على الاطلال وندبها فجاء رفضه دعوة لتحرر الشاعر بفكره وان يصدق مع ذاته لا ان يكون مقلداً لغيره وان يعيش واقعاً لايمت بصلة لذاته بل يتمثل الحاضر بكل اعتباراته.

- حظيت اماكن الطبيعة بكثافة عالية في شعر ابي نواس وعبرت عن علاقاته الاليفة بالاخرين وقد اشتمل توظيف المكان في الطبيعة في شعره على ابعاد تعمق المعنى ولجعله صورة ماثلة للمتلقي فجاءت اشعاره لتؤكد ثقافته واطلاعه في اللغة فبرزت من خلال الصورة الشعرية الناطقة بالمعنى والمحملة بالشعور والمجسدة لفكره ومكنون ذاته وخاصة في شعره الخمري والصورة الوصفية في طردياته.

- ان ذات ابي نواس وجدت ضالتها وملاذها في الطبيعة فكانت الطمأنينة ومرفأ الامان ، اذن هي مكان الحلم والعالم البديل من زحمة المدينة وضيقها في ذهن الشاعر فقللت من حركته الحسية وضيقت افكاره ؛ لذلك كان مكان الصيد ساحة لانطلاق حلمه وراحته هذه.

- كشف شعر ابي نواس عن ميله الى اماكن الخمرة فبلغ حبه لها ان تمثل استقراره الابدي في تلك الاماكن حتى تخيل ان يكون قبره بين مواضع جنيها وعصرها.

- كان للمكان واقع جمالي خاص في رسم الصورة الشعرية فضلاً عن ميزان الاساليب البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية لجأ اليها الشاعر في صياغة نسق اشعاره ورسم صوره ناطقة اساسها المكان فتمثل الخيال بشكل واضح فيها، فجاءت معبره عن صراع الذات التي تنشد اللهو وبين الوعي والاهتداء الى الحق وبذلك كان المكان حاضراً في تجسيد افكاره ممثلاً بالدار الاخرة والقبر فلمسنا عودته الى ذاته عودة صادقة.

المصادر والمراجع

- ابو نواس: د. عمر فروخ ، منشورات دار الشرق الجديد ، ط1 ، بيروت، 1960 .
- ابو نواس الحسن بن هاني : عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، 1388هـ – 1968م.
- ابو نواس بين التخطي والالتزام : د. علي شلق ، قدم له ، د. فؤاد افرام البستاني، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1964.
- ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد : د. احلام الزعيم ، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2، بيروت ، 1986.
- ابو نواس زعيم شعراء الخمر : جورج غريب ، دار الاندلس للطباعة ، ط1، 1961.
- ابو نواس في شعره الخمري : جورج عبد ومعتوق، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ط1، 1974.
- ابو نواس في شعره الخمري: انيس المقدسي.
- ابو نواس قصة حياته وشعره: عبدالرحمن صدقي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ، 1944.
- ابو نواس وقضية الحداثة في الشعر : د. العربي حسن درويش ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.
- اتجاهات الشعر العربي المعاصر: د. عز الدين اسماعيل ، ط3، بيروت، 1981.
- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري : محمد مصطفى هدارة ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف ، 1962م .
- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري : د. يوسف حسين بكار ، دار المعارف بمصر ، 1971م.

- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي: د. عبدالقادر فيدوح ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1992م .
- اخبار ابي نواس: ابن منظور الانصاري، تحقيق شكري محمود احمد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1952.
- اخبار ابي نواس: لابي هفان عبدالله بن احمد بن حرب الهرمي، تحقيق عبدالقادر احمد فراج ، مكتبة مصر للطباعة، 1953.
- الادب العربي في العصر العباسي: د.ناظم رشيد، كلية الاداب، جامعة الموصل، 1410-1989م.
- الازمنة والامكنة : ابو علي احمد بن محمد بن الحسين المرزوقي (ت421هـ) ، مطبعة حيدر اباد الدكن ، 1332هـ.
- اسرار البلاغة : عبد القادر الجرجاني (ت 471هـ) تحقيق محمد عبدالعزيز النجار، مكتبة محمد علي صبيح واولاده، مصر ، 1977م.
- الاسس الجمالية في النقد الادبي : عرض وتفسير ومقارنة : د. عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي، القاهرة ، 2000.
- اشجع السلمي حياته وشعره : د. خليل بنيان الحسون، دار المسيرة، بيروت، 1981.
- اشعار ابي الشيص الخزاعي: تحقيق عبدالله الجبوري، مطبعة الاداب ، النجف ، 1967م.
- اشعار اولاد الخلفاء واخبارهم من كتاب الاوراق : ابو بكر محمد بن بحر الصولي، عني بنشره ، ج ، هيروت ، دار الميسرة، بيروت، ط2، 1979.
- اشكالية القراءة وآليات التآويل : نصر حامد ابو زيد ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1996م .
- اشكالية المكان في النص الادبي ، دراسات نقدية : ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، ط1، بغداد ، 1986.

- اصول النقد الادبي : احمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط، 1964.
- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري (1399هـ-1979م) المجلد (30) مطابع دار الشعب، (د. ت) .
- الاغاني : لابي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني (ت 356هـ) ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر (د.ت).
- الحان الحان: د. عبدالرحمن صدقي، دار المعارف بمصر ، 1957م.
- امراء الشعر العربي في العصر العباسي: انيس المقدسي، طباعة واستنساخ، بغداد ، د.ت.
- الانوار في محاسن الاشعار: لابي الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي : تحقيق صالح مهدي العزاوي، منشورات وزارة الاعلام، الجمهورية العراقية، 1976.
- بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر: مرشد الزبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق ، 1994.
- البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، د. شجاع العاني ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 2000 .
- بنية اللغة الشعرية : جان كوهن ، ترجمة محمد الولي محمد العمري ، دار نويقال للنشر، الطبعة الاولى – الدار البيضاء، المغرب 1986.
- البيان والتبيين ، ج1، 2، 3، 4 : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون ، الطبعة الخامسة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1985م.
- تاريخ الادب العربي: كارل بروكلمان ، ترجمة عبدالحليم النجار، دار المعارف، مصر 1977.
- تاريخ الادب العربي: حنا فاخوري، بيروت ، 1960.

- تحليل النص الشعري: محمد فتوح، النادي الادبي الثقافي بجدة ، ط ، 1420هـ –1999م.
- تطور الخمريات في الشعر العربي: من الجاهلية الى ابي نواس ، جميل سعيد ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1945.
- التطور والتجديد في الشعر الاموي: د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط8 ، مصر ، 1987م.
- التفسير النفسي للادب ، د. عز الدين اسماعيل ، دار المعارف، القاهرة، 1963.
- تلخيص كتاب ، أرسطو طاليس في الشعر (الوحدات الثلاث) ، ابن رشد (ت 595هـ) ، تحقيق : محمد سليم سالم ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1971م .
- التورات ، سفر التكوين: الاصحاح العاشر: الاصحاح الحادي والعشرون.
- جدلية الخفاء والتجلي : كمال ابو ديب ، دراسات بنيوية في الشعر، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1979.
- جغرافية السكان : جاكلين غارنيه ، ترجمة : حسن الخياط ومكي محمد عزيز ، مراجعة : شاكر خصباك، مطبعة العاني – بغداد ، 1974.
- جغرافية العمران: د. عبدالفتاح محمد وهبة، منشأة المعارف، الاسكندرية ، 1975.
- جغرافية المكان: جاكلين غارينه : ترجمة : حسن الخياط ومكي محمد عزيز ، مراجعة : شاكر خصباك، مطبعة العاني ، بغداد ، 1974.
- جماليات المكان : غيستون باشلار ، ترجمة : غالب هلسا ، توزيع الدار الوطنية للنشر ، 1980.
- جمهرة انساب العرب لابي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي، تحقيق وتعليق عبدالسلام محمد هارون.

- جواهر الادب في البيان وانشاء لغة العرب: السيد احمد الهاشمي، مؤسسة المعارف ، بيروت.
- حديث الاربعاء : د. طه حسين ، دار المعارف بمصر ، القاهرة.
- حركات التجديد في الشعر العباسي :فصل من كتاب طه حسين في عيد ميلاده السبعين ، اشراف عبدالرحمن بدوي، دار المعارف ، مصر ، 1978م.
- حركية الابداع ودراسة في الادب العربي الحديث: خالدة سعيد ، دار العودة، بيروت ، 1979م.
- الحنين الى الوطن في الادب العربي حتى نهاية العصر الاموي: محمد ابراهيم حور ، دار النهضة ، القاهرة ، 1973م.
- الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري: د. احمد كمال زكي ، دار المعارف بمصر ، 1970م.
- الحيوان: ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، 1388هـ –1969م.
- خمسة مداخل الى النقد الادبي: تصنيف ديلر سكوت ، ترجمة ونقد وتعليق: د. عناد غزوان وجعفر الخليلي، دار الرشيد ، 1981م.
- الخيال مفهوماته ووضائفه : د. عاطف جودة نصر ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984م.
- دائرة المعارف لابن قتيبة : ابي عبدالله محمد عبدالله بن مسلم ، حققه : ثروت عكاشه، مطبعة دار الكتب ، 1960م.
- دراسات في الادب العربي " العصر العباسي " : د. محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، د.ت .
- دراسة في اثر الشعر العربي القديم على مدرسة الاحياء في مصر ، مدرسة الاحياء والتراث.

- دلائل الاعجاز : عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق : محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1984م.
- الديارات للشابشتي : تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف، بغداد ، 1966م.
- دير الملاك ، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر: د. محسن اطيمش ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، 1982.
- ديوان ابن حمديس : صححه وقدم له د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1960.
- ديوان ابي الشيص الخزاعي : تحقيق عبدالله الجبوري، مطبعة الاداب، النجف ، 1973.
- ديوان أبي نواس برواية الصولي: تحقيق الدكتور بهجت عبدالغفور الحديثي،ساعدت جامعة بغداد على طبعه ، 1400هـ –1980م.
- ديوان ابي نؤاس الحسن بن هاني : تحقيق هيفالدفاغنر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ج1، 1958م ، ج2، دار النشر ، فرانز شتايز بفسفادن ، 1972م.
- ديوان ابي نواس ،الحسن بن هاني : حققه وضبطه وشرحه احمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتب العربي، بيروت ، لبنان.
- ديوان ابي الهندي : تحقيق عبدالله الجبوري، مطبعة النعمان، النجف ، 1970.
- ديوان الاعشى، الاعشى الكبير، ميمون بن قيس: شرح وتعليق محمد محمد حسن، ط2، دار النهضة العربية ، بيروت، 1974م.
- ديوان الحطيئة : تحقيق نعمان امين طه ، القاهرة ، 1958م.
- ديوان دعبل بن علي الخزاعي : تحقيق د. محمد يوسف نجم، دار الثقافة ، بيروت ، 1962.

- ديوان زهير بن أبي سلمى ، تحقيق علي حسن ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1988م .
- ديوان طرفة بن العبد : تحقيق علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة ، د.ت .
- ديوان عبيد بن الابرص : تحقيق د.حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1975م.
- ديوان مجنون ليلى : جمع وتحقيق عبدالستار احمد فراج ، دار مصر للطباعة، القاهرة ، د. ت .
- ديوان العباس بن الاحنف: مطبعة دار صادر، بيروت، 1965م.
- ذيل الامالي والنوادر : تأليف ابي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الفكر .
- رباعيات ابي نواس : تصنيف رامز حيدر ، الطبعة الاولى، بيروت ، 1965م.
- رغبة الامل من كتاب الكامل : سيد بن علي المرصفي ، ط1، مطبعة النهضة ، بمصر 1347هـ –1929م.
- رماد الشعر ، دراسة في البيئة الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق: د. عبدالكريم راضي جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 1998م.
- الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم : د. حسام الدين الالوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط1، 1400–1980م.
- الزمان والمكان واثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره: د.صلاح عبدالحافظ ، دار المعارف ، مصر.
- الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام: عبدالاله الصائغ ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، 1982م.

- الزمن في الادب : هانتر ميرهوف، ترجمة : د. اسعد رزوق مراجعة العوضي الوكيل، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ، 1954م.
- سيكولوجية الابداع في الفن والادب : يوسف ميخائيل اسعد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد.
- شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري : تحقيق عبدالرحمن البرقوقي ، دار الاندلس – بيروت ، 1980م.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعه ثعلب ، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب ، الدار القومية ، القاهرة ، 1964م .
- شرح ديوان صريع الغواني: تحقيق د. سامي الدهان ، دار المعارف، مصر ، 1970م .
- شعراء من الماضي: دراسة ونصوص ادبيه لعدد من كبار الشعراء: كامل العبدلة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1962م.
- الشعراء ونقد الشعر منذ الجاهلية حتى نهاية القرن الرابع الهجري : د. هند حسين طه، مطبعة جامعة بغداد ، 1986م.
- شعر ابراهيم بن هرمة : تحقيق محمد فتاح ، و د.حسين عطوان ، مطبعة دار الحياة ، دمشق ، 1969م .
- الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه: د. محمد النهويهي ، الدار القومية ، القاهرة (د.ت).
- شعر الطبيعة في الادب العربي: د. سيد نوفل ، دار المعارف ، مصر.
- شعر الطرد عند العرب: عبدالقادر حسن امين، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، 1972م.
- الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: مصطفى الشكعة، دار الملايين ، بيروت، 1979م.
- الشعر العربي المعاصر: د. عز الدين اسماعيل ، ط3، دار الفكر العربي ، بيروت، 1978م.

- الشعر في الحاضرة العباسية : د. وديعه طه نجم ، ط1 ، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ، الكويت ، 1977م.
- الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري : د . احمد عبدالستار الجواري، ط3، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1412هـ –1991م.
- الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس : د. محمد مجيد السعيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت – لبنان ، 1985م.
- شعر اللهو والخمر، تاريخه واعلامه ، جورج غريب ، نشر دار الثقافة ، بيروت، 1966م.
- الشعر والشعراء: ابن قتيبة ، تحقيق احمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1966م.
- الشعر والشعراء في العصر العباسي : د. مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت، 1975م.
- الصحاح ، تاج اللغة ، وصحاح العربية: اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق احمد عبدالغفور عكار، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1979م.
- الصناعتين : ابو هلال العسكري، تحقيق مفيد قميمة ، بيروت ، 1989.
- الصورة الشعرية : سي دي لويس ، ترجمة : د. احمد نصيف الجنابي، مراجعة عناد غزوان ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1982م.
- الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي : الولي محمد ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1990.
- الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري: د. دكتور علي البطل ، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.
- الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري: د. عباس مصطفى الصالحي، المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1402هـ –1981م.

- طبقات الشعراء لابن المعتز : تحقيق عبدالستار احمد فراج ، ط4، دار المعارف، القاهرة.
- الطبيعة في الشعر الجاهلي : د. نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، بيروت، 1984م.
- الطير في حياة "الحيوان " للدميري : تحقيق عزيز العلي العربي، الطبعة الاولى ، بغداد ، 1986م.
- العصر العباسي الاول: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1976م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني: حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجبل للنشر والتوزيع والطباعه، بيروت – لبنان، ط5 ، 1401هـ –1981م.
- عيار الشعر : محمد بن احمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق وتعليق د. طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ، 1956م.
- فصل من كتاب " الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين " : اشراف د.عبدالرحمن بدوي، دار المعارف بمصر 1962م.
- فن الشعر (ارسطو) : ترجمة وتحقيق : عبد الرحمن بدوي ، ط2 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1973م .
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1965م.
- الفهرست لابن النديم، 1971م.
- في الادب الجاهلي : طه حسين ، دار المعارف ، 1969م.
- في الادب العباسي: د. علي الزبيدي، دار المعرفة ، 1959.
- في الادب العباسي: محمد مهدي البصير،مطبعة السعدي، بغداد ، 1955م.

- في الادب العربي الحديث، بحوث ومقالات : يوسف عز الدين مطبعة دار البصرى، بغداد ، 1387م –1967م.
- في الشعر الاندلسي : د . عدنان صالح مصطفى ، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت ، 1986.
- في الشعر العباسي " الرؤية والفن " : د. عز الدين اسماعيل دار المعارف بمصر ، 1980.
- في الشعرية: كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ، 1982م.
- قراءات نقدية : د.يوسف حسين بكار ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، 1980م.
- القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الاسلام والعصر الاموي: د.بشرى محمد علي الخطيب ، ط1 ، مطبعة الإدارة المحلية ، بغداد ، 1977م .
- الكامل في التاريخ ابن الاثير: دار الفكر، بيروت، 1978م.
- لباب الاداب لابي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي: تحقيق د. قحطان رشيد صالح ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 1988.
- لسان العرب : ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، دار صادر ، بيروت، 1956م.
- مبدأ خلق الارض : ابن منظور ، دار صادر، بيروت ، د. ت .
- المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ : د. محمد عويس ، دار الثقافة الطباعية للنشر بالقاهرة ، 1977م.
- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: لابي القاسم حسين بن محمد الراغب الاصفهاني ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، 1961م.
- مختار الاغاني: تأليف ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، الطبعة الاولى ، أوفست تراثنا ، القاهرة

- مدخل الى نظرية القصة: تحليلاً وتطبيقاً ، سمير المرزوقي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد والدار التونسية للنشر ، 1986.
- مدخل إلى الفلسفة : د. امام فتاح امام
- مدخل جديد الى الفلسفة : د. عبدالرحمن بدوي، دار المكتبة الحديثة، بيروت ، 1979م.
- مدرسة الإحياء والتراث ، دراسة في أثر الشعر العربي القديم على مدرسة الإحياء في مصر .
- المصايد والمطارد : تاليف ابي الفتح محمود بن الحسن الكاتب المعروف بكشاجم، حققه وعلق عليه د. محمد اسعد اطلس، مطبعة دار المعرفة ، بغداد.
- المصطلح النقدي في نقد الشعر، دراسة لغوية ، تاريخية نقدية : ادريس الناقوري، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ،1984م.
- مع الشعراء في جدهم وعبثهم : عبدالله زكريا الانصاري، ط1، 1981م.
- معالم الشعر واعلامه في العصر العباسي الاول : د. محمد نبيه حجاب ، دار المعارف بمصر ، 1973م.
- مع المتنبي : د. طه حسين.
- المعجم الادبي: جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت، 1971م.
- معجم البلدان : ياقوت الحموي، بيروت ، لبنان ، د. ت .
- معجم الشعراء العباسيين : عفيف عبدالرحمن ، دار صادر للطباعة والنشر، طرابلس – لبنان ، 1964م.
- معجم ما استعجم من اسماء البلدان والمواضع : عبدالله بن عبدالعزيز البكري ، تحقيق مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ، 1945م .

- معجم مقاييس اللغة : تحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة 1369هـ.
- المعجم الوسيط : ابراهيم مصطفى واخرون، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، استانبول – تركيا ، 1989م.
- المفردات في غريب القرآن :الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد ، نشر محمد احمد خلف الله، مكتبة الانكلو المصرية ، 1970م.
- مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، د. جابر عصفور ، المركز العربي للثقافة والعلوم 1982م.
- مقالات في تاريخ النقد العربي: داود سلوم ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، 1981م.
- مقدمة ابن خلدون : دار العلم، بيروت ، 1978م.
- ملامح لسرد القصص في القصيدة العربية قبل الاسلام: د. محمود عبدالله الجادر، مجلة دراسات للاجيال ، ع2 ، سنة (1) آيار 1980م.
- المناظرات اللغوية والادبية في الحضارة العربية الاسلامية: د. رحيم جبر احمد الحسناوي، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان – الاردن ، 1999م.
- منهاج البلغاء وسراج الادباء: ابو الحسن حازم القرطاجني ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط2، 1981م.
- منهج النويري في كتابه " نهاية الارب في فنون الادب" بحث ودراسة مقارنه ، نقد : د. عبدالحليم الندوى ، دار الفكر ، دمشق.
- الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري : تحقيق السيد احمد صقر ، دار المعارف بمصر ، 1961م .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، تقي الدين ابو العباس احمد بن علي المقريزي، دار صادر ، بيروت.

- موسيقى الشعر: د. ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الثالثة ، 1972م.
- موسيقى الشعر العربي: شكري عياد ، دار المعرفة، القاهرة ، 1968م .
- مواقف في الادب والنقد : د. عبدالجبار المطلبي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد (1401هـ-1980م).
- موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي : د. محمد زكي عشماوي،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت، 1981م.
- النظام في شرح شعر المتنبي وابي تمام ، لابي البركات شرف الدين المبارك المعروف بـ " ابن المستوفي " (ت سنة 637هـ) ج، دراسة وتحقيق د. خلف رشيد نعمان ، مطبعة دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1991م.
- نظرية المعنى في النقد الادبي: د. مصطفى ناصف، دار العلم، القاهرة ، 1965م.
- نظرية المكان في فلسفة ابن سينا : تاليف حسن مجيد العبيدي، مراجعة وتقديم عبدالامير الاعسم.
- نفسية ابي نواس : د. محمد النويهي، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر ، 1970م.
- النقد الادبي الحديث: د. محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، دار العودة، بيروت ، 1973م.
- النقد الادبي في كتاب نفح الطيب للمقري : هدى شوكة بهنام، دار الرائد العربي، بيروت ، ط1 ، 1977 ، ط2، 1984م.
- النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي : ناصر الحاني ، مطبعة بغداد ، بغداد ، 1995م .
- النقد التطبيقي التحليلي : د. عدنان خالد عبدالله، بغداد ، 1986م.

- النقد الجمالي واثره في النقد العربي: جورج غريب ، ط2، دار الفكري اللبناني، بيروت ، 1983م.
- نقد الشعر : قدامه بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي بمصر 1948.
- النقد المنهجي عند العرب، منهج البحث في الادب واللغة مترجم عن الاستاذين لاتسون ومايبه قام بترجمته: د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، شارع كامل صدقي ، الفجالة ، 1946م.
- نهاية الارب في فنون الادب، بحث ودراسة مقارنة، نقد : د. عبدالحليم الندوي، دار الفكر ، دمشق ، سوريه ، 1977م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، 1952م .

الرسائل الجامعية :

- الاحساس بالالم في الشعر العربي قبل الاسلام : نرجس حسين زاير العقابي، رسالة ماجستير ، كلية الاداب، جامعة بغداد ، 1421هـ – 2000م .
- البناء الشعري عند مسلم بن الوليد : عباس رشيد وهاب الدرة ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب، جامعة بغداد ، 1413هـ–1992م.
- البواعث النفسية في شعر فرسان عصر ماقبل الاسلام : ليلى نعيم عطية الخفاجي ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب، جامعة بغداد ، 1423هـ–2002 م.
- دلالة المكان في شعر السياب : لمى يونس حميد القيسي، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، 1421هـ –2002م.

- الرحلة في شعر الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين (دراسة موضوعية فنية) : ايناس عبدالسادة جودة الساعدي، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، 1424هـ-2003م.
- الزمان والمكان في شعر ابي الطيب المتنبي (دراسة تحليلية) : حيدر لازم مطلك ، اطروحة دكتوراة ، كلية الاداب، جامعة بغداد ، 1412هـ-1991م.
- الزمان والمكان في شعر ابي فراس الحمداني : ناظم حمد خلف السويداوي، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الانبار ، 1423هـ - 2002م.
- الزمان والمكان في شعر العصر العباسي الأول : غني صكبان ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية - ابن رشد ، جامعة بغداد ، 2001م.
- شعراء الاندلس النقاد : محمود شاكر محمود ، رسالة ماجستير، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية 1423هـ-2002م.
- شعر ابن خفاجة ، دراسة اسلوبية: بسمة محفوظ عبدالله البك ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الموصل، 1422هـ-2002م.
- شعر الحماسة في العراق من سنة 1980-1995، دراسة فنية : رحيم خريبط عطية كاظم ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة ، 1419هـ -1998م.
- الصورة المجازية في شعر المتنبي : جليل رشيد فالح ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب، جامعة بغداد ، 1405هـ -1985م.
- الطيف والخيال في الشعر العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري: حسن مصطفى البنا، رسالة ماجستير ، كلية الاداب، جامعة عين شمس في القاهرة ، 1973م.
- مظاهر الحضارة في شعر ابي نواس: عدنان كاظم مهدي، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الكوفة، 1418هـ -1997م.

- مقدمة المدحة الاندلسية بين ابن دراج القسطلي وابن حمديس الصقلي، دراسة موازنة : غيداء احمد سعدون شلاش، رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة الموصل 1419هـ –1999م .
- المكان عند الشاعر العربي قبل الاسلام : حيدر لازم مطلك، رسالة ماجستير ، كلية الاداب، جامعة بغداد ، 1407هـ –1987م.
- المكان في دراسة النص المسرحي العراقي: منصور نعمان، رسالة دكتوراه فلسفة، 1418هـ –1997م.
- المكان في شعر ابي العلاء المعري: حربي نعيم محمد الشبلي، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة القادسية، 1423هـ –2002م.
- المكان في شعر الشريف الرضي ، دراسة فنية: زينب عبدالكريم حمزة الخفاجي، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، 1423هـ –2002م.
- المكان في شعر صدر الاسلام (دراسة فنية) : شروق حيدر فليح العبودي، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة القادسية، 1423هـ–2002م.
- المكان في الشعر العراقي الحديث: سعود احمد يونس القيسي، رسالة ماجستير ، كلية الاداب، جامعة الموصل 1417هـ –1996م.
- الوداع في الشعر الاندلسي من الفتح الى نهاية عهد المرابطين (دراسة موضوعية فنية) : محمد مسعد معجب الطويل، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية ، 1423هـ –2002م.
- الوصف في الشعر الاندلسي، عصر ملوك الطوائف: رياض كريم جوهر ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب، جامعة بغداد ، 1409هـ – 1988م.
-

الدوريات :

- اثر الصحراء في نشأة الشعر العربي وتطوره حتى نهاية العصر العباسي الثاني : د. حمد بن ناصر الدخيل ، قسم الاداب ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض ، 2003م.
- جماليات المكان : اعتدال عثمان، من بحوث مهرجان المربد الشعري السادس.
- حول " محطة السكة الحديد " لا دور الخراط ، د. صبري الحافظ ، مجلة الأقلام العدد 11 – 12 ، 1986 .
- الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث: محمد بلوحي (دراسة في نقد النقد) . من منشورات اتحاد الكتاب العرب 2000م.
- الصورة الفنية لحقول الشعر التراجيدي في الشعر الجاهلي: د. عبدالله خلف العساف ، الاستاذ المساعد لقسم الدراسات الاسلامية والعربية، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ، 2003 م.
- طوق الحمامة ... ومعجزة الحب العذري: كمال رمزي ، بيان الثقافة – آفاق أدبية ، العدد 141 ، 2002م.
- القصة في شعر الزهاوي : فائق مصطفى ، مجلة أبحاث اليرموك ، مجلد (8) العدد الأول ، 1990 .
- مفهوم الصورة الشعرية قديماً : الاخضر عيكوس، مجلة الاداب ، جامعة القسطينة ، ع2، 1995م.
- ملامح في السرد القصصي في القصيدة العربية قبل الاسلام ، محمود عبد الله ، مجلة دراسات للأجيال ، السنة الأولى ، العدد (2) ، 1998: 35– 50 .

University of Baghdad

College of Education of Women

Department of Arabic

Language

Place and its significance in the poetry of Abn – Nuwas An objective and artistic study

A

Thesis submitted By

Amal Saleh Rahma Abn – Tubaikh

To

The council of the College of Education of women – University of Baghdad as Partial fulfillment to the Requirements of M. A. degree In the Arabic Language and its literature

Supervised by

Prof. Dr. Nathem Reshid *Prof. Dr. Muhamad Hassan Al-Hily*

2004 A. D *1425 B. C*

Abstract

Enlighting with Arabic dictionaries ,literature ,Criticism and history book and also With old philosophical and modern psychological rules .

Contemperory literature studies were used here to clarify the test . this helped us after comprehensive study of AL-Diwan to divide it into four chapters according to the nature of the study of each chapter and its relations with location of the poet.

We have divided this thesis into four chapters:

First chapter: the location and its features.

Second chapter: the civilization places.

Third chapter: the place as an element in the story.

Fourth chapter: technical inspiration.

I have divided each chapter into sections according to study requirement then I have presented all this with an introduction and ended with conclusion which is one of academic requirement of research.

The first section of first chapter deals with replacing the remains with liquor and I consider the analysis as a policy that depends upon the poet view and his rejecting the old places [the remains], then to study the criticist views to clarify the poets attitude which reject the remains as a whole and his rejecting the old and to call for the reality of poet which represented in the civilizations lives in and to keep away from the tradition of

mention rural and also to study criticist point of view as his calling we full of secterain and to let down the Arab and their tradition and to avoid the old places as remain.

The second chapter deals with the civilization places in three section , the first one represented the civilized section cities and living places, The second section deals with places in liquor story in accordance with liquor by liking the places with liquor in the poems that describe the liquor places.

The third chapter deals with hunting in Abo-Nuaa's poems , its place and time and the animal as a hunting features.

The fourth chapter deals with technical inspiration and the poets attitude .

In the conclusion I recorded the results which I reached supported by old Arabic resources , translated books and scientific research that deals with place and the time through his poetry .

Finally I have to pay gratitude to Dr.Nazim Rasheed who was very generous with all his scientific resources and to Dr. Mohammed hassan AL-Hilly.

Finally I submit an effort to reach a good result which helped to enlighted the place in Abo-Nuaws poems and its relation with himself and his society.

تعريف بالباحثة:

أسم الطالبة :أمل صالح رحمة أبو طبيخ.

عنوان الأتصال به :هيئة التعليم التقني /قسم الشؤون العلمية/ الدراسات العليا.

عنوان الرسالة : المكان ودلالاته في شعر أبي نواس(دراسة موضوعية).

نص الطروحة :في الملفات الملحقة على نفس القرص و بنفس عنوان الملف.

الكلية أو الجامعة : جامعة بغداد /كلية التربية بنات.

الكلمات المفتاحية للرسالة:لغة عربية/أدب عباسي/أبو نواس/المكان/دلالات المكان في الشعر .

رسالة ماجستير :لغة عربية.